







## كتاب الامام

بالإعلام فيما جرت به الأحكام و الأمور المقضية في وقعة الإسكندرية

لمحمد بن قاسم بن محمد النويري الاسكندراني

( المتوفى بعد سنة ٧٧٥ هـ / ١٣٧٢ م )

### الجزء الأول

|                                       |  |
|---------------------------------------|--|
| بدأ تحقيقه                            | و أتم تحقيقه و التعليق عليه            |
| من مخطوطات برلين و القاهرة            | من مخطوطات برلين و القاهرة و بانكي پور |
| الدكتور إتيان كومب المتوفى سنة ١٩٦٢ م | الدكتور عزيز سوريال عطيه               |

طبع

باعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية

تحت مراقبة

الدكتور محمد عبد المعيد خان

مدير دائرة المعارف العثمانية

مطبعة مجلس إدارة المعارف العثمانية بمصر

١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م



59364

## كتاب الامام

بالإعلام فيما جرت به الأحكام و الأمور المقضية في وقعة الإسكندرية

لمحمد بن قاسم بن محمد النويري الاسكندراني

(المتوفى بعد سنة ٧٧٥ هـ / ١٣٧٢ م)

الجزء الأول



و أتم تحقيقه و التعليق عليه

بدأ تحقيقه

من مخطوطات برلين و القاهرة هـ من مخطوطات برلين و القاهرة و بانكي پور

الدكتور إيتين كومب المتوفى سنة ١٩٦٢ م | الدكتور عزيز سوربال عطيه

طبع

باعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية

تحت مراقبة

الدكتور محمد عبد المعيد خان

مدير دائرة المعارف العثمانية

مطبوعات المجلس الأعلى للدراسات والبحوث الهندية

١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م

جميع الحقوق محفوظة  
لدائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد  
All copyrights reserved.

## مقدمة

إنّ هذا الكتاب الذي تقدمه اليوم لقراء العربية منشورا لأول مرة في سلسلة "مطبوعات دائرة المعارف العثمانية" بحيدرآباد الدكن من الكتب المخطوطة النادرة، ألفه مؤلفه محمد بن قاسم بن محمد النويري المالكي الإسكندري المتوفى بعد سنة ١٣٧٢/٥٧٧٥م تحت عنوان "كتاب الإلمام" ٥ بالأعلام فيما جرت به الأحكام والأمر المقضية، في وقعة الإسكندرية، وعودها إلى حالتها المرضية" وذلك على إثر الكارثة التي نزلت بالمدينة في حملة القبارصة وأحلافهم من أوروبا أثناء عام ٧٦٧هـ / ١٣٦٥م، فدمروا منها ما استطاعوا تدميره، ونهبوا ما أمكنهم حمله من كنوزها، ثم رحلوا عنها بعد أيام قلائل شاهدت فيها المدينة كارثة من أكبر الكوارث التي حدثت بها في تاريخها الطويل.

و كان غرض المؤلف الأول من تحرير الكتاب تسجيل مذكراته ومشاهداته وما أمكنه جمع شتاته من المعلومات عن تلك الحملة الصليبية الجامعة الكاسحة، ولكنه أخذ في الاسترسال في الحديث عن شتى الفنون بمستطردات واسعة في الأدب والتاريخ والفقہ وعلوم الكلام ١٥ والحديث والقصص وغير ذلك من الموضوعات التي لا تمت بصلة للغرض

(١) راجع تاريخ هذه الحملة ومصادرها في كتابي عن موضوع .

*The Crusade in the Later Middle Ages*, (London 1938 ; Reprint by Kraus, New York 1965), pp. 343-78 and notes.

الأصيل مما زخر به الكتاب حتى أصبح أشبه بموسوعة أدبية عامة منه بسجل تاريخي خاص .

و رغم ذلك فإن كتاب النويري يُعتبر بلا نزاع الحجة الأولى عن تاريخ تلك الحملة من الناحية الشرقية المصرية بقدر ما أصبح كتاب غليوم هـ أو جويوم ماشوه<sup>١</sup> المرجع الأكبر لتلك الحركة الصليبية من الجانب الغربي بالفرنسية القديمة ، باعتبار الكاتبين شاهدي عيان لتلك الأحداث من زاويتين مختلفتين . ومع ذلك فإن كتاب ماشوه حظى باهتمام العلماء فتم نشره في القرن الماضي ، في حين أن كتاب النويري ظل مخطوطا إلى يومنا هذا . ولكن ذلك على كل حال لم يمنع عددا من المؤرخين من الانتفاع ببعض نواحي مادته ، ومن بين هؤلاء هرزسون<sup>١٠</sup> و كاييتا نوفتشي و پول كاله<sup>٢</sup> و المرحوم اتين كومب<sup>٣</sup> و كاتب هذه

(١) Guillaume de Machaut, *La prise d'Alexandrie ou chronique du roi*

*Pierre Ier de Lusignan*. Ed. Mas Latrie. Soc. de L'Or. Lat. Geneva 1877.

و من بين الأصول الغربية الأخرى لتلك الحملة أيضا ما يلي :

Amadi et Strambaldi, *Chroniques*, ed. Mas Latrie ; 2 pts., Paris 1891-93 ;

Florio Bustron, *Cronica* (1191-1489), ed. Mas Latrie, *Me'langes historiques*,

V, 1-532, Paris 1886 ; Leontius Makhairas, *Recital concerning the Sweet*

*Land of Cyprus entitled 'Chronicle'*, 2 vols., Greek text and English trans.

with notes by R.M. Dawkins, Oxford 1932.

راجع كتابي المذكور في الحاشية السابقة عن تفصيلات بقية أصول تلك الحملة

(٢) I. J. P. Herzsohn, *Der Überfall Alexandrien's*, Bonn 1866 ; G. J. Capila-

novici, *Die Eroberung von Alexandria*, Berlin 1894 ; P. Kahle, *Die Kata-*

*trophe des mittelalterlichen Alexandria*, Me'm. de l'Institut Francais, T.

LXVIII, Me'langes Maspéro, vol. III, pp. 137-54, Cairo 1935.

(٣) نسجل فيما يلي ما كتبه كومب من المقالات عن النويري و كتابه :

Etienne Combe, "Le texte de Nuwairi sur l'attaque d'Alexandrie," Bull. of Faculty of Arts, Farouk I University, Alexandria 1948, pp. 99-110 ; =

السطور' ، و ربما كان إجمال المستشرقين عن نشره قبل اليوم راجعا إلى طبيعة الكتاب التي انتهى به إليه مؤلفه في الشرود عن جادة موضوعه الرئيسي إلى جمهرة من الكتابات في أمور جانبية معقدة تحتاج إلى دراسات وتحقيقات طويلة هم في غنى عنها .

و مهما يكن من شيء فإن تفكيرى فى نشر النص الخطى لكتاب ه الإمام يرجع إلى قرابة ثلاثين عاما أثناء دراستى لحروب بطرس الأول لوسنيان الصليبية ، و قد بدأت آنئذ مطالعة مخطوطة برلين فى عام ١٩٣٦ ، و بعدئذ بقليل نمت إلى على أن المغفور له الأستاذ أتين كومب المستشرق السويسرى المعروف جاد فى إعداد ذلك النص للنشر ، و كان وقتئذ مديرا لمكتبة بلدية الإسكندرية ، فتبادلنا الرسائل فى هذا الصدد .  
ردحا من الوقت ، و انتهى بنا المطاف إلى التعاون فى نشر الأجزاء التاريخية البحتة لا سيما ما يتعلق منها بالمدينة على أن يكون النص مقرونا بالترجمة الفرنسية و هى لا تتحمل مستطردات النويرى المستطيلة فى فنون جانبية لا يهتم بها من القراء الغربيين سوى نقر يسير من المستشرقين مما لا يبرر القيام بذلك العمل الضخم كاملا .

١٥

=ibid., "Les pre'sages annoncant la croisade de Pierre de Lusignan et les causes de cette attaque," Bull. Soc. Roy. d'Arche'ologie d'Alexandrie, no. 37, Alexandrie 1938, pp. 1-15; ibid., "Notes de topographie et d'histoire d'Alexandrie," Bull. Soc. Roy. d'Arche'ologie d'Alexandrie, Alexandrie 1949, pp. 89-112.

(١) راجع فيما سبق الحاشية رقم ١ ص ٢ .

غير أن هذا المشروع كما تابعناه سويًا عدّة أعوام توقّف بانتقال  
 الزميل الكبير إلى دارالبقاء يوم ٩ يولييه سنة ١٩٦٢ وهو في سن الحادية  
 و الثمانين بمدينة القاهرة ، فكانت وفاته خسارة لا تقدر إزاء العمل في  
 تاريخ الإسكندرية و كان أعرف الناس بآثارها وأصولها في العصر  
 الإسلامي . ولما كنت آتئذ قد انتهيت من نصيبي في عملية نشر مستخرجات  
 كتاب الإمام كما رسمناها ، وأنا على وشك العودة لأعمالى الأكاديمية في  
 الولايات المتحدة الأمريكية ، فلم يكن بدّ من ترك جميع مذكراتنا بين  
 يدي الزميل كومب لمواصلة تجهيزها لأحد الناشرين بصفة نهائية . ولكن  
 إرادة المولى قضت بوفاته مأسوفا عليه قبل الفراغ من تلك المرحلة  
 الأخيرة ، فبقيت أوراق الكتاب مع مكتبته الخاصة بالمعهد السويسرى  
 للآثار الذى كان يديره . عندئذ كتبت إلى صديقى و زميلى الأستاذ  
 الدكتور روبرت ران ( Prof. Dr. Robert Rahn ) الملحق الثقافى  
 بالسفارة السويسرية بالقاهرة للتوسط رسميا بمواقفة السيدة الفاضلة أرملة  
 المسيو كومب لاستخلاص كل مادة الكتاب من تركته و الاحتفاظ  
 بها فى حرز إلى أن تسمح الظروف بعودتى لاستلامها توطئة لمراجعتها  
 و إعدادها للنشر ، فما كان من الدكتور ران ، و هو صديق الطرفين و على  
 علم بما كنا نعمله فى هذا الميدان ، إلا أن قام بكل ما رجوت مشكورا ،  
 وهكذا تمّ استلام أوراق الكتاب فى صيف سنة ١٩٦٤ و أحضرتها  
 صحبى إلى مكان عملى فى العام الجديد .

٢٠ وبينما أفكر فى أمر الناشر و ردتنى رسالة من السيد الدكتور عبد المعيد خان

مدير دائرة المعارف العثمانية و أستاذ اللغة العربية بالجامعة العثمانية في حيدرآباد  
 يبدى رغبة كريمة في الاضطلاع بنشر النص العربي في سلسلة المطبوعات  
 العربية لمعهد دائرة المعارف، لا سيما و أن حكومة الهند كانت قد رصدت  
 من المال قدرا كافيا يعين على نشره نظرا لأن مخطوطته الفريدة الكاملة  
 من مستودعات مكتبة بانسكى بور الشهيرة في الهند<sup>٥</sup>، غير أن قبول النشر في ه  
 تلك السلسلة كان مقرونا بالتزام نشر النص كاملا غير منقوص، مما حدا  
 بنا إلى إعادة التفكير في أمر المستخرجات التي أعدتها بالتعاون مع  
 المرحوم الميسوكومب. وبعد أخذ ورد رأيت الموافقة على اقتراح الدكتور  
 عبد المعيد خان في نشر النص العربي كاملا دون الترجمة للأسباب الآتية:  
 أولا - أن مبدأ نشر الكتب العربية القديمة نشرا كاملا غير ١٠  
 منقوص مبدأ سليم و فوائده أكثر من مثالبه.

ثانيا - أن الاستغناء عن الترجمة لمستخرجات الكتاب في الوقت  
 الحاضر لا يلزم الناشر بالتجاوز عن المستطردات العربية من النص بما  
 قد يكون فيها من نبتهم القارئ العربي دون المستشرق.

ثالثا - أن الأجزاء التي كنا قررنا حذفها لعدم وجود علاقة وثيقة ١٥  
 بينها و بين موضوع الكتاب الأصلي و هو حرب الإسكندرية في القرن

(١) الواقع ان فكرة النشر في حيدرآباد كانت معروفة منذ سنة ١٩٣٨ كما ذكر  
 ذلك بروكلمان في كتابه C. Brockelmann, *Geschichte der arabischen*  
*Litteratur*, 2 vols. Weimar / Berlin 1898-1902; Supplement, 3 vols.,  
 Leiden 1937-42, See Suppl., II, p. 34.

الرابع عشر الميلادي تحتوي الكثير من الأدب الشعبي و القصص العربي  
الذائع في العصر الإسلامي الوسيط ، كما أن بها قدرا غير يسير من شعر  
الشعراء غير المعروفين في كتب الأدب ، وهذا باب لا يستهان بقيمته  
للمشتغلين بالأدب الصريف .

رابعا - من الممكن تركيز تحشية النص بالمراجع الهامة التي تتصل  
بالاجزاء التاريخية فحسب ، وهذا العمل أتمناه على وجه التقريب  
بالتعاون مع المرحوم المسيوأتين كومب . أما الأقسام الأدبية و الشعرية  
و الفقهية و القصصية التي قمنا وحدثنا بإدخالها في النص من جديد ، فقد  
اكتفينا بضيبتها و الإضافة إليها من مخطوط بانكي پور و تحديد أمكنة  
الآيات في القرآن الكريم .

خامسا - أن الكتاب على ما فيه من مستطردات يشتمل على  
معلومات غزيرة لها قيمة أثرية بالغة في تاريخ المدينة الإسلامية و على  
بيانات هامة في موضوعات خاصة مثل تفصيل أنواع السفن و الأساطيل  
التي كانت تجوب البحر الأبيض المتوسط و التي كان يشاهدها بنفسه في  
حياته اليومية بميناء الإسكندرية .

وإننا لنأمل أن تكون تلك الأسباب كافة اتبرير العمل من جديد

(١) انتفع من التويرى بصفة خاصة في هذا الموضوع : H. Kindermann,  
J. Gildmeister, *'Schiff' im Arabischen* (Bonn Dissert; 1934).  
Ueber arabisches Schiffwesen, في مطبوعات Nachrichten d. kgl. Gesell. d. Wissenschaften,  
phil. Rist. Klasse. Göttingen 1882, pp. 431 ff.

في "كتاب الإمام" لسد الفراغات التي كنا قد تجاوزنا عنها في المشروع القديم مهما كلفنا هذا من الجهد والوقت في خدمة الأدب والأدباء .

\*\*\*

أما السياسة التي اتبعناها في نشر الكتاب فقد تطوّرت في مرحلتين :

المرحلة الأولى عند ما كنت في الزميل الميسوكومب نعمل على أساس مخطوطتي برلين والقاهرة ، والمرحلة الثانية جاءت في وقت متأخر عند ما حصلنا على مخطوطة بانكي پور وبدأنا في تحقيقها مع نص المخطوطتين السابقتين قبيل وفاة الزميل بسنين معدودة .

فلما بدأت إعادة النظر في نشر النص الكامل ، رأيت الإبقاء على

ما جاء في مخطوطتي برلين والقاهرة و هما بقلم واحد ، ليس فقط لقدمهما ،

ولكن نظرا لأنها منقولتان مباشرة عن نسخة المؤلف بدليل ما جاء ١٠

في ختام المجلد الأخير بالقاهرة وهو العبارة الآتية : « كان الفراغ

من كتابته من نسخة بخط مؤلفه رحمه الله في يوم الاحد المبارك الموافق

لسابع عشر شهر ربيع الأول الذي هو من شهور سنة أربع وستين

وألف على يد أفقر العباد وأحوجهم إلى رحمة ربه الكريم الهادي أحمد

درويش الوقادى والحمد لله وحده . ١٥

وإن تجد عيباً فسدّ الخلالا وجل من لا عيب فيه وعلاء اه .

يضاف لذلك أن نسخة برلين - القاهرة تمتاز بالدقة ، والبياض فيها

نادر أو أقل بكثير جدا منه في نسخة بانكي پور . على أنّ هذه الأخيرة

في مواقف عدّة تكمل ما ضاع من نص الأولى ، بحيث أنه أصبح من

الممكن جمع ثنات ما سقط من برلين - القاهرة في حواشي النص، و بهذا يكون عند القارئ عرض كامل بقدر الاستطاعة للأصل كما تركه المؤلف . هذا وقد قفنا في نفس الوقت بتحقيق ما يتصل بالمعنى من النصوص جميعها مع تجنب الإسراف في المقارنات اللفظية التي لا تنفع المعنى بشيء لا سيما ٥ وأن النسخ كثيرا ما يقعون في أخطاء شكلية غير مقصودة قد يحدو بنا حصرها إلى ما لا يحصى وإلى ثغرات لا مبرر لها في النشر .

و من الغريب أن مخطوطة برلين - القاهرة لا تحمل اسم المؤلف، بل يكتب الناسخ فيها بذكر مثل هذه العبارة: « كتاب الإمام بما جرت به الأحكام المقضية، تأليف الشيخ الإمام العلامة، العمدة الهام الفهامة، ١٠ رحمه الله تعالى و أرضاه. و جعل الجنة متقلبه و مشواه، و أعاد علينا من بركاته » . و قد كان ذلك مصدرا لدعوى أهلواردت<sup>١</sup> بأن مؤلف مخطوط برلين غير معروف، و تبعه في هذا الحكم كارل بروكلمان<sup>٢</sup> في كتابه الأصلي عن الأدب العربي و لو أنه صحح هذا في ملحقات<sup>٣</sup> الكتاب المشار إليه في وقت متأخر - أما مخطوطة بانسكي پور كما جاء في ١٥ النسخة التي وردت عنوانها و تأليفها كما يلي: « كتاب مرآة العجائب، و ذلك بالإمام فيما جرت به الأحكام المقضية، في وقعة الإسكندرية، مع ما أضيف إلى ذلك من الاستطرادات المستحسنات الحاوية لأصناف

(١) W. Ahlwardt, *Verzeichniss der arabischen Handschriften der Königlichen Bibliothek zu Berlin*, 10 vols., Berlin 1887-99. Vol. IX, pp. 304-6, no. 9815 (We. 359, 360).

(٢) راجع حاشية سابقة. C. Brockelmann, *Op. cit.*, Vol. II, pp. 35-36.

(٣) Supplement, Vol. II, p. 34.

الفنون من العلوم الأدبية و التواريخ و الأنساب و الأخبار و المسالك و تدير  
الممالك و الملوك و الدول و الرعية . . . تأليف الشيخ الإمام سلطان العلماء  
الأعلام . . . أبو عبد الله محمد بن عمر زين الدين بن الواقدي ' . و هذا  
العنوان و ذلك المؤلف على ما فيه من اتفاق مع مخطوط صغير بالمتحف  
البريطاني خطأ واضح أوردنا تفنيده في حواشي الكتاب و المواضع التي  
أثبتنا فيها اسم المؤلف الحقيقي .

إذن فالمخطوطات التي اعتمدنا عليها في إحياء هذا النص ثلاث وهي :

أولاً - مخطوطة برلين ( انظر حاشية أهلواردت<sup>٢</sup> بعاليه ) ورقمها «وتزشتين

٣٥٩ و ٢٦٠ ، و هي قسمان في مجلد واحد من ورقة ١ إلى ١٣٩ و من

١٤٠ إلى ٢٧٠ و قد رمزنا لها في الحواشي بالحرفين « بر » .

ثانياً - مخطوطة القاهرة و هي استمرار لمخطوطة برلين و ناسخهما واحد

و تاريخهما واحد و هي محفوظة بدار الكتب تحت رقم «١٤٤٩ تاريخ» .

و قد رمزنا لها في الحواشي بالحرف « ق » .

(١) راجع فهرس مخطوطات بانكي پور العربية Bankipore, XV, 1066

(٢) انظر فهرس المخطوطات العربية بالمتحف البريطاني B.M. Suppl., 606 fol. 50/70

و عنوان المخطوطة : «مرآة العجائب في وقاية الإسكندرية للواقدي» .

(٣) ورد في فهرس برلين لأهلواردت مجلد ٧ ص ٧٩ تحت رقم ٧٨٦٥ (وتزشتين

٣٥٩ ورقة ١١٨ : ١) ذكر إحدى المراثي التي قيلت فيما وقع بالإسكندرية من

الخفيف في ١١٦ بيتا مطلعها :

عاذلى لا تلم و خل ملامى فعيونى بعد الدموع دوامى

(٤) راجع فهرس الكتب العربية ( ٨ مجلدات طبع القاهرة ١٩٢١ - ١٩٤٢ )

مجلد ٨ ص ٢٤ ، و فيه يشير المفهرس خطأ إلى أن القسم الأول من المخطوط

محفوظ في ليدن بدلا من برلين .

ثالثاً - مخطوطة بانكى پور بالهند وهى رقم "Bankipore XV, 1066" وتحتوى على النص الكامل من أوله إلى آخره رغم ما فيها من بياض وغموض فى كثير من المواضع وقد رمزنا لها بالحرفين «بن» فى حواشى الكتاب. وقد ورد ذكر النويرى و«كتاب الإمام» فى بعض كتب الكتاب

٥ القدامى مثل ابن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢ هـ / ١٤٤٩ م والسخاوى المتوفى عام ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م، كما ذكره المحدثون أمثال حاجى خليفة<sup>٢</sup> وفى وقتنا عمر رضى كحالة<sup>٤</sup>. وربما كان أبلغ ما قيل فى تأليف النويرى ما أورده السخاوى فى كتابه (التوبيخ فى ذم التاريخ) : «ولمحمد بن قاسم ابن محمد النويرى السكندرى المالكى صفة الكائنة العظمى التى وقعت للفرنج فى أول سنة سبع وستين ملكوها ونهبوا أموالها، وأسروا نساءها ورجالها، فى ثلاث مجلدات، ولكنه استطرد فيها من شىء إلى شىء، فانه ابتدأها بصفة فتحها، واستمر بحيث كانت الواقعة فى جانب ما ذكر كالشامة<sup>٥</sup>. فالسخاوى إذن كان على علم بأن الكتاب ثلاث مجلدات وأنه

- (١) الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة (اربع مجلدات)، مجلد ٤ ص ١٤٢.
- (٢) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، طبع القاهرة ١٣٤٩ هـ.
- (٣) كشف الظنون فى أسامى الكتب والفنون تأليف كاتب چابى حاجى خليفة فى مجلدين وملحقين طبع استنبول ١٩٤١-١٩٤٥ - انظر مجلد ١ ص ٢٨٢ تحت تاريخ الإسكندرية.
- (٤) معجم المؤلفين، تراجم مصنفى الكتب العربية، ١٥ مجلداً، طبع دمشق ١٩٥٧-١٩٦١، انظر مجلد ١١ ص ١٤٧.
- (٥) انظر عليه حاشية رقم ٢: التوبيخ، ص ١٢٢.

امتلاً بالمستطردات كما أوضحنا .

في الختام أودّ أن أشيد بذكرى صديقي المغفور له أتين كومب الذي كان له نصيب السبق في معالجة هذا النص و ترجمته إلى اللغة الفرنسية ، و أنا عليم بأنه خصّص لذلك عدة حقبات من حياته العلمية الحافلة ، عسى أن يُقْبِل أحد المستشرقين الفرنسيين على الاضطلاع بنشر تلك الترجمة كليا أو جزئيا ، بعد أن يوفقنا المولى إلى نشر أجزاء النص تباعا . كما أنه لا يفوتني إبداء تقديري لحكومة الهند الموقرة و هيئة دائرة المعارف العثمانية على اهتمامها المشكور بالمساهمة في تيسير طبع هذا الكتاب .

عزيز سوريال عطيه

تحريرا في سولت ليك ستي بولاية

يوتا بالولايات المتحدة الأمريكية

في شهر فبراير سنة ١٩٦٧



# [١:ب'] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

59364

و صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم . الحمد لله الواحد القهار ،  
العزیز الجبار ، المعزّ المذلّ ، الهادي والمضلّ ، ذی العرش المجید ، و الملك  
العتید ، و البطش الشدید ، الفعّال لما یرید . أحمدہ على السراء و الضراء ،  
و أشکرہ على حلو العیش و مرّ القضاء ، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده  
لا شریک له ، شهادة معترف بالنعماء ، صابرا للبلوی ، و أشهد أن محمدا عبده  
و رسوله خاتم الأنبياء ، و سید الأصفیاء ، المبعوث إلى كافة الوری لإقامة  
دين الإسلام ، و الهدى إلى دار السلام ، فجاهد في الله حق جهاده ،  
و هدى الله به من شاء من عباده ، و أنزل عليه كتابه المبين : ” اَلَمْ يَغْلِبْتَ  
الرُّومَ فِي آدْنَى الْأَرْضِ وَ هُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي  
بَعْضِ سِنِينَ ۲ ” .

و بعد ، فان ثغر الإسكندرية المحروس من حين فتحه خالد و عمرو ،

(١) استعملنا الحرفين الف ، ب بجانب رقم كل ورقة من أوراق المخطوط للدلالة  
على وجه كل ورقة و ظهرها وهو المصطلح عليه بلفظي recto و verso .

(٢) زيد في بن : و صحبه .

(٣) قرآن كريم ٣٠ : ١ الى ٤ .

(٤) يرى القارئ منذ بداية الكتاب أن المؤلف يقع في بعض الأخطاء التاريخية ،  
و من بينها ما ذكره هنا من أن خالد بن الوليد اشترك في فتح العرب لمصر  
و الاستيلاء على ثغر الإسكندرية . راجع أيضا فيما بعد ( ورقة ٨٠ : الف )  
حيث يكرر المؤلف هذه الأسطورة و مصدرها الأصلي هو الواقدي .

و صار للمسلمين فيه النهى و الأمر ، لم تمتد إليه يد جبار جائر ، ولا مشرك  
 كافر ، بل كل من قصده من البحر الملح ، رجع بالخيبة و عدم الربح ،  
 قد حصل للمسلمين فيه العز المتين ، و السعد المكين ، على ممرّ الأعوام  
 و السنين ، حتى جرى الأمر المبرم ، في شهر الله المحرم ، عن سنة سبع  
 و ستين و سبعمائة من هجرة سيّد المرسلين ، محمد خاتم النبيين ، صلى الله  
 عليه و على آله و سلم أجمعين ، فأتى الكلب اللعين ، في جنده الضالين ،  
 ريبير بطرس ، صاحب قبرس<sup>١</sup> ، بأسطوله في البحر الملح ، في صفة لص  
 و شلح ، فخرح الثغر بسيفه ، و جار عليه بظلمه و حيفه ، فتم فعله<sup>٢</sup>  
 ظفرا و ظهورا ، و كان أمر الله قدرا مقدورا ، فلم يكن ظفره بحوله

(١) المحرم ٧٦٧ يعادل سبتمبر - اكتوبر سنة ١٢٦٥ . راجع تاريخ المعركة  
 المضبوط فيما بعد (ورقة ٢٧ : الف ، ٩٧ : ب و على وجه أخص عند ما يتعرض  
 المؤلف إلى سرد تفصيلاتها في الأوراق ١٠١ : الف ، ١٤٨ : الف ، ١٨٥ : ب ،  
 ١٨٧ : ب ، ١٨٨ : ب ) .

(٢) زيد في بن : جزيرة .

(٣) يذكر المؤلف عادة اسم ملك قبرس « ريبير بطرس » اعتمادا على السماع .  
 و هو في ذلك يكرر اسم الملك عن غير قصد لأن « ريبير » ما هو إلا الاسم  
 الفرنجي rey Pierre و بطرس الترجمة العربية للاسم . و لفظة « ريبير » ترد  
 في الأصول الأوربية ، مثال ذلك في ماخيرات مؤرخ قبرس الاغريقي  
 " Ὁ πῆρς ἰερίσ " و قد جاء في التواريخ العربية أوضاع مشابهة لأسماء ملوك

الغرب مثل « ريدافرانس » rey de France و أيضا « ريدارغون » rey d' Aragon

- راجع المقدمة التاريخية في كل ما يتعلق بأسماء أسرة لوسيجنان أولوسنيان التي  
 حكمت قبرس في هذا العهد .

(٤) من بن ، و في الأصل : له بفعله .

و قوته ، بل بقضاء الله و قدرته ، لما سبق ذلك في علمه حتى أفضده بأمره  
 و حكمه ، ف” لله الأمر من قبل و من بعد “ يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد :  
 و ما كان إلا هكذا إن أردته<sup>٤</sup> و لو لم ترده لم يكن قط هكذا  
 فلا يجرى في الملك و الملكوت طرفة عين و لا لفته خاطر ، و لا فلة  
 ناظر ، إلا بقضاء الله و قدره ، و بارادته و مشيئته ، فنه الخير و الشر ، ه  
 و النفع و الضر ، و العز و الذل ، و النصر و الخذلان ، و الطاعة و العصيان ،  
 و الرشده و الإيمان ، و الإسلام و الكفر ، و الفوز و الخسر ، و الغواية  
 و الرشده . و قد عرف النبي صلى الله عليه و سلم أمته على أن يشعروا  
 بأن الله هو الغالب في كل أمره ، و أن يروا ذلك أدبا من الله  
 لهم لا غلبة من أعدائهم ، فقد قال [٢ : الف] عليه السلام : إنهم ليظفروا<sup>٥</sup> .  
 كما تنصرون<sup>٦</sup> ، قال بعضهم<sup>٧</sup> :

أيها المعتاض بالنوم السهر      ذاهلا يسبح في بحر الفكر  
 سلم الأمر إلى مالكه      و اصطبر فالصبر عقباه الظفر  
 لا تكونن آتسا من فرج      فهي الأيام تأتي بالعبر

(١) في بن : بقوة .

(٢) قرآن كريم ٣٠ : ٤ .

(٣) في الأصول : انت - كذا ، و لا يستقيم به الوزن .

(٤) من بن ، و وقع في الأصل : رده - كذا .

(٥) كذا في برو بن ، و الظاهر : ليظفرون .

(٦) هكذا في برو بن ، و في بن : كما تنصروا .

(٧-٧) من بن ، و في الأصل : شعر .

كدر يحدث في وقت الصفا      و صفا يحدث في وقت الكدر  
 وإذا ما سرّ دهر مرّة      ساء أهليه و مهما ساء سرّ  
 و الليالي مقربات أبدا      تلد الضدين من خير و شر  
 فارض عن ربك في أقداره      إنما أنت أسير للقدر  
 قل لمن يحذر أن يدركه      نكبات الدهر لا يغني الحذر  
 أذهب الحزن اعتقادي أنه      كل شيء بقضاء و قدر

و اعلم أنه إذا نزل القضاء ضاق القضاء ، و إذا نزل القدر بطل الحذر .  
 كان لبعض الصالحين ولد صغير فضاع فقيل له : لو دعوت الله أن يردّه  
 عليك فقال : إن اعتراضى عليه فيما قضى أشد من ذهاب ولى على .

(١) ريد في بن : حكى أن سنيا كان يناظر معتزليا في مسألة القدر فقال المعتزلى :  
 تفاحة من شجرة و كان النبل كالقطف لهذه ، فقال السنى : إن كنت فعلتها  
 فردها الى مكانها ، فأقحم المعتزلى و انقطع و مما لزمه ذلك لأن القدرة التى تحمل  
 بها الإيجاد لا بد أن تكون جامعة للضد من تفرق و توصل . مات بعض المعتزلة  
 فصلى عليه بعض أهل السنة فقيل له : لم صليت على هذا المعتزلى الذى ينكر عذاب  
 القبر و ينكر النظر إلى ربه و ينكر شفاعته النبى صلى الله عليه و سلم فى العصاة من  
 امته ويقول بتخليد أهل الكباثر فى النار؟ فقال السنى : أنا اعلم كيف صليت عليه ،  
 قلت فى التكبيرة الأولى : اللهم انه كان منكرا عذاب القبر فعذبه فى قبره ، و فى  
 التكبيرة الثانية قلت : اللهم إنه كان ينكر النظر إليك فأحرمه النظر إليك ، و فى  
 التكبيرة الثالثة قلت : اللهم انه كان ينكر شفاعته النبى صلى الله عليه و سلم فأحرمه  
 شفاعته فيه ، و فى التكبيرة الرابعة قلت : اللهم إنه كان يقول بتخليد أهل الكباثر  
 فى النار فخلده فى نارك - انتهى ، نعود .

و روى في الإسرائيليات ' أن نيا من الأنبياء مر بفتح منصوب و إذا طائر قريب منه، فقال الطائر: يا نبي الله! هل رأيت أقل عقلا من هذا الرجل نصب هذا الفخ ليصيدني فيه؟ فأنا لا أطير إليه، فذهب عنه ثم رجع فاذا بالطائر في الفخ، فقال له: عجا لك! أو لست القائل آفا كذا وكذا؟ فقال: يا نبي الله! إذا جاء الحين لم يبق أثر ولا عين'. روى أن رجلا قال لبزرجهر حكيم الفرس<sup>٢</sup>: تعال تتناظر في القدر، قال: وما تصنع

(١) وردت فيما بعد استخراجات أخرى من هذه «الإسرائيليات» أو القصص الإسرائيلية (راجع مثلا الأوراق ٩: ب، ٦: ب، ٨٦: ب، ١٥٥: الف، ٢٤٣: ب، ٢٤٨: الف، ٢٥٧: الف). انظر في موضوع الإسرائيليات البحث الذي نشره المستشرق Goldziher في مجلة "Rev. d. E'tudes Juives" جزء ٤٤ (١٩٠٢) ص ٦٣ وما يتلوها - والقصة التي نحن بصددنا وردت في كتاب «سراج الملوك» للطرطوشي، طبعة بولاق سنة ١٢٨٩ هـ ص ١٨٣ عند الكلام «في القضاء والقدر». (٢) زيد في بن: قال بعضهم:

ولقمة بجريش الملح آكلها ألدّ من تمرّة تحشى بزنبور  
كم لقمة قدمت لأكلها خنقا كحبة الفخ دقت عنق عصفور

(و وقع في بن «خير» مكان «الذ» ولا يستقيم به الوزن).

(٣) كان الحكيم بزرجهر وزير الملك فارس الشهير كسرى انوشروان - وقد ذكره النويري مرة أخرى فيما بعد (راجع ورقة ١٧٩: الف) في عبارة قصيرة عن «مناقب الأطفال» حيث يقول: «قال بزرجهر حكيم الفرس: إن شئت أن تصير من جملة الأبدال، فحول أخلاقك إلى أخلاق الأطفال. فقيل له: كيف ذلك؟ فقال: في الأطفال خمس خصال لو كانت في الكبار لكانوا أبدالا، وهي أنهم لا يفتنون للرزق، وإذا مرضوا لم يشكوا من خالقهم، وأنهم =

بالمناظرة<sup>١</sup> في القدر، رأيت ظاهرا استدلت به على الباطن، رأيت أحق مرزوق<sup>٢</sup>، وعاقلا محروم<sup>٣</sup>، فعلت أن التدبير ليس للعباد .  
 و اعلم أن هذه المدينة المسورة الحصينة البيضاء<sup>٤</sup> المضيفة المسماة بالإسكندرية، جرت لها مجرورية<sup>٥</sup> عجيبة هائلة غريبة لم تجر لمدينة من المدن . لأنها أخذت من المسلمين سريعا من غير حرب، و رُدَّت إليهم سريعا من غير حرب، وهذا من عجائب الاتفاقات فسبحان الفعال لما يريد! و سيأتي ذكر ما جرى لها مفصلا إن شاء الله تعالى، و سأذكر ما قيل في حيلة اللعين، الكلب المستهين، ربير بطرس، صاحب قبرس، و الجزيرة القبرسية، = لا يأكلون الطعام مجتمعين، و إذا تخاصموا لم يحاقدوا و سارعوا إلى الصلح، و أنهم يخوفون فيخافون بأدنى تخويف و تدمع أعينهم» انظر فيما يتعلق بشخص الحكيم بزرجهر: السعودي - مروج الذهب ج ٢ ص ٢٠٦ - ٢١٠، ٢٢٤ و ٢٢٥ - كذلك Richter, Arab. Feuerstenspiel pp. 12, 15, 103 و حواشي ص ٦٥، ٦٨ من نفس البحث . راجع أيضا المقال الوارد في « دائرة المعارف الإسلامية » و الباحثين الآتين للمستشرقين نولدكه و كرستين .

Noeldke, Burzoe's Enleitung zu d. Buche "Kalila wa Dimna" 1912, ('Schrift d. Gesell. d. Wiss. Strassburg, XII). Christensen, Lale'gende du Sage Buzurdjimihi (= Burzoe?), in "Arch. Orientalni. Praga," VIII, 1929, pp. 81-128.

(١) من بن، و في الأصل : بالمنا .

(٢) كذا .

(٣) مدينة الإسكندرية البيضاء - انظر فيما بعد الورقة ١٦٧ : الف .

(٤) من بن، و في الأصل : « حلية » .

(٥) زيد في بن : اتى بنصاري الرومانية .

المتعدى<sup>١</sup> على الإسكندرية [ ٢ : ب ] . قيل إنه طويل القامة قسم الله ظهره ، و عكس أمره ، أزرق العينين<sup>٢</sup> حشره الله في القيامة أزرقا ، وجعله من الذين كتب عليهم الشقاء<sup>٣</sup> ، مصفر اللون<sup>٤</sup> صفر الله يده من كل خير ، وجعل مسيره إلى جهنم شر سير ؛ اسمه ربير ، أغرقه الله في بئر السعير ، وجعله في سائر حركاته ذليل<sup>٥</sup> حقير<sup>٥</sup> ، واسم أبيه ريوك<sup>٥</sup> وأخوه الواحد البرنز<sup>٦</sup> والثاني جاكان<sup>٨</sup> أخبرني بذلك رجل مسلم قال : كنت أميرا بقبرص فيما مضى من الزمان أقمت بها<sup>٩</sup> اثنتي عشرة<sup>٩</sup> سنة

(١) زيد في بن : بهم .

(٢) انظر ما بعد الورقة ٩٤ : ب حيث يظهر من سياق الكلام أن اللون الأزرق كان من الألوان المشؤمة ، وهذا يفسر الزام المسيحيين من سكان الدواة الإسلامية لبس العمام الزرق للرجال وكذلك لبس الإزار الأزرق عند النساء .

(٣) إشارة إلى ما جاء في القرآن الكريم . ٢٠ : ١٢٤ .

(٤) انظر الورقة . ٤ : الف و الإشارة إلى اسم بني الأصفر .

(٥) كذا .

(٦) الملك هوج أو هيو ، وأغلب الظن أن «ريوك» مشتقة من الإيطالية Re Ugo أو الفرنسي القديم Rey Hugues أو اليوناني القبرصي . راجع المقدمة التاريخية للكتاب .

(٧) «البرنز» أو «البرنس» وردت أيضا في الورقة ١٦٩ : ب و المفهوم انه أمير انطاكية . راجع المقدمة التاريخية .

(٨) «جاكان» من اليوناني القبرصي Tzx kon و بالإيطالية Zac . راجع المقدمة التاريخية .

(٩-٩) في الأصل و بن : اثني عشر .

و أخبرني أيضا أحد التركان القادمين من مدينة العلايا<sup>١</sup> ببر التركية  
المحاذية للجزيرة القبرسية إلى مدينة الإسكندرية أن لصاحب قبرس  
المذكور أخ أكبر منه رزقه والده ريوك من امرأة بوطا<sup>٢</sup> كانت عنده  
مقيمة و البوطا بلغة الفرنج الفاجرة العاهرة المجاهرة سماه ريوك الملك  
٥ <sup>هـ</sup> <sup>سُنْجَوَان دُمُرْف</sup> و سأذكر فيما يرد من هذا [الكتاب - ٤] كيفية محاربة  
سنجوان دمرف و ولد<sup>٣</sup> الزنا اللعين للمسلمين في العشر الأول من ذي الحجة  
سنة سبعين و سبعمائة لما أتى في غربانه الحرية ، إلى ميناء الإسكندرية  
الغربية ، فقهرته جنود<sup>٤</sup> المسلمين ، و رجع هو و من معه من حيث أتوا  
خائبين خاسرين ، بعد أن قتل<sup>٥</sup> المسلمون من رجاله جماعة ، فزال من  
١٠ الملعون الحماقة و الرقاعة ، و خسر و ما استفاد ، و هذا جزاء من تظاهر

(١) العلايا - انظر ٢١٥ : ب .

(٢) وردت أيضا في مخطوطة القاهرة ورقة ٢٧٤ : ب و اللفظة مشتقة من أصل  
إيطالي . راجع في ذلك المقدمة .

(٣) « سنجوان دمورف » انظر أيضا الورقة ٣٧ : ب و مخطوطة القاهرة ٢٤٧ :  
ب ، و المقصود Zuwan ( Jean ) de Morf . راجع المقدمة التاريخية .

(٤) من بن .

(٥) في بن : محاربه .

(٦) من بن ، وفي الأصل : الولد .

(٧) في الأصل و بن : مينة - كدا .

(٨) من بن ، وفي الأصل : حند .

(٩) من بن ، وفي الأصل : قتلت .

بالفساد ، و سيأتي خبر وقته مع المسلمين مفصلة إن شاء الله تعالى ،  
 وكان ظفر ربير بن ريوك المذكور بالإسكندرية في دولة الملك الأشرف  
 شعبان بن الحسين بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون سلطان  
 الديار المصرية و الشامية و غيرها ، وهو إذ ذاك صغير السن ، و قائد  
 جيوشه حينئذ الأمير الأتابكي يلبغا الخاسكي ٣ ؛ قاله تعالى ينصر المسلمين ٥  
 على الفرنج الكافرين ، و يجعل دين الإسلام منصورا على الدوام [ فهو  
 الدين الحق المعتر عند الله الذي ارتضاه لعباده يعبدونه به - ٤ ] . قال الله  
 تعالى ” ان الدين عند الله الإسلام ” و الإسلام عبارة عن التسليم و التسليم  
 عام في القلب و الجوارح فان كل تصديق هو تسليم ، و قال عز و جل ” و من  
 يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ” ١٠  
 عن عبد الله بن عمر رضی الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم  
 يقول : بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله ،  
 و إقام الصلاة ، و إيتاء الزكاة ، و حج البيت ، و صوم رمضان - رواه البخاري  
 و مسلم . [ ٣ : الف ] و عن عمر بن الخطاب رضی الله عنه قال : بينما نحن جلوس

(١) خبر هذه الواقعة و ارد في مخطوط القاهرة [ ق ، ج ] كما يظهر فيما بعد .

(٢-٢) من بن ، و في عبارة الأصل بعض ارتباك ، إذ أن الناسخ أخطأ فكتبها  
 « صغير السن و قد جيوشه » ثم شطب لفظة « و قد » و وضع فوقها النبرة المعتادة  
 في تصحيح الخطأ بالهامش ، و لكن قاته ان يضع الصواب .

(٣) كذا في الأصل على الدوام ، و الأصح « الخاسكي » .

(٤) ما بين الحاجزين زيد من بن .

(٥) قرآن كريم ٣ : ٨٥ .

عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض  
 الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس  
 إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه  
 وقال: يا محمد! أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:  
 الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة،  
 وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحتج البيت إن استطعت إليه سبيلاً. قال:  
 صدقت. فحجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان، فقال: أن تؤمن  
 بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره.  
 قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان قال: أن تعبد الله كأنك تراه،  
 ١٠ فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: فأخبرني عن الساعة. قال: ما المسؤول  
 عنها بأعلم من السائل. قال: فأخبرني عن أمارتها. قال: أن تلد الأمة  
 ربها، وأن ترى الحفاة العراة [العالة - ٢] رعاء الشاء يتطاولون في البنيان.  
 ثم انطلق فلبث ملياً ثم قال: يا عمر أتدرى من السائل؟ قلت: الله ورسوله  
 أعلم. قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم - رواه مسلم. قال الشيخ محي الدين  
 ١٥ التواوي: قوله: تؤمن بالقدر خيره وشره، معناه تعتقد أن الله تعالى قدر  
 الخير والشر قبل خلق الخلق وأن جميع الكائنات بقضاء الله تعالى وبقدره  
 وهو مراد لها. و أمارتها بفتح الهمزة أي علامتها؛ قوله: وتلد المرأة

(١) كذا في الأصل وهامش صحيح مسلم ٢٧/١ بعلامة النسخة، وفي بن ومتمن

الصحيح: اماراتها.

(٢) زيد من صحيح مسلم.

ربتها - أي سيدتها، ومعناه أن تكثر السراري حتى تلد الأمة السرية،  
 بنتا لسيدها و بنت السيد في معنى السيد، و قيل: يكثر يسع السراري  
 حتى تشتري المرأة أمها و تستجدها جاهلة بأنها أمها، و قيل غير ذلك؛ قوله:  
 العالة - أي الفقراء، و معناه أن أسافل الناس يصيرون أهل ثروة ظاهرة؛  
 قوله: لبثت مليا، هو بتشديد الياء أي زمانا كثيرا و كان ذلك ثلاثا، هكذا  
 جاء مينا في رواية أبي داود و الترمذي و غيرهما. و اعلم أن الأمانة هي  
 أعظم شعب الإيمان لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد نفي الإيمان عن من ليس  
 بأمين فقال: لا إيمان لمن لا أمانة له. و روى أبو هريرة عن النبي صلى الله  
 عليه وسلم أنه قال: إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة. فانظر ما أعظم قدر  
 الأمانة التي يذهب الإيمان بذهابها، و ينتظر [٣: ب] قيام الساعة إذا ضيعت  
 الأمانة. و قال النبي صلى الله عليه وسلم: الإيمان بضع و سبعون شعبة، أعلاها  
 شهادة أن لا إله إلا الله، و أدناها إماطة الأذى عن الطريق. و هذا يحتمل  
 الظواهر و البواطن لعموم لفظ الطريق ينطلق بحجة الاقدام على طريق  
 الإشارة و طريق السلوك إلى الله جل جلاله. ١. 59364

(١) زيد بن: « قوله عز وجل أجمعتم سقاية الحاج و عمارة المسجد الحرام كن  
 آمن بالله الخ فهذا انكار لأن يجعل حرمة الجماد كحرمة من آمن بالله وهو بيان  
 عجيب و قد اكشف الآية للتشبيه الباطل و القياس الفاسد و في ذلك دلالة على  
 تعظيم حال المؤمن بالإيمان فانه . . . . . به مخلوق على صفته في القياس، ذكره  
 أبو الحسن علي بن عيسى الرماني ( في النسخة: الروماني - كذا ) في النكت في إعجاز  
 القرآن و توفي علي بن عيسى الرماني ( النسخة: الروماني ) المذكور سنة ست و ثمانين  
 و ثلاثمائة - انتهى، عن وهب بن منبه قال إن الله تعالى لما هبط آدم عليه السلام =

و روى أن ابن عمر رضى الله عنهما نظر إلى الكعبة فقال : ما أعظمك  
و أعظم حرمتك ! و المؤمن أعظم حرمة عند الله منك . ذكر أبو طالب المسكى  
فى كتاب " قوت القلوب " عن بعض السلف أنه قال إن الله تعالى شرف  
الكعبة و عظيمها و لو أن عبدا هدمها ' و أحرقها ' ما بلغ جرم من استخف  
بولى الله تعالى ، قيل : و من أولياء الله تعالى ؟ قال : كل مؤمن ، أما سمعت  
الله تعالى يقول " الله ولى الذين آمنوا " هذا فى عموم " المؤمنين فما ظنك  
بالأولياء المقربين .

قال الشيخ عز الدين<sup>٢</sup> يوسف الواسطى : كان بناحية قوص<sup>٥</sup>

من الجنة إلى الأرض حزن واشتد بكأؤه على الجنة فحياه الله . . . . من الجنة  
له بمكة فى موضع الكعبة قبل أن يكون الكعبة و كانت من ياقوتة حمراء فيها  
قناديل من ذهب و انزل معها الركن وهو يومئذ ياقوتة بيضاء و كان كرسي  
لآدم عليه السلام . و عن حجها من الملوك النعمان بن المنذر وهو ملك نصرانى  
و حجها ملوك فارس ، قال الشاعر :

زمزمت الفرس على زمزم و ذاك فى سالفها الأقدم

و بنى الكعبة ابراهيم الخليل عليه السلام و سيأتى لمعان أخبار الفرس ان شاء الله تعالى .

(١-١) فى بن : او حرقها .

(٢) قرآن كريم ٢ : ٢٥٧ .

(٣-٣) فى بن : عموم فى .

(٤) زيد فى بن : ابن .

(٥) زيد فى بن : بصعيد مصر .

والى' يقال له طيغنا وكان يزور الشيخ أبا الحجاج الأقرى' فسمعه وقتا يقول: جاء فى الحديث: من آذى وليا من أولياء الله تعالى فكأنما هدم الكعبة سبعين مرة، فاستعظم الوالى هذا الكلام واجتمع بالشيخ مجد الدين والد الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد وكان الشيخ مجد الدين من العلماء الأكابر فقال له: يا سيدى! أريد أن تذهب معى إلى زيارة هـ الشيخ أبى الحجاج، فذهبا جميعا<sup>٢</sup>، فلما حضر الشيخ مجد الدين عند الشيخ أبى الحجاج قال ذلك الوالى للشيخ مجد الدين: يا سيدى! هل جاء فى الحديث: من آذى وليا فكأنما هدم الكعبة سبعين مرة؟ قال فقال الشيخ مجد الدين: هذا فلا أعلمه لكنى أعلم فى الباب ما هو أعظم من هذا، ثبت فى الصحيح أن من آذى وليا فقد حارب الله، وأين محاربة الله من هدم الكعبة؟ فقال حينئذ الشيخ أبو الحجاج للوالى: تجالسنى بالحياة لتجدن غيبها! فقال: يا سيدى! فى الدنيا! قال: فى الدنيا، فما مضت الستة حتى رأى ذلك الوالى فى نفسه وماله أمرا عظيما، فانظر رحمك الله إلى توفيق هذا العالم فى الوفاء لحق الله ورعاية العلم وحفظ أدب الحديث والتأدب مع أولياء الله تعالى، فصحح ما قاله الشيخ أبو الحجاج وأكدته من حيث المعنى هـ

(١) كذا.

(٢) تاريخ وفاته سنة ٦٤٠ أو ٦٤٢ هـ. انظر «الطالع السعيد» للأوفوى (طبع مصر ١٣٣٢ هـ) ص ٥٧٣ و«المقصد» نشر كولان Colin مع الترجمة ص ٥٧ و ١٨٥- ويذكر ابن بطوطه قبره وزيارته له فى رحلته ج ١ ص ١٠٧

راجع ص ١٩-٤٧ فى (Legrain: Louqsor sans les Pharaons (1914)

(٣) زيد فى بن: اليه.

و أعطى العلم حقه و الأدب حقه - انتهى .

فلنرجع إلى ما قيل في فرائض الإسلام و سنته و شروطه ، فمن فرائض الإسلام قول: لا إله [ ء : الف ] إلا الله<sup>١</sup> ، و سنته حديث النبي صلى الله عليه وسلم: من قال: لا إله إلا الله - مخلصا بها قلبه صادقا بها لسانه ، دخل الجنة ، و شروطه<sup>٢</sup> تقديم الشيخين أبي بكر و عمر رضي الله عنهما . و قال صلى الله عليه وسلم: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله ، فمن قالها بلسانه فقد سلم من السيف و القتل و كان له حرمة الإسلام و المسلمين ظاهرا في مقام الإسلام<sup>٣</sup> ، فان أسلم قلبه كما أسلم لسانه فقد سلم من عذاب الآخرة كما سلم من عذاب الدنيا . و هي ثلاث مقامات: ١ المقام الأول في إقرار اللسان بالشهادة ظاهرا و انقياد الجسد لأمور

(١) زيد في بن : ذكر .

(٢) زيد في بن : عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قال العبد أشهد أن لا اله الا الله قال الله تعالى يا ملائكتي علم عبدي أنه ليس له ربه غيري ، أشهدكم اني قد غفرت له ، خرجه قاضي القضاة ابو العباس أحمد بن محمد بن حسن بن الحراز الخزر جي في الأربعين حديثا المسماة بالساعات .

(٣) في بن : شروط الإسلام .

(٤) هذا الجزء و ما يليه من نوع « المستطردات » التي طالما يسترسل فيها النويري ، و أغلبها حشو على هامش موضوع الكتاب ، و كان من الممكن حذفها إطلاقا مع الاقتصار على لب الكلام ، ولكن رثي في النهاية أن الأدق و الأسلم إظهار النص على أصله كاملا و الاحتصار التام في تحشية الأجزاء الناتئة ، و الاكتفاء بتسجيل مادتها من شؤون فقهية و دينية و حكايات و شعر و غير ذلك - انظر المقدمة التاريخية التحليلية .

الإسلام و المسلمين ، و المقام الثاني اتقياد النفس لقبول الإسلام و ترك  
التفور و الإبادة عنه باطنا و إلا كان صاحب المنطق به مناقضا ، و المقام  
الثالث اتقياد الروح و القلب للذي فطر السهوات و الأرض ، كما قال :  
”وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ  
الْوُثْقَىٰ“ فيكون إسلامه طوعا و لا يكون كرها ، كما قال تعالى : ”وَلَهُ ۥ  
اسْلَمَ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعًا وَ كَرْهًا“ و هو تفويض الجملة إلى  
الله و إسلام الأمور إليه . و لا يتم توحيد عبد إلا بالإقرار بأن محمدا  
رسول الله لأنها لا تفرق ٢ .

قال بعض مداح النبي صلى الله عليه و سلم :

١٠ قرن المهيمن باسمه اسم محمد فذلك يجهر معلنا من أذنا  
هذا هو الشرف الذي ما ناله أحد سواه و لا له طمحت مني

وكل من زعم أن الرسالة يستغنى عنها بالتوحيد فهو كافر ، قال الله تعالى :  
”وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيَقُولُونَ تَوَٰمِنٌ بِبَعْضٍ وَنُكْفَرُ  
بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكٰفِرُونَ حَقًّا“

(١) قرآن كريم ٣١ : ٢٢ - و بقية الآية « و إلى الله عاقبة الامور » .

(٢) قرآن كريم ٣ : ٨٣ - و بقيتها « و إليه يرجعون » .

(٣) في بن : لا تفرق .

(٤) كذا ، و لا يستقيم به الوزن .

(٥) في الأصل و بن « و رسواه » و هذا صحته .

(٦) في الأصل و بن « ببعض الكتاب » و صحته بدون « الكتاب » ، و الكلمة في  
الأصل محاطة بدائرة .

(٧) قرآن كريم ٤ : ١٥٠ و ١٥١ .

وقد قص الله قصة إبليس في صدر سورة البقرة وأخبر عن كفره بخصوصيته آدم ونبوته، ولم يذكر عنه أنه كفر بالله تعالى، وإنما كفر بنبوة آدم التي اختص بها، وهو معنى إيبائه له بالسجود له كما سجدت الملائكة التي خضعت له و تواضعت من أجل علم الأسماء التي عليه الله تعالى، و أنبأهم بها، فسجودهم اتمام به عليه السلام لأنه خليفة الله تعالى، ولم يكن سجوده عبادة، وإن الله لا يأمر بالفحشاء . و من فرائض الإسلام أيضا الصلاة و شروطها صلاة الفرض و سننها حديث [ ٤ : ب ] النبي صلى الله عليه و سلم : خمس صلوات فرضهن الله عز و جل على العبد في اليوم و الليلة ، فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عند الله عهدا<sup>١</sup> أن يدخله الجنة ، و من لم يأت بهن ليس له عند الله عهدا<sup>٢</sup> ، إن شاء عذبه أو أدخله الجنة . و اعلم أن الإجماع قد تقرر على أن من كذب النبي صلى الله عليه و سلم فيما أتى به عن الله سبحانه بفرض الصلوات الخمس و أنه أوجبها على المسلمين ، فمن قال : إنها ليست بواجبة ، فقد كذب به ، و من كذب به فقد كفر<sup>٣</sup> ؛ و قد جاء في الحديث لا حظ

(١ - ١) كذا في الأصل ، و في بن : عهدا عند الله .

(٢) من بن ، و في الأصل : عهدا .

(٣) زيد في بن : و من سبه قتل و لا تقبل توبته ، قال القاضي عبد الوهاب المالكي إذا سبه المسلم قتل لقوله عليه السلام من بدل دينه فاقتلوه ، و قال الزياتي في شرحه رسالة ابن أبي زيد إجماع العلماء أن شاتم النبي صلى الله عليه و سلم المبعوض له كافر و الوعيد جار بعذاب الله و حكمه عند الأئمة القتل و من شك في كفره و عذابه كفر . قال ابوسليمان الخطابي لا اعلم أحدا من المسلمين اختلف في قتله إذا كان =

في الإسلام لمن ترك الصلاة، وقد جاء الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أيضا أنه قال: الصلاة عمود الإسلام، ألسنت تعلم أن

= مسلما و..... أو غابه أو الحق به نقصا في نفسه أو نسيه أو دينه أو خصلة من خصاله أو عرض به أو ازرى عليه أو التصغير لشأنه أو العيب فيه أو دعا عليه بالمضرة أو نسب إليه ما لا يليق به على طريق الذم أو عبره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه وهذا كله الإجماع عليه من العلماء بقتله. وقال اصبح من اصحاب مالك سرا اسر ذلك أو اظهره ولا يستتاب لأن توبته لا تعرف و روى عن مالك مثل ذلك في الكفر ولا يستتاب. وفي الشفاء للقاضي عياض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سب نبياً فاقتلوه ومن سب اصحابه فاضربوه، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الأشرف اليهودي فإنه يزدرى الله ورسوله ووجه إليه من قتله خارج حصنه غيلة دون..... غيره من المشركين وكذلك ابو رافع لأنه كان يزدرى رسول الله صلى الله عليه وسلم..... وكذلك أمر يوم فتح مكة بقتل ابن الأخطل و اجاز ابنتيه اللتين كانتا تغنيان بسبه صلى الله عليه وسلم. وفي حديث آخر ان رجلا سبه فقال من يكفيني عذري قال خالد فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم لقتله. و اختلف فيمن سب الخلفاء رضي الله عنهم قيل اذا سبهم بالقواحش وقال لهم على ضلال قتل وقيل لا يقتل لأن رجلا سب ابا بكر فقام رجل و أراد قتله فقال له ابو بكر اجلس، انما ذلك للنبي عليه السلام خاصة فأخبر انه انما يقتل للنبي عليه السلام خاصة ولم يخالفه احد. والفرق بين ساب الله تعالى يقبل توبته وساب النبي صلى الله عليه وسلم لا يقبل توبته لأن النبي صلى الله عليه وسلم بشر و البشر تلحقهم المعرة الا من اكرمه الله تعالى بنبوته و لولا ذلك..... مشتركا لغيره وليس كذلك الله تعالى للقطع على استحالة لحوق المعرة به تعالى و القطع على..... لا تجوز عليه جل و علا علوا كبيرا اذ ليس هو بذى جنس فيقاس عليه - انتهى.

نعود،.....

الفسطاط إذا سقط عموده سقط الفسطاط ولم ينتفع بالطنب و بالأوتاد،  
 فإذا قام عمود الفسطاط انتفع بالطنب و بالأوتاد، وكذلك الصلاة  
 في الإسلام . و اعلم أن عدد الصلوات الخمس في السنة ألف صلاة  
 و ثمانمائة صلاة و ركوعها<sup>١</sup> خمسة آلاف ركعة و مائتا<sup>٢</sup> ركعة و خمس ركعات  
 ، و سجودها عشرة آلاف سجدة و أربعمئة سجدة و عشر سجدات و تكبيرها  
 أربعة<sup>٣</sup> و ثلاثون ألف تكبيرة و عشر تكبيرات ، و في اليوم و الليلة  
 خمس صلوات و الركوع<sup>٤</sup> سبع عشرة<sup>٥</sup> ركعة و السجود أربع<sup>٥</sup> و ثلاثون  
 سجدة و التكبير أربع و تسعون تكبيرة ، خمس منها فرائض و الباقي سنن .  
 فالصلاة خطرهما عظيم ، و أمرها جسيم ، و بالصلاة أمر الله تبارك و تعالى  
 ١٠ رسوله ، و أول ما أوحى إليه بالنبوة قبل كل عمل و قبل كل فريضة في  
 آيات كثيرة منها قوله تعالى : ” أَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَ أَقِمِ  
 الصَّلَاةَ<sup>١</sup> إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ<sup>٧</sup> ” ، و قال ” وَ أَمْرُ أَهْلِكَ

(١) في بن : ركعاتها .

(٢) من بن ، و في الأصل : مائتان .

(٣) من بن ، و في الأصل : أربع .

(٤-٤) في الأصل و بن : سبعة عشر - كذا .

(٥) في الأصل و بن : أربعة .

(٦) زاد في بن : و قال و اقم الصلوة ان الصلوة كانت على المؤمنين كتباً موقوتاً  
 و قال اقم الصلوة .

(٧) قرآن كريم ٢٩ : ٤٥ و بقيتها « و لذكر الله اكبر و الله يعلم ما تصنعون » .

بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا<sup>١</sup> و خاطب جميع المؤمنين فأمرهم بالاستعانة على طاعته كلها بالصلاة فقال " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ<sup>٢</sup> " وقال " وَاوْحِينَا إِلَيْهِمْ فَعَلِ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ<sup>٣</sup> " فذكر الخيرات كلها وهي جميع الطاعات مع اجتناب جميع المعاصي ، و أفرد الصلاة بالذكر و أوصاهم بها خاصة ، و بالصلاة ه أوصى النبي صلى الله عليه وسلم أمته عند خروجه من الدنيا فقال : الله الله في الصلاة و فيما ملكت أيمانكم ! فهي آخر وصيته صلى الله عليه وسلم ، و هي أول ما يسأل عنه العبد من [ه : الف] العمل<sup>٤</sup> يوم القيامة ، و هي عمود الدين و ليس بعد ذهابها دين و لا إسلام ، فترك الصلاة يكفر عند الإمام أحمد بن حنبل ، إذا تركها جاحدا لوجوبها و جب قتله ، ١٠ لا خلاف في مذهبه ؛ و أما إن تركها تهاونا و تكاسلا مع اعتقاد وجوبها دعى إلى فعلها ، فان لم يفعلها حتى تضايق وقت التي تليها كفر و قتل بالسيف لكفره بعد أن يستتاب ثلاثة أيام كالمرتد في الحالتين ، و يكون ماله فيئا يوضع في بيت المال للمسلمين ، و لا يصلى عليه ، و لا يدفن في مقابر المسلمين . و عنه : لا يجب قتله في التهاون حتى يترك ثلاث صلوات ١٥

(١) قرآن كريم ٢٠ : ١٣٢ و بقيتها « لانسئلك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى » .

(٢) قرآن كريم ٢ : ١٥٣ .

(٣) قرآن كريم ٢١ : ٧٣ و بقيتها « وايتاء الزكوة وكانوا لنا عبدين » .

(٤) في بن : عماله .

(٥) في بن : لم يفعل .

و يتضايق وقت الرابعة ، و يقتل حدا كالزاني المحصن ، و حكمه حكم  
 أموات المسلمين ، و يورث ' ماله و رثته المسلمون ' . و قال الإمام أبو حنيفة :  
 لا يقتل ولكن يحبس حتى يصلي فيتوب أو يموت في الحبس . و قال  
 الإمام الشافعي : يقتل بالسيف حدا و لا يكفر . و الدليل على كفره عند  
 الإمام أحمد بن حنبل ما تقدم من الآيات و الأخبار و ما روى عن  
 جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : ما بين الرجل و الكفر  
 و الشرك إلا ترك الصلاة . و روى عبد الله بن بريدة عن أبيه <sup>٢</sup> قال قال  
 رسول الله صلى الله عليه و سلم : بيننا و بينهم ترك الصلاة ، فمن تركها فقد كفر .  
 و روى جعفر بن محمد عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم أبصر  
 ١٠ رجلا <sup>٤</sup> ينقر سجوده كما ينقر الغراب ، فقال : لو مات هذا مات على غير  
 دين . و عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إذا  
 ترك الرجل صلاته متعمدا كتب اسمه على باب النار فيمن يدخلها . و اعلم  
 أن المتعبد على غير فقه كحمار الطاحون يدور و لا يبرح ، و ركعتان  
 من عالم أفضل من سبعين ركعة من عابد غير فقيه ، و ذلك أن العالم  
 ١٥ تأتيه الفتنة فيخرج بعلمه ، و تأتي العابد الغير فقيه الفتنة فتفسده نسا . و من

(١) في بن : يرث .

(٢) من بن ، و في الأصل : المسلمين .

(٣-٣) في الأصل : زيد بن ابيه ، و في بن : زيد عن أبي ؛ و التصحيح من مسند

أحمد بن حنبل ٣٤٦/٥ و ٣٥٥ و جامع الترمذي ٣١٧/٢ .

(٤) من بن ، و في الأصل : رجل - كذا .

فرائض الإسلام أيضا الزكاة، و سننها زكاة الفطر و شروطها حديث النبي صلى الله عليه و سلم : من أخرج زكاة الفطر طيبة بها نفسه و أيم الله لا يفعل ذلك إلا المؤمن، و الزكاة النماء و الزيادة من قوله : زكا الزرع - إذا نما و طاب و حسن، و زكت النفقة - إذا نمت و بورك فيها، و قيل لأنها تزكو عند الله و تنمو و تضاعف لصاحبها، و قيل لأن صاحبها [ه : ب] يزكو بأدائها، ه و قيل تطهر الأموال و تطيبها، و قيل إن الزكاة التطيب، و قيل الطاعة و الإخلاص . و قيل إنما سميت بذلك لأنها صدقة من الصدق، إذ هي دليل على صدق إيمان مخرجها، و قيل لأنها لا تؤخذ إلا من الأموال النامية المتعرضة للنماء و الزيادة كأموال التجارة و الأنعام و الحرث، سميت بذلك - قاله عياض، و هي كوجوب الصلاة . و قال تعالى " فان ١٠ تابوا و أقاموا الصلوة و أتوا الزكوة " " و ما أمرؤا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء و يقيموا الصلوة و يؤتوا الزكوة " " قد افلح من تزكى " " و هي من إحدى دعائم الإسلام . و من فرائض الإسلام أيضا الصوم، و شروطه صوم يوم عاشوراء، و سننه حديث النبي صلى الله عليه و سلم : من صام رمضان إيمانا و احتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه و ما ١٥ تأخر؛ و اشتقاق اسم الصيام في اللغة الإمساك و الترك و الكف، فمن

(١) زيد بن القاسم .

(٢) وردت الآية مرتين في سورة التوبة، قرآن كريم ٩ : ٥ ، ١١ .

(٣) قرآن كريم ٩٨ : ٥ و بقيتها « و ذلك دين القيمة » .

(٤) قرآن ٨٧ : ١٤ .

أمسك عن شيء تركه وكف عنه فهو صائم عنه . قال الله تعالى " فقولى  
 إني نذرت للرحمن صوما " و هو الإمساك عن الكلام و الكف عنه .  
 و من فرائض الإسلام أيضا الحج ، و شروطه العمرة ، و سنته حديث  
 النبي صلى الله عليه و سلم : من حج البيت و لم يرفث و لم يفسق خرج من  
 ذنوبه كيوم ولدته أمه . و <sup>٢</sup> الإيمان على أربعة دعائم : على الصبر و اليقين  
 و العدل و الجهاد ، فالصبر منها على أربع <sup>٣</sup> شعب : على الشوق و الشفق  
 و الزهد و الترقب ، فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات ، و من أشفق  
 من النار اجتنب المحرمات ، و من زهد في الدنيا استهان بالمصيبات ، و من  
 ارتقب الموت سارع إلى الخيرات . قال أبو الوليد في المقدمات : اول  
 الواجبات الإيمان بالله تعالى و توحيد اسمه و ما هو عليه من صفات  
 ذاته و أفعاله و ملائكته و كتبه و رسله و ما جاء به من عند الله ، هو  
 التصديق الخالص في القلب . قال تعالى " و ما انت بمؤمن لنا " أى  
 بمصدق . و أما الإسلام فهو إظهار الإيمان و الإعلان به ، مأخوذ  
 من الاستسلام و هو الاتقياد لأن من أظهر الإيمان فقد انقاد و استسلم  
 ١٥ لجريان حكم الله تعالى ، فكل مؤمن مسلم لأن من اعتقد الإيمان في الباطن  
 فهو معلى به في الظاهر ، و ليس كل مسلم مؤمنا لأن المنافق و الزنديق

(١) قرآن كريم ١٩ : ٢٦ و بقية الآية « فلن أكلم اليوم انسيا » .

(٢) زيد بن : اعلم ان .

(٣) في الأصل و بن : اربعة - كدا .

(٤) قرآن كريم ١٢ : ١٧ و بقيتها « و لو كنا صديقين » .

(٥-٥) من بن ، و في الأصل : مؤمن مسلما .

يظهران الإسلام و يخفيان الكفر<sup>١</sup> . و اليقين منها على أربع<sup>٢</sup> شعب : على تبصرة الفطنة ، و تأويل الحكمة ، و موعظة العبرة ، و سنة الأولين ، فمن تبصر الفطنة تأول الحكمة ، و من تأول [ ٦ : الف ] الحكمة تأول العبرة ، و من تبين العبرة عرف السنة ، و من عرف السنة كان من الأولين . و العدل منها على أربع<sup>٣</sup> شعب : على غائص الفهم<sup>٤</sup> ، و غور العلم ، و روضة الحكم ، و ساحة الحلم ، فمن فهم فسر جمل العلم ، و من علم شرح غرائب الحكم ، و من شرح غرائب الحكم دلت على معادن العلم فلم يضل ، و من حلم لم يفرط و عاش في الناس حميدا . و الجهاد منها على أربع<sup>٥</sup>

(١) زيد في بن : فهما مسلمان في الظاهر كافرين في الباطن ، فالإسلام اعم من الإيمان ؛ قال الغزالي : المؤمن لا يخلو من قلة أو ذلة أو علة - انتهى . قال الإمام فخر الدين الرازي في كتاب الأربعين في اصول الدين : الإيمان اقوى من الكفر فلها لم ينفع مع الكفر شيء من الطاعات وحب أن لا يضر مع الإيمان شيء من المعاصي فان الكافر إذا أسلم أزال ثواب إيمانه عقاب كفره ، فدل هذا على أن ثواب الإيمان أزيد من عقاب الكفر ، و عقاب الكفر لا شك انه أزيد من عقاب الفسق بكثير ، وعند الجبر و المقابلة يفضل ثواب الإيمان لا محالة فوجب القطع بأن المؤمن اهل الجنة ، لا يقال إنه إذا كفر بعد إيمانه فعقاب كفره يزيد ثواب إيمانه ، لأنا نقول . . . انه إذا كان كذلك ، لكن بهذه الطريق لا يظهر أن عقاب الفسق أزيد من ثواب الإيمان و بالطريق الذي ذكرناه يظهر أن ثواب الإيمان أزيد من عقاب الفسق فكان الترجيح لدليلنا و الله تعالى أعلم - نعود .

(٢) في الأصل و بن : اربعة .

(٣) في بن : الفكر .

(٤) من بن ، و في الأصل : شرع .

شعب: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصدق في المواطن،  
 و شتآن الفاسقين؛ فمن أمر بالمعروف شد ظهر المؤمنين، و من نهى عن  
 المنكر أرغم أتق المناهقين، و من صدق في المواطن قضى ما عليه،  
 و من شتأ الفاسقين فقد غضب الله، و من غضب الله غضب الله له  
 ٥ و أرضاه يوم القيامة. و الكفر على أربعة دعائم: على التعمق و التنازع  
 و الزبغ و الشقاق؛ فمن تعمق لم ينب إلى الحق، و من كثر نزاعه  
 بالجهد دام عماء عن الحق، و من زاغ ساءت عنده الحسنة [ و حسنت  
 عنده السيئة - ' ] و سكرُ سكر الضلالة، و من شاق و عرت عليه طريقه،  
 و أعضل عليه أمره، و ضاق مخرجه. و الشك على أربع شعب: على التماهى،  
 ١٠ و القول، و التردد، و الاستسلام، فمن جعل المرءَ ديدنا لم يصح ليله، و من هاله  
 ما بين يديه نكص على عقبيه، و من تردد في الريب و طئته سنا [ بك - ' ]  
 الشياطين، و من استسلم لهلكة الدنيا و الآخرة هلك فيها. سئل الإمام  
 مالك رحمه الله عن الاستواء، فقال: الاستواء معلوم، و الكيفية مجهولة،  
 و الإيمان به واجب، و الجحد به كفر، و السؤال عنه بدعة، و أظنك  
 ١٥ يا هذا صاحب بدعة. و كان إذا سأله رجل من أهل الأهواء و البدع  
 يقول: أما أنا فإني على بينة من ديبى، و أما أنت فشاك، اذهب إلى شاك  
 مثلك فخاصمه قيل: إن أبا العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري

(١) من بن .

(٢) في الأصل و بن : اربعة .

(٣) في بن : سأل رجل .

(٤) عاش سنة ٩٧٣ - ١٠٥٧ ميلادية .

كان شاكا في الإسلام ؛ والدليل على ذلك قوله في شعره :  
 في اللاذقية فتنة ما بين أحمد و المسيح  
 هذا يحرك دلبة و الشيخ من خرق<sup>١</sup> يصبح  
 كل يصحح دينه ياليت شعري ما الصحيح<sup>٢</sup>  
 يعنى بالدبة الناقوس الذي يضرب به في كنائس النصارى عند مواقيت صلواتهم ، و يعنى بالشيخ المؤذن لمواقيت الصلوات الخمس<sup>٣</sup> .  
 قال رويم بن أحمد : بلغني أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه سمع ضرب ناقوس فقال لأصحابه : تدررون ما يقول [ ٦ : ب ] هذا ؟ فقالوا : لا ، قال : إنه يقول :

سبحان الله حقا حقا إن المولى صمد يبق<sup>٤</sup>  
 و سمع بعض الصالحين قطانا<sup>٥</sup> يندف القطن بقوسه فقال لأصحابه :

أتدررون ما يقول هذا القوس ؟ قالوا : لا ، قال إنه يقول :  
 هبك عشت عمر نوح أو أضعف<sup>٦</sup> ضعف ذاك

(١) مس بر ، وفي الأصل « حرق » .

(٢) و أبيات المعرى تروى هكذا :

في اللاذقية ضفة ما بين أحمد و المسيح

هدا بناقوس يلدق وذا بمئذنة يصبح

كل يعزز دينه ياليت شعري ما الصحيح

(٣) زيد في بن : في مساجد الجماعات .

(٤) من بن ، وفي الأصل : قطان .

(٥) شعر ، وهو مرسل في الأصل .

(٦) في بن : ضعف .

ثم بعد ذلك لم يف هذا بذاك  
 وأما المؤذنون فقد جاء في الحديث أنهم أطول الناس أعناقاً يوم  
 القيامة . قيل : إن بلال بن حمزة الحبشي لم يؤذن لأحد بعد النبي صلى الله عليه  
 وسلم إلا يوماً واحداً وأذانا واحداً . ذلك مرجعه من الشام ، ولم يكن للناس  
 عهد بأذانه حيناً ، فطلبه أبو بكر الصديق وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم  
 [ أن يؤذن - ١ ] فأذن ، فلما سمع أهل المدينة صوت بلال و ذكر النبي صلى الله  
 عليه وسلم بعد طول عهد منهم بأذان بلال و صوته جدد ذلك في قلوبهم أمر  
 النبي صلى الله عليه وسلم وشوقهم أذانه إليه ، حتى قال بعضهم : بعث  
 النبي صلى الله عليه وسلم شوقاً إلى رؤيته . ولما هيجهم بلال عليه<sup>٢</sup> بأذانه  
 ١٠ جدد في قلوبهم من أمره صلى الله عليه وسلم حتى فرقوا -<sup>٥</sup> عند ذلك  
 وبكوا واشتد بكاءهم حتى خرج العواتق من خدورهن يبكين شوقاً  
 إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع صوت بلال و أذانه و ذكر  
 النبي صلى الله عليه وسلم . لما قال : أشهد أن محمداً رسول الله ، امتنع  
 من الأذان فلم يقدر عليه ، و سقط مغشياً عليه حياً . شوقاً إليه صلى الله  
 ١٥ عليه وسلم - انتهى .

نعود إلى ما كان يقوله أبو العلاء ، قيل كان أبو العلاء يقول :

(١) في بن : ذاك .

(٢) من بن .

(٣) زيد في الأصل : السلام - كدا .

(٤) زيد في الأصل و بن : و - كدا .

(٥) كدا ، وفي بن : قرموا .

أبي جى على وما جنيت على أحد - يعنى أباه بتزوج أمه أوقعه<sup>٤</sup>  
 فى هذه الدار حتى صار إلى ما إليه صار، وهو لم يجن<sup>٥</sup> على أحد بهذه  
 الجناية لعدم<sup>٦</sup> تزويجه، وينشد<sup>٦</sup>:

نعذب فى البطون وما جنينا . يذبح فى حشى الأم الحوار<sup>٧</sup>  
 و ننتظر البلايا والرزايا . وأما بالوعيد لنا انتظار<sup>٥</sup>  
 فكانت نعمة لو ائنا<sup>٨</sup> كنا . نخير بعد ذا<sup>٩</sup> أو نستشار  
 وكما قال من حام حول هذا الأمر:

آباء أجسادنا هم سبب<sup>١٠</sup> لأن جعلنا عوارض التلف  
 من علم الناس كان خير أب . ذاك أبو الروح لا أبو النطف<sup>١١</sup>

(١) وفى سقط الزند (ص ٣) طبع بيروت سنة ١٨٨٤ م: قيل إنه أوه ان  
 يكتب على قبره:

هذا حناه ابى على وما جنيت على أحد

(٢) زاد بعده فى بن: حتى عليه .

(٣) من بن، وفى الأصل: بتزويجه .

(٤) زيد فى بن: بذلك .

(٥) فى الأصل وبين «لم يجنى» وصحته بحذف الياء .

(٦-٦) فى بن: التزوج و انشد .

(٧) فى الأصل وبين: ان .

(٨) من بن، وفى الأصل: هذا .

(٩) زيد ما يلى فى «بن» وهو ساقط من «بر»:

و المعرى المذكور هو الذى يقول:

يقواون قد طلع المشتري فيايت شعرى وماذا اشترى =

= نهار يمرّ و ليل يكرّ و نجم يغيب و نجم يُرى  
 نموت كما مات الأولون و يبقى الزمان على ما ترى  
 وكان الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد قاضي قضاة الشافعية بالديار المصرية  
 يقول: كان أبو العلاء المعري في حيرة من دينه، و يقال إنه أقلع عن هذا كله  
 و قال يعتذر:

يا من يرى مد البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الأليل  
 ويرى نياط عروقها في نحرها و المخ في تلك العظام النحل  
 امن على بتوبة أمحبها ما كان مني في الزمان الأول

قال العفيف التلمساني قد علمت بالعقل و الكتاب ما يقطعك فاطعه باطنا كالأخلاق  
 و العقائد و الآمال، و ظاهرا كالأعمال، و عليك بالتأهب للموت ليكون عندك خير  
 عائب منتظرا، و لا يصحب عند قدومه عليك علما، و لا تعتمد على عمل بل تقدم  
 إلى مولاك فقيرا. و لهذا نقل عن ابن الفارض حين حضرته الوفاة أنشد يقول:  
 إن كانت منزلتي في الحب عندكم ما قد علمت فقد ضيقت أيامي  
 أمنية ظفرت نفسي بها زمتها و اليوم أحسبها أضغاث أحلام  
 و المعري المذكور هو الذي يقول:

كم غادر الموت من صغير و عمرت بعده العجور  
 و كان أبو العلاء ضليعا بفنون الأدب و من شعره:

و قالوا قد عميت فقلت كلا و إني اليوم أبصر من ...

(موضع البقاع بياض في الأصل، و لعله: بصير).

سواد العين زاد سواد قابي ليجمعا على فهم الأمور

و قال بعضهم يرثي... و دفنت:

بأحشائي وإن زعموا بقفر و في قلبي وإن قالوا بييدا

و من عيني قلت إلى فؤادي فصرت من السواد إلى السويدا

و لبعضهم سئل عن سرعة شبيهه فقال: =

= وقالوا ثبت قلت لهم قفوا لي أحدثكم بشيء من ولوعي  
 وحق هواكم ما ثبت لكن غسلت سواد شعري بالدموع  
 وكان مولد أبي العلاء المعري في يوم الجمعة مغيب الشمس لثلاث بقين من شهر  
 ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، وتوفي في ليلة السبت الثالث من شهر  
 ربيع الأول سنة تسع وأربعين وأربعمائة ، فكان عمره ستا وثمانين سنة إلا  
 أربعة وعشرين يوما - انتهى .

نعود - والشرك هو إثبات الربوبية لاثنتين فالشركة باطل . . محض ، قال الله  
 تعالى : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا » وقال تعالى : « ومن يشرك بالله فكأنما  
 خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق » . وروى عن  
 النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : يقول الله تعالى : إني لأغني الأغنياء عن الشرك ،  
 فمن عمل عملا أشرك فيه غيري فأنا بريء منه ومن عمله . والباطل مدموم أبدا ،  
 قال الله تعالى : « ان الباطل كان زهوقا » ؛ وقال مالك رحمه الله تعالى : إذا ظهر  
 الباطل على الحق كان الفساد في الأرض . وقال بعض المتصوفة : كل حق تشاركه  
 باطل فقد خرج من قسمة الحق إلى قسمة الباطل ، فان الحق غيور . وفي منشور  
 الحكم : والله ما ذل ذو حق وان اتفق الحاكم عليه ، ولا عز ذو باطل وإن طلع من  
 جهة القمر . وقال بعض العلماء : لا يثبت الحق حتى يتدححص الباطل ؛ وقال الشاعر :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم  
 قوله تعالى « ثم كان عاقبة الذين أساؤا أسوأ آء » الإساءة إنفاق العمر في الباطل ،  
 والسوآء إنفاق رزقه في المعاصي و إنفاق حياته في متابعة هواه . قوله تعالى :  
 ” ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله  
 ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا “ . وروى الحسن عن رجل من أصحاب  
 النبي صلى الله عليه وسلم قال : بينما نحن جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 إذ جاء رجل يقرأ ” قل يا أيها الكفرون لا أعبد ما تعبدون “ - إلى آخرها ، فقال  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما هذا فقد برئ من الشرك . وقال النبي صلى الله =

[ ٧ : الف ] وكان بعضهم يقول في دعائه : اللهم ! إني أعوذ بك من الشرك الذي لا توحيد معه ، ولا إيمان يصحبه ، ولا خير يتبعه ؛ و اغفر لي ما دون ذلك . و سمي الله تعالى الشرك "عظيم" فقال "إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ" لأن المشرك إذا تكلم بكلمة الشرك "تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَ تَخِرُّ الْجِبَالُ هَدَاءً أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا وَ مَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ، إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا" ، ولأن الشرك أعظم الكبائر ، و ذلك أن جميع الخلائق يرحمون برحمة الله تعالى بالعبود و الرحمة ، "إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ مَا دُونَهُ لِمَنْ يَشَاءُ" .

= عليه و سلم : الشرك في أمي أخفى من ديب النمل ؛ و كان بعضهم يقول في دعائه : اللهم احفظ قلوبنا من الشرك الجلي ، و احفظ أرواحنا من الشرك الخفي ، و احفظ أسرارنا من الشرك الذي هو أخفى من الخفي ، و توفنا مسلمين لا مدلين و لا متغيرين ؛ و المراد بالشرك الخفي هو الانتفات إلى غير الحق ؛ سئل أبو العباس بن عطاء عن قوله تعالى "هل ادلك على شجرة الخلد و ملك لا يبلى" قال قال آدم : بماذا أدبتني و إنما أكلت من الشجرة طمعا في الخلود في جوارك ؟ فقال عز وجل : طلبت الخلود من الشجرة لا مني و الخلود بيدي و ملكي فأشركت بي و أنت لا تشعر ! و لكن نيهتك بالخروج من الجنة حتى لا تنساني .

(١) قرآن كريم ٣١ : ١٢ .

(٢) قرآن كريم ١٩ : ٩٠ - ٩٣ .

(٣) قرآن كريم ٤ : ١١٦ و بقية الآية « و من يشرك بالله فقد ضل ضللاً بعيداً » .

ولما كان المؤمن في الدنيا نسب<sup>١</sup> الفعل لله تعالى ورحمه في أفعاله ولم ينسب  
فعلا لغيره نفعه ذلك في الدار الآخرة فلم يسلط كونا<sup>٢</sup> يغلب عليه . ولما  
كان الكافر و المشرك بالله تعالى نسب الأفعال لغير الله و ادعى إلهية غيره  
سلط عليه ما يغلب عليه من أليم العذاب و سوء العقاب جزاء لشركه به .  
ولما كان المؤمن العاصي أشرك بحسه و وحده بقلبه سلط الغير بالتعذيب ه  
عليه بحسب ذلك ما لم تنله شفاعة أو رحمة .

وسأذكر ما قيل في الروافض<sup>٣</sup> إن شاء الله تعالى ، أما الروافض فقد  
قال النبي صلى الله عليه و سلم : ستفترق هذه الأمة على ثلاث و سبعين فرقة :  
اثنتان<sup>٤</sup> و سبعون في النار ، و واحدة في الجنة و هي الجماعة . و سئل النبي صلى الله  
عليه و سلم عن تلك الواحدة فقال : من<sup>٥</sup> كان على ما أنا عليه و أصحابي ؛ فالأمة ١٠  
افترقت على هذا العدد . و أصل هذا الافتراق ينحصر في أربع طوائف :  
الواحدة القدرية و هي المعتزلة ، افرقوا في اعتزالهم<sup>٦</sup> على<sup>٧</sup> ثمانى عشرة<sup>٧</sup>  
فرقة ؛ و الطائفة الثانية [المرجئة -<sup>٨</sup>] ، افرقوا في إرجائهم على<sup>٧</sup> ثمانى عشرة<sup>٧</sup>

(١) في بن : ينسب .

(٢) في بن : ما .

(٣) زيد في بن : و سوء اعتقادهم .

(٤) وقع في الأصل و بن : اثنان - كذا .

(٥) في الأصل و بن : أربعة - كذا .

(٦) في بن : افرقوا .

(٧-٧) في الأصل و بن : ثمانية عشر - كذا .

(٨) زيد من بن ، و قد سقط من الأصل .

فرقة ؛ و الطائفة الثالثة الشيعة، افرقوا أيضا في تشيعهم على 'ثمانى عشرة' فرقة ؛ و الطائفة الرابعة الخوارج، افرقوا في خروجهم على 'ثمانى عشرة' فرقة ؛ هذه اثنتان ' و سبعون فرقة . و الثالثة و السبعون هي الناجية و هم أهل السنة و العلم ، و هي الذى عنى الله عز و جل بقوله "وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا" و حبل الله هو القرآن الذى أهى الله به رسوله و أصحابه . و أما الذى عنى الله عز و جل بقوله "إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ

(١-١) فى الأصل و بن : ثمانية عشر - كذا .

(٢) فى الأصل و بن : اثنان - كذا .

(٣) قرآن كريم ٣ : ١٠٣ و بقية الآية « و اذكروا نعمة الله عليكم اذ لنتم أعداء فالق بين قلوبكم و أصبحتم بنعمته إخوانا و كنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك بين الله لكم آيته لعلكم تهتدون .»

(٤) كذا فى الأصل ، و ليس فى بن .

(٥) زيد فى بن : أما المعتزاة فانهم راموا . . . . . فلم يصح لهم ذلك فى القرآن لإجماع الأمة عليه فغيروا فى المصحف أشياء كثيرة . . . "من شر ما خلق" بالتنوين ، و قراءتهم " قال عذابي اصيب ه من آساء " بالسين المهملة . . . . . قالوا فى قواه تعالى : " و لقد درأنا بلهزم كثيرا من الجن و الإنس " معناه دفعنا ، و أنشد و المثقب العبدى :

تقول اذا درأت لها و ضينى أهدا دينه ابدا و دينى

و ليس كما . . . . . فى الدفع ، درأت بدال مهملة ، و كذلك دروا بدال غير معجمة ؛ و قد روى ان قوما . . . . . الفرس و غيرهم لما رأوا الإسلام قد ظهر و درج جميع الأمم و رأوا أنه لا سبيل إلى مناصبته رجعوا إلى الحيلة =

وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ<sup>١</sup>، يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم .  
 وروى ابن عباس أن النبي [ ٧ : ب ] صلى الله عليه وسلم قال : سيكون  
 في آخر الزمان نبراً يقال لهم "الروافض" يرفضون الإسلام فاقتلوهم فانهم  
 مشركون ، فقال علي بن أبي طالب : وما علامتهم يا رسول الله ؟ فقال :  
 لا يكون لهم جمعة ولا جماعة ، ويشتمون أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً<sup>٢</sup> .  
 وسائر الصحابة أجمعين . واعلم أن فرقة الراضنة<sup>٣</sup> متفقون على تكفير  
 الصحابة ، ويدعون أن القرآن قد غير عما كان ، ويقع فيه الزيادة  
 والنقصان من قبل الصحابة ، ويزعمون أن لا اعتماد على الشريعة التي  
 في أيدي المسلمين ، و ينتظرون إماما يسمى "المهدي" يخرج ويعلمهم

= والمكيدة فأظهروا الإسلام من غير رغبة وأخذوا أنفسهم بالتعبد والتشف ،  
 فلما حمد الناس طريقهم ولدوا الأحاديث والمقالات و فرقوا الناس فرقا وأكثر  
 ذلك في الشيعة ، كما يحكى عن عبد الله بن سبا اليهودي أنه أسلم واتصل  
 بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وصار من شيعته فلما أخبر بقتله وموته قال :  
 كذبتكم ، والله لو جئتمونا بدعا ..... لبعض صرة ما صدقناكم بموته ،  
 ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا ..... تعرف  
 أهلها بالشيعة .

(١-١) زيد من بن ، وبقية الآية «انما امرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون»

قرآن كريم ٦ : ١٥٩ .

(٢) كذا في الأصل و بن ، وقد يعني به قليل الحياء ، و لعله « نفر » .

(٣) في الأصل و بن : علي - كذا .

(٤) في بن : الروافض .

الشريعة ، وليس مقصدهم هذا الكلام في الإمامة<sup>١</sup> ولكن مقصودهم إسقاط كلفة تكليف الشرع على أنفسهم حتى يتوسعوا في استغلال المحرمات الشرعية ، و يعتقدون عند الإمام بما يدعونه من تحريف الشفاعة و تغيير القرآن من عند الصحابة ، و لا مزيد على هذا النوع من الكفر؛  
 ٥ فقد سئلت الروافض عن شر أمة محمد ، فقالت : أصحاب محمد ، فلا جرم يكون سيف الحق مسلولا عليهم إلى يوم القيامة ، و لا يرى لهم قدم ثابتة و لا راية منصوبة ، و لا ينصرهم أحد إلا صار مخذولا بشؤم بدعتهم ؛  
 و العجب أنهم يتكلمون في الصحابة و يستخفون القول فيهم و لا يتأملون كتاب الله تعالى حيث "أثى عليهم بقوله"<sup>٢</sup> "محمد رسول الله و الذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تربهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله و رضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة و مثلهم في الإنجيل" فأثى عليهم كما ترى و أخبر أن صفتهم المذكورة في التوراة ثم أخبر أن صفتهم في الإنجيل "كزرع أخرج شطاه فزره فاستغلظ فاستوى على سوفة يعجب الزراع

(١) في الأصل « الأمانة » و الغالب أنها « الإمامة » كما وردت فيما بعد في هذه الصفحة .

(٢) من بن ، و في الأصل : تغير .

(٣-٣) في بن : يقول .

(٤) قرآن كريم ٤٨ : ٢٩ انظر الحاشية التالية .

لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ . حتى قال أبو إدريس المفسر: إن ظاهر هذه الآية  
يوجب أن الروافض كفار لأن في قلوبهم غيظا من الصحابة و عداوة  
لهم ، ألا تراه تعالى يقول ”ليغيظ بهم الكفار“؟ فيبين أن من كان في قلبه  
غيظا منهم فهو من الكافرين .<sup>٢</sup>

و أما الخوارج فان الإمامة من الدين و الإيمان ، و فيها معنى التوحيد  
الذي هو الاجتماع ، و لأن النبي صلى الله عليه و سلم أمر بطاعة الإمام ، ففى  
طاعته طاعة الرسول ، و طاعة الرسول طاعة الله تعالى . و قد ثبت فى الصحيح  
عن على بن أبى طالب رضى الله [٨ : الف] عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله  
عليه وسلم يقول : يخرج من أمتى قراء يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم و هو عليهم ،  
ولا تجاوز صلاتهم تراقيهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ،  
و إنما خرجوا من الدين و سموا ”خوارج“ بخرجهم عن طاعة الإمام ، فأداهم  
ذلك إلى الخروج عن الدين . قال الإمام العالم نخر الإسلام الشاشى : الخروج

(١) قرآن كريم ، نفس الآية السابقة ، و بقيتها « وعد الله الذين آمنوا و عملوا  
الصالحات منهم مغفرة و اجرا عظيما » و هى نهاية سورة الفتح .

(٢) ليس فى بن .

(٣) فى بن : الكفار ، و زيد بعده فيه : قال بعض أهل السنة من أبيات :

لعن الله أمة لنى شتموا بعد موته أصحابه  
زعموا أنهم يوالوا عليا كذبوا و الذى قرأت آيه  
أنا عبد لعبد عبد على غير أنى أحب كل الصحابه

(٤) زيد فى بن : الشيخ .

(٥) زيد فى بن : الدين و .

على الإمام حرام . قال النبي صلى الله عليه وسلم : من نزع يدا من طاعة  
فانه يأتي يوم القيامة ولا حجة له ، و من مات وهو مفارق الجماعة مات  
ميتة جاهلية . و روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : كانت بنو

إسرائيل تسوسهم الأنبياء ، كلما [ هلك - ١ ] نبي أتى نبي خليفة ، فلا نبي

بعدي ، و سيكون بعدي خلفاء فيكثرون . قالوا : فيما تأمرنا؟ قال : أعطوهم

حقوقهم ، فان الله سائلهم عما استرعاهم ، فان خرجت طائفة على الإمام و انفردت

بدار أو امتعت بمنعة قاتلهم الإمام . روى ابن عباس قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر ، فانه ليس أحد

يفارق الجماعة شبرا فيموت إلامات ميتة جاهلية ؛ و إن لم يخرج عن

قبضة الإمام و علم منه أنه يرى رأى الخروج لم يتعرض الإمام لهم ، لما

روى أن عليا كرم الله وجهه سمع رجلا من الخوارج يقول : لا حكم

إلا لله - تعريضا به في التحكيم يوم صفين ، فقال علي : كلمة حق أريد بها

باطل<sup>٢</sup> ، ثم قال : لكم علينا ثلاثة<sup>٣</sup> : لا نمنعكم مساجد الله تذكرون فيها اسم الله ،

و لا نمنعكم من الفء ما دامت أيديكم<sup>٤</sup> معنا ، و لا نبدأكم بقتال - انتهى .

(١) زيد من بن .

(٢) في بن : الخوارج .

(٣) في الأصل و بن : باطلا - كذا ، و التصحيح من مجمع بحار الأنوار ٢ / ٢٢٧ .

(٤) في الأصل و بن : ثلاثا - كذا .

(٥) في بن : يدكم .

نعود إلى ذكر الرافضة وغيرهم - اعلم أن فرق الرافضة متباغضين<sup>١</sup> دائما، كل فرقة تبغض الأخرى، وهم يبغضون أهل السنة؛ وأهل السنة تبغضهم أيضا .

ومن العجائب في الصداقة<sup>٢</sup> والصحبة والمحبة سليمان التيمي إمام أهل السنة والفضل الرقاشي إمام المعتزلة، كانا صديقين<sup>٣</sup> إلى أن ماتا<sup>٥</sup> متصاهرين؛ [و-٤] موسى بن يسار رئيس القدرية وداود بن أبي هند إمام السنة، كانا صديقين متصافين<sup>٦</sup> مدة خمسين سنة، لم يقع قط بينهما كلمة خبيثة؛ [و-٥] هشام بن عبد الحكم<sup>٦</sup> إمام الرافضة والمجسمة وعبد الله بن يزيد إمام الإباضية من الخوارج، كانا من الصداقة والمحبة في حال لا يوجد بين الإخوة وكانا مع ذلك شريكين في البز في دكان واحد ولم يتغيرا إلى<sup>١٠</sup> أن ماتا . ضدهم [٨: ب] في ذلك - وهم لأب واحد - اليان وهارون وعلى بنو ازرياب<sup>٧</sup>، كان<sup>٨</sup> هارون من أئمة أهل السنة واليان من أئمة الخوارج

(١) كذافي الأصول كلها، والظاهر: متباغضون .

(٢) في بن: الصحابة .

(٣) في بن: متصافين .

(٤) اضيفت الواو ليستقيم الحديث .

(٥) زيد في بن: أهل .

(٦) في بن: الملك .

(٧) في بن: زرياب .

(٨) في بن: لأن .

وعلى من أئمة الروافض و كانوا متعادين<sup>١</sup>؛ [و-٢] جعفر بن مبشر رأس المعتزلة وأخوه حنش من أهل السنة و كانا متعادين<sup>٢</sup> . [و-٣] السيد الحميري ، كيسانى شيعى ، وأخوه وأمه خارجيان ؛ يلغنها و يلغناه .

٥ و أما اليهود فافترقوا فرقا كثيرة، و المشهور من فرقهم الربانيون و القراون و السامريون .

و أما النصارى ففرقهم أيضا كثيرة، و المشهور من فرقهم الملكانية و اليقوية و النسطورية .

فان قيل: ما سبب إيجاد هذه الفرق الكافرة من اليهود و النصارى ١٠ و عباد الأصنام و الأوثان و الشمس و القمر و الكواكب و النار مع قدرة الله على أن لا يوجد لهم؟ قال ابن الفارض فى ذلك :

وإن نار التنزيل محراب مسجد      فما نار بالإجيل هيكل يعنه  
و أسفار توراة الكليم و قومه      يناجى بها الأحبار فى كل ليلة  
وإن خر الأحجار فى البذء عاكف      فلا تعد فى الإنكار بالعصية

(١) من بن ، و فى الأصل « كانا » .

(٢) زيد فى بن : كلهم

(٣) اضيفت الواو ليستقيم الحديث .

(٤) فى بن : متعاديان .

(٥) فى بن : البد .

قال التلساني في شرح هذه الآيات<sup>١</sup>: البذ<sup>٢</sup> الصنم، و العاكف الساجد<sup>٣</sup>  
 الملازم، و الإنكار ههنا يريد به إنكار العقل على الحق في كونه أوجد  
 الكفار مع قدرته على أن لا يوجد لهم، لأن الله تعالى لما خلق العقل  
 قال له: اقبل - إشارة إلى فهمه عن الله و طاعته، فان قيل: فكيف ينكر  
 بعد ما أطاع؟ قيل: من علم أن الحكمة في إيجاد الكفا كما هي في إيجاد  
 المؤمنين<sup>٤</sup> زال<sup>٥</sup> إنكاره، و هو معنى " ما خلقتهما إلا بالحق"<sup>٦</sup>،<sup>٧</sup> من فهم  
 معنى قوله تعالى " الذي أحسن كل شيء خلقه"<sup>٨</sup> فهم حسن القبيح و رآه  
 كرؤية المليح، و المراد لا تنكر ما رأيت من عبادة غير الله في هذه الأمة  
 المحمدية؛ ثم قال ابن الفارض<sup>٩</sup>:

فما راغت الأصار في كل مسلة ولا راغت الإنكار في كل نحلة ١٠  
 وما اختار<sup>١٠</sup> من الشمس عن غرة صبا<sup>١١</sup> و إشراقها من نور اسفار غرتي

- (١) زيد في بن: الثلاثة .
- (٢) أي بوذه أو Buddha، و في بن: البذ .
- (٣) في بن: العابد .
- (٤) من بن، و في الأصل: المؤمن .
- (٥) في بن: راد .
- (٦) قرآن كريم ٤٤: ٣٩ .
- (٧) زيد في بن: و .
- (٨) قرآن كريم ٣٢: ٧ .
- (٩) زيد في بن: أيضا .
- (١٠ - ١٠) في بن: عين للشمس من غيره ضيا .

و إن عبد النار المجوس و ما انطفت كذا جاء في الأخبار في ألف حجة  
 فما قصدوا غيرى و إن كان قصدهم سوى و إن لم يضمروا غيرية  
 أى بعبادتهم لى، و بيان هذا مثله: إن كان ذى هوى إنما عبد هواه،  
 و هواه عبارة عن ذاته التى سوت له أن يعبد ما عبده، و إذا كان كل  
 ٥ قاصد [٩: الف] من الضالين لم يقصد غير ذاته المخلوقة فقول ابن الفارض:  
 فما قصدوا غيرى، بمعنى ما قصدوا غير مخلوق لا الخالق صحيح، و هذا من  
 محتمل العبارة؛ و فى التعريف به معنى و هو أن يدخل فى زمرة الضالين  
 من اعتقد أن الذات واحدة أعنى ذات العبد و الرب تعالى، فهذا لما  
 ظفر بذاته المخلوقة فاعتقدها ذات الخالق فاته ذاته أيضا، لأنه اعتقدها  
 ١٠ ذات الخالق فحس نفسه و ربه، و يفهم أيضا من قول ابن الفارض أن  
 كل غلط إنما قصده الإصابة بما عبد و إن كان غلطا، و هذا صحيح  
 ولكنه لا يفيد ذلك بل هو منهى عنه و مذموم به، كما قال تعالى عنهم  
 " ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى " و بهذا كان زردشت الحكيم  
 مخطئا إذ رأى النار مظهر النور، فسجد للنور لفرط رياضة كانت منه،  
 ١٥ فسجد غيره معه و بعده للنار - انتهى .

و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب ذكر النصارى الملكانية<sup>٢</sup>

و اليقوية و النسطورية و كفرهم و قبائحهم فى مقالاتهم و الرد عليهم

(١) قرآن كريم ٣٩ : ٣٠ .

(٢) فى بن : عنده .

(٣) فى بن : الملكية .

و تبدلهم دين عيسى عليه السلام و اختيارهم غيره باضلال بولص اليهودى المتصر لهم و حيده بهم عن الحق إلى الباطل حتى انتقلوا من الحق إلى الضلال و من الإيمان إلى الكفر . فحمد الله تعالى و شكره على نعمة الإسلام و ما جاء به النبي عليه السلام ، [ و - ١ ] يروى عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه سمع رجلا و هو يقول : نحمد الله على نعمة الإسلام ، فقال له : إنك تحمد الله على نعمة عظيمة . و قال سفيان : لما أن جاء البشير إلى يعقوب بقميص يوسف عليهما السلام قال له : على أي دين تركته ؟ قال : على الإسلام ، قال : الحمد لله تمت النعمة ؛ قال ابن الفارض :

و يوسف إذ ألقى البشير قميصه على وجه يعقوب عليه بأوبة

رآه بعين قبل مقدمه بكى عليه بها شوقا إليه فكفت ١٠

قال ٢ التلمساني: رد البصر بالقميص على بعد أبلغ من رده بالمسح على قرب - انتهى .

٣ و سأذكر ما قيل في الشكر إن شاء الله تعالى : قال بعض السلف

الصالح في الشكر : إن للنعمة أجنحة كأجنحة الطيور فقيدوها بالشكر ، و قيل :

الشكر وعاء النعمى و الوفاء معه صلاح العقبى . عن الحسن بن علي رضي الله ١٥

عنهما أنه كان يقول : إلهي ! نعمتي فلم تجدني شاكرا ، و ابتليتني ٥ [ ٩ : ب ]

فلم تجدني صابرا ، فلا أنت سلبت النعمة بترك الشكر ، و لا أنت أدمت

(١) زيد في بن : متابعة .

(٢) زيد من بن .

(٣) زيد في بن : العفيف .

(٤-٤) في بن : فلنذكر الآن .

(٥) في بن : ابتليتني .

المصيبة بترك الصبر؛ إلهي! ما يكون من الكرم إلا الكرم، يا هذا!  
لا تسأل إلا الله، فإنه إن أعطاك أغناك، تمام الكرم إتمام النعم، وشر  
الأشياء العدم عند الهرم .

قال كعب الأحبار: كان في بني إسرائيل غلام يتيم لا يفتر لسانه  
عز الشكر فينما هو جالس على باب داره إذ أقبل إليه ثور سمين ناداه:  
يا فلان بن فلان! قم فاذبحني فأنا رزقك، فتحير الغلام و طرد الثور، فلما كان  
من الغد أقبل الثور يفعل كفعله في اليوم الأول، فعجب الغلام من ذلك  
فطرده وحدث والدته بذلك، فلما كان في اليوم الثالث لم يحس الغلام  
إلا و الثور قد برك و توجه للقبلة<sup>٢</sup> و قال: يا فلان بن فلان! قم فاذبحني  
(١) زيد في بن: فسبحان المرجو للنوازل يكشفها، و للنوائب يصرفها، هكذا  
عوائده الجميلة التي يالفها، و لطائفه الخفية التي لا يخلفها؛ مفرج الغمة، و محول  
النقمة، و مجدد النعمة، و يظهر القدرة، و يتدارك بالرحمة؛ سبحانه لا إله إلا هو،  
و سبحان المنفرد في قيوميته بوجوب الأزلية و البقاء، المتوحد في ديموميته بامتناع  
التغير و الفناء، المتعالى بجلال هوية صمدية عن التركيب من الأبعاد و الأجزاء،  
المتزه بسمو سرمدية عن مشاكلة الأشباه و مماثلة الأشياء، العالم الذي  
لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض و لا في السماء، المحسن الذي لا ينقطع  
زاد كرمه عن عبده في ظهورى السراء و الضراء، و حالتى الشدة و الرخاء، الجليل  
الذي غرق في بحار جلاله غايات عقول العقلاء، العظيم الذي تضاءلت في سرادقات  
كامله نهايات علوم العلماء، الكرم الذي تجاوزت أنواع الآله و نعمائه  
عن التحديد و الإحصاء، الحكيم الذي تحيرت في كنه حكته في خلقه أصغر ذرة  
من ذرات مبدعاته و مكنوناته أبواب الألباء و حكمة الحكماء .

(٢) ليس في بن .

(٣) في بن: الى القبلة .

فانى رزقك ، فلما سمعت والدته بذلك<sup>١</sup> قالت : يا ولدى ! لو لم يكن رزقنا ما جاء ثلاثة أيام على الدوام يفعل هكذا و يكلمك بلسان فصيح ، قم يا بنى إليه فاذبحه فحن جياح و لنا ثلاثة أيام ما طعمنا طعاما ، فعند ذلك قام الغلام إلى الثور فذبحه ، فلما ذبحه دخل عليه غلام فقال : إن هذا الثور لى فلم ذبحته؟ فلم يتكلم ، فأخذ<sup>٢</sup> بيده ومضى<sup>٣</sup> إلى داود فقال : يا خليفة الله! ه سل هذا الغلام لم ذبح ثورى بغير إذنى؟ فقال له داود : لم فعلت ذلك؟ فقال : يا بنى الله ! حديثى عجيب ، فقال : حدثنى به ، فقال : إن هذا الثور له ثلاثة أيام يأتينى إلى دارى و ينادينى باسمى و اسم أبى و يقول : قم فاذبحنى فأنا رزقك ، و أنا أطرده كل يوم و قد ذبحته فى هذا اليوم ، فقال صاحب الثور : أنا لا آخذ ثمنه إلا عشرين دينارا ، فقال داود : امضوا بنا إلى الثور ، فمضوا<sup>٤</sup> إليه ، فدنا داود من الثور فقال : أيها الثور! ثور من أنت؟ فقال الثور بلسان فصيح : أنا ثور صاحب هذه الدار ، إن من أمرى أنى كنت مع صاحبي أب هذا الغلام - يعنى المدعى عليه - قتل والد هذا الغلام المدعى صاحبي و أخذنى منه ؛ فلما سمع داود ذلك من الثور أخذ دية المقتول من تركة أبى الغلام المدعى<sup>٥</sup> والد القاتل<sup>٦</sup> [ و-<sup>٧</sup> ] دفعها لابن المقتول الذابح للثور ، فاستغنى بديه<sup>٨</sup>

(١) فى بن : ذلك .

(٢) فى بن : فأخذه .

(٣) زيد فى بن : به .

(٤) فى بن : فمضى - كذا .

(٥-٥) ليس فى بن .

(٦) زيد من بن .

والده؛ وذلك ببركة شكره لله تعالى .

و سأذكر ما قيل في الحمد و الشكر إن شاء الله تعالى : نحمدك معناه  
ثنى عليك بآتم وجوه الثناء كلها، [ ١٠ : الف ] فیدخل تحته الشكر، و الشكر  
ثناء يقابل به معروف؛ و في الحديث: الحمد رأس الشكر، فمن لم يحمد الله  
لم يشكره؛ و الحمد ذكر الرجل بما فيه من صفات جليلة، و الشكر ذكره بما له  
من أفعال جميلة، من قولهم: دابة شكور- إذا ظهر منها السمن فوق ما تأكله  
من العلف، و يقال: اشكر من بروقه، وهي شجرة معروفة تخصب بأدنى مطر.  
و يؤكد الفرق بينهما أن الحمد في مقابلة الذم و الشكر في مقابلة الكفر،  
فاختلاف نقيضهما دليل على اختلاف في أنفسهما؛ و قد ضمن الله المزيد  
للشاكرين و ما استثنى فقال عز من قائل «لئن شكرتم لأزيدنكم»<sup>١</sup>، فإذا كان  
قد ضمن الزيادة على ما أعطاهم فكيف لا يديم لهم ما كان منحهم أولاً! إلا!  
من أحب بقاء شيء قيده بعقاله خيفة زواله، فقيدوا نعم الله فيكم بوجود  
الشكر - انتهى .

نعود إلى ذكر صاحب قبرس لعنه الله و غضب عليه و جعل  
١٥ دائرة السوء محيطة به! و ذلك أنه لما ظفر بالإسكندرية و فرح بما تحصل له  
من غنائمها<sup>٢</sup> لم تفرح بذلك ملوك النصرانية، و قد زعم أنه صار له بينهم<sup>٣</sup>

(١) زيد في بن: و بالتور أيضا .

(٢) سقطت العبارة من هنا إلى "بوجود الشكر - انتهى" .

(٣) قرآن كريم ١٤ : ٧ .

(٤) زيد في بن: خير .

(٥-٥) في بن: زعم انه صار له بين .

بذلك مزية ، أعقبه <sup>١</sup> ' الله بعد ذلك ' الحزن الشديد . الذي ليس عليه مزيد ، بما فعله <sup>٢</sup> المسلمون بجنده الأنياس ، بطرابلس الشام و بلد أياس <sup>٣</sup> ، و سيأتي ذكر ذلك مفصلا في موضعه <sup>٤</sup> إن شاء الله تعالى .

قال المؤلف <sup>٥</sup> غفر الله له و لوالديه و للاقربين إليه و لجميع المسلمين <sup>٦</sup> :

ولما كمل هذا الكتاب <sup>٧</sup> الذي هو نزهة لأولى الألباب <sup>٨</sup> سميته " كتاب الإمام بالإعلام <sup>٩</sup> فيما جرت به الأحكام و الأمور المقضية في وقعة الإسكندرية <sup>١٠</sup> " مع ما أضفت <sup>١١</sup> إلى ذلك من الاستطرادات <sup>١٢</sup> المفيدات ، و الموضوعات <sup>١٣</sup> المستحسبات مما ستقف عليها إن شاء الله تعالى ، <sup>١٤</sup> و بالله أستعين على جمعه ، و وضعه و نفعه <sup>١٥</sup> . فمن وجد عيبا فليصلح ، و من أصاب (١) في بن : فأعقبه .

(٢ - ٣) ليس في بن . (٣) وقع في الأصل و بن : فعلته - كذا .

(٤) وردت إشارة أخرى لهذه الجملة مؤخرا في ١٦٩ : ب و تفصيلها في مخطوط القاهرة .

(٥) في بن : كما .

(٦) زيد في بن : المستحق .

(٧ - ٧) في بن : رحمه الله .

(٨) ليس في بن .

(٩) هذا هو أول ذكر لاسم الكتاب ، أما المؤلف فلم يظهر إلا في مكان متأخر من مخطوط برلين ( انظر فيما بعد . ١٢ : الف و راجع المقدمة . و في اول مخطوط بانكيبور « كتاب مرآة العجائب للنويرى و ذلك بالإمام فيما جرت به الأحكام - الخ » .

(١٠) في بن : اضيف .

خطأ ' فليسمع ، فالإنسان محل النسيان ، قال الشاعر :

وعين الرضى عن كل عيب كليله

ولكن عين السخط تبتدى المساويا

(١) سقط من بن .

(٢) زيد في بن [ ١٠ ب ] : « واعلم ان عقول الناس مدونة في كتبهم لطر ..... بهم وظاهرة في حسن اختيارهم ، و اختيار الرجل رائد عقله ، و كتاب الرجل قطعة من حكمة ، و القلم لسان اليد و رسول الضمير و وحى الفكر و قيد الحكم ، و صائغ الكلام يصوغ ما جمعه اللب ، و يسوغ ما سبكه القلب ، و الفكر بحر لؤلؤه الحكمة ، و العواصم عليها القلم ، و القلم شجرة ثمرتها الألفاظ ، و القلم ترجمان النظر و آلة الفكر ، و الكتاب نعم الجليس ، قال الشاعر :

ما نادى الطرف من تديم أحسن وجهها من الكتاب  
من يك نطقه في لسان منه فيغنى عن الجواب  
فحاضرا لا على مرأه و غائبا لا على ارتياب  
..... حليف أمن في خطأ كنت أو صواب

قال العتيبي من صنف كتابا فقد اشترى للذم و الهم ، فان أحسن فقد استهدف للحسد و الريسة ، و إن أساء فقد تعرض للشتم بكل لسان ، و لو أنى كفت لسانى ، و لم أذكر ما عانانى ، لكننى إذا مستورا ، و لكن كان ذلك فى الكتاب مستورا ، و سأذكر هنا بلسان التقصير و الخضوع ما قاله الشاعر فى مجموع : يا من عدا - الخ .

' وقال غيره ' :

يا من غدا ناظرا فيما جمعت و من

أضحى يكرر فيما قلته النظرا

ناشدتك الله إن عاينت لي خطأ

٥ فاستر على فخير الناس من سترا

[ ١٠ : ب ] و اعلم أن " المجاميع الكبار ، كالبسائين ذات الزهور

و الثمار ، و من شأنها تفرقها للهموم و الأفكار ، جلبها السرور للقلب ،

و شرحها للصدور و اللب ، و لله در القائل حيث يقول فيها :

إذا شئت أن تحظى من الكتب يافتى

١٠ بأحسن مروي و أطيب مسموع

فظالع تعاليق المجامع إنها

تفرق من هم<sup>٢</sup> الفتى كل مجموع

و سأبتدئ بذكر الآيتين الكريمتين المتقدم<sup>٤</sup> ذكرهما إن شاء الله تعالى :

قوله عز وجل " آلم غلبت الروم \* في ادنى الارض و هم من بعد غلبهم

( ١ - ١ ) ليس في بن .

( ٢ ) من هنا إلى « حيث يقول فيها » عبارة بن هكذا : « المجموع اللائق ، كزهر

الحدائق ، يجلب السرور ، و يشرح الصدور ، و يصرف الغموم ، و يفرق الهموم »

كما قال الشاعر .

( ٣ ) ليس في بن .

( ٤ ) في بن : المقدم .

سيغلبون في بضع سنين<sup>١</sup>“ إلى قوله ”العزير الرحيم“ ، عن ابن شهاب قال :  
 كان المشركون يجادلون المسلمين بمكة فيقولون : الروم أهل كتاب -  
 يعنون الإيجيل - وقد غلبتهم الفرس و أتم تزعمون أنكم ستغلبون  
 بالكتاب الذي أنزل عليكم ، فستغلبكم فارس كما غلبت الروم ؛ فأنزل الله  
 عز وجل ” آلم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم  
 سيغلبون في بضع سنين لله الامر من قبل و من بعد و يومئذ يفرح  
 المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء و هو العزيز الرحيم<sup>٢</sup>“ . و قد كان  
 بين الروم و الفرس حروب يطول الكلام عليها ، خلاصتها أن مصر  
 كانت بين الروم و الفرس نصمين بالسوية ، فهضت الروم على الفرس ،  
 ١٠ أجلتهم عنها بعد أن ملكتها الفرس معهم سبع سنين ، فلم تزل مصر  
 على ملك الروم حتى فتحها الله تعالى على [ يد - ٥ ] المسلمين بعد فتحهم الشام  
 أرض القياصرة . فتحهم أيضا العراق أرض الأكاسرة ، فذلك قوله  
 تعالى ” لله الامر من قبل و من بعد “ إلى ” الرحيم “ .

فائدة : اعلم أن تنوين إذ في ” يومئذ “ تنوين عوض ، أصله : يوم إذ

١٥ غلبت الروم يفرح المؤمنون ، فحذف الجملة التي ” غلبت الروم “ و عوض منها

(١) سقطت عبارة « بن » من هنا إلى ورقة بر ٢٥ : ب .

(٢) قرآن كريم ٣٠ : ١ - ٤ .

(٣) قرآن كريم ٣٠ : ١ - ٥ .

(٤) في الهامش « فأيده في مصر » .

(٥) [ يد ] ناقصة في الأصل .

التوين وقد نقل إجماع العلماء على التوقف على علم العربية إذ الكتاب  
والسنة عريان، والعربية هي النحو، والنحو معرفة كلام العرب والمراد  
به صواب الكلام، وفائدته فهم معنى كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله  
عليه وسلم، ومنفعته تبيين أحوال الألفاظ المركبة في دلالتها على المقصود  
ورفع اللبس عن سامعها، فإن القائل: ما أحسن زيد [١١: الف] - بالسكون، ه  
يحتمل أحد أمور ثلاثة: التعجب من حسنه، والاستفهام عن أى شيء  
منه أحسن، وسلب الإحسان<sup>١</sup> عنه حتى يعرف فيتميز .

<sup>٢</sup> اعلم أن علم العربية لم يؤخذ عن العرب قاطبة بل عن الفصحاء  
البلغاء منهم، وهم الذين لم يخالطوا غيرهم كهذيل وكنانة وبعض تميم  
وقيس عيلان ومن يضاهيهم من عرب الحجاز وأوساط نجد، فأما ١٠  
الذين صاقوا العجم في لغاتهم وهؤلاء كحمير وهمدان  
وخولان والأزد لمقاربتهم الحبشة والزنج . وطى و غسان لمخالطتهم  
الروم بالشام . و عبد القيس لمجاورتهم أهل الجزيرة و فارس، و الجزيرة  
هذه معروفة بجزيرة بسى عمر بأرض العراق، ثم إن<sup>٣</sup> ذوى  
العقول السليمة والأذهان المستقيمة رتبوا أصولها وهدبوا فصولها حتى ١٥  
تقررت على غاية لا يمكن المزيد عليها، وكان إعراب الكلام العرب  
سجية لأنهم مفطورون على الفصاحة، فلما جاء الإسلام و تألفت القلوب

(١) في الأصل « الأحسام » و صحته « الإحسان » .

(٢) بالهامش « مأخذ علم العربية » .

(٣) وقع في الأصل: اتى - كذا .

اختلطت الأمم بعضها ببعض فكادت العربية أن تتلاشى فدعا ذلك أمير المؤمنين عليا عليه السلام أن أصل فيها أصولا أخذها عنه أبو الأسود الدؤلي وكان يراجعها فيها إلى أن حصل من أصولها ما فيه كفاية، ثم قرأ على أبي الأسود ميمون الأقرن، ثم عنبسة المعروف بالقيس، ثم عبد الله بن إسحاق الحضرمي وأبو عمرو بن العلاء فزاد فيه، ثم الخليل بن أحمد وعنه أخذ سيويه، وهؤلاء أئمة البصريين وقد كان علي بن أحمد الكسائي رسم رسوما أخذها عنه أهل الكوفة وتهذب الفن وترتب، وكان الشيخ أبو الحسن علي بن إبراهيم الملقب بسيويه بارعا في صناعة النحو، ومن شعره قوله:

١٠ عدت قلبي بهجر منك متصل يا من هواه ضمير غير منفصل  
ما زادني غير تأكيد صدودك لي فما عدولك عن عطف إلى بدل  
ولعضهم في شاب فقيه:

أقول لشادن في الحسن أضحي يقدر بلحظه قلب الكمي  
ملكك الحب أجمع في نصاب فأد زكاه منظر ك البهي  
١٥ وذاك بأن تجود لمستهام برشف من مقبلك الشهي  
فقال أبو خنيفة لي إمام وعندي لا زكاة على الصبي

[١١:ب] فان تك مالكي الدين أو من يرى رأى الإمام الشافعي

فلا تك طالبا منى زكاة فاخراج الزكاة على الولي

<sup>٢</sup> نظر معاوية إلى النجاد بن أوس العذري الخطيب النسابة في عبادة ناحية من مجلسه فانكر مكانه وازدراه، فتبين للنجاد ذلك في وجهه فقال:

(١) في الأصل «وداك» ولا يستقيم بها الوزن.

(٢) هنا بالهامش «نكته».

يا أمير المؤمنين! إن العباءة لا تكلمك و إنما يكلمك من فيها، و كمال الرجل أدبه لا ثوبه - ثم أنشد:

إني و إن كنت أثوابي ملفقة ليست بخزّ و لا من نسج كتان  
فإن في المجد همتان و في لغتي فصاحة و لسان غير لحان  
اتهي .

نعود إلى ذكر لمع من أخبار الروم و الفرس - و ذلك أنهم كانوا أهل العز الشامخ و الملك الباذخ، و مع ذلك فتح المسلمون بلادهم و أجلوهم عنها، و قطعوا دارهم منها، و ملكوا أرضهم و ديارهم و أموالهم، فاذا كان المسلمون ملكوا أرض القياصرة و بلاد الأناضول، فمأسى فعل صاحب قبرس الكافر اللعين بالإسكندرية ثغر المسلمين، و هو لم يكن بين ملوك النصارى إلا كراعى غنم أو جزاز صوفها بجلم، و لكنه أتى الإسكندرية على حين غفلة من حماها، نهبها و هرب عنها، و ما هكذا عادة الملوك بل من عادتهم أنهم إذا فتحوا مدينة لا يخرجون منها إلا عن قهر و علة لا سرقة و هرب .

و سأذكر لمعا من أخبار ملوك الفرس و الروم ليعلم بذلك قدرهم من قدره، و قوتهم من ضعفه، و مع ذلك أباد المسلمون ملكهم، و ملكوا بلادهم و أرضهم:

فمن ملوك الفرس كيومرت و هو أزل من وضع التاج على

(١) وقع في الأصل: فتحت - كذا (٢) وقع في الأصل: كانت - كذا .

(٣) وقع في الأصل: ابادت - كذا .

(٤) هذا الفصل في تاريخ ملوك الفرس مأخوذ عن المسعودي في كتابه

« مروج الذهب » انظر طبعة باريس ج ٢ ص ١٠٧ و ما يتلوها .

رأسه وكان ينزل مدينة إصطخر من أرض فارس و هو أول من أمر  
بالسكوت على الطعام لتأخذ الطبيعة بقسطها فأخذ البدن بما يرد عليه و تسكن  
النفس عند ذلك و يأخذ كل عضو ما فيه صلاحه من أخذ صفو الطعام ،  
و ان الإنسان متى شغل عن طعامه بضرب من الضروب انصرف قسط  
من التدبير و جزء من التقدير إلى غير ذلك و وقع الاشتراك فأضر ذلك  
بالنفس الحيوانية و القوى الإنسانية . و إذا كان ذلك أدى إلى مفارقة  
النفس الناطقة لهذا الجسد المرئي ؛ و عمر هذا الملك ألف سنة .

قال الحجاج بن يوسف الثقفي لبعض [ ١٢ : الف ] الأطباء : صف لي  
صفة أتفنع بها في أكل و شربي ، فقال له : أيها الأمير ! لا تأكل من اللحم  
١٠ إلا قتيًا و لا تأكله حتى ينضج و ينعم ، و لا تأكل من الفاكهة إلا ما نضج  
و طاب على شجره ، و لا تأكل طعاما إلا أجدت مضغه . و كل  
ما أحببت و اشرب عليه و لا تسرف ، و إذا شربت فلا تأكل ، و لا تحبس  
البول و لا الغائط و لا الريح ، و إذا أكلت بالنهار فتم ، و إذا أكلت في  
الليل فامش قبل نومك ، و أطيب الطعام ما وافق الجوع ، و أذ الشراب  
١٥ شربة ماء بارد تقطع بها غليلك ، و ان الإقلال من الطعام ينشط الهبوب  
من المنام و تدوم معه سلامة الأجسام .

و قد صنف الشيخ أبو عامر محمد بن عبد العزيز الغرناطي<sup>٢</sup>

(١) في الهامش « فائدة » .

(٢) وقع في الأصل : أبي - كذا .

(٣) راجع بروكلمان Brockelmann, GAL, T. II, p. 12, no. 15 أبو الوليد

اسماعيل بن محمد بن علي بن عبد الله بن هاني بن عامر سري الدين اللخمي =

كتاباً في الأغذية سماه "كتاب البديع" فيه منافع الأغذية ومضارها والأشربة وغير ذلك - انتهى .

نعود - ثم ملك من الفرس أو شهنج الأقاليم السبعة وكان ينزل الهند؛ ثم ملك جم وكان ينزل أرض فارس، وفي أيامه أحدث النيروز، وكان ملكه ستائة سنة، قال بعض الشعراء يهنئ بعض الأكارب بالنيروز: ٥  
أبشر بنيروز أتاك مبشراً بسعادة و زيادة و دوام  
و اطرب فقد حلّ الربيع نقابه عن منظر متهلل بسم  
و سيأتي فيما يرد من هذا الكتاب ما قيل في النيروز<sup>١</sup> و المهرجان  
و العنصرة<sup>٢</sup> إن شاء الله تعالى .

ثم أن جم الملك ادعى الإلهية و يزعمون أنه طلع إلى الفلك ، ١٠  
ثم ملك افريدون ، و كانت دار مملكته بابل و هي على شاطئ نهر من  
أنهار<sup>٣</sup> الفرات بأرض العراق و هو نهر النرس ، ر هذه المدينة خراب  
= الأندلسي الغرناطي المالكي ، ولد بغرناطة سنة ٥٧٠ هـ ، ثم جاء مصر ثم عين  
قاضياً مالكيًا على حماه ، و توفي بالقاهرة سنة ٥٧٧ هـ ، و ألف « كتاب البديع في  
وصف الربيع » .

(١) راجع في موضوع « النيروز » ملحق دائرة المعارف الإسلامية و كذلك :  
H. Massé & J. M. Faddegon, Le Naurouz-Nāmē de Omar Khayyām,  
(Livre du Nouvel An), dans "Annales Inst. Ec. Orient. Alger," III (1937),  
pp. 238-6ē.

(٢) عيد العنصرة عند النصارى يقع بعد عيد الفصح .

(٣) في الأصل « أرض » و الصواب في المسعودي (مروج الذهب ج ٢ ص ١١٥) :  
« انهار » .

(٤) في الأصل « وهي » .

الآن<sup>١</sup> . و ذهب الناس إلى أن فيها هاروت و ماروت<sup>٢</sup> و فيها جب يعرف  
بجب دانيال التي تقصده اليهود و النصارى في أعيادهم ، و سيأتي فيما يرد  
من هذا الكتاب خبر هاروت و ماروت إن شاء الله تعالى .

ثم ملك بهم<sup>٣</sup> و هو الذي بعث بخت نصر إلى بني إسرائيل لما بلغه  
٥ أن قوما أحدثوا دينا و أمره بقتلهم و سبي ذراريهم ، و نفاهم عن بيت المقدس  
و بددهم في البلاد ؛ و سيأتي فيما يرد من هذا الكتاب خبر بخت نصر  
إن شاء الله تعالى .

و هلك بهم<sup>٤</sup> و خلف ابنه حملا في بطن أمه<sup>٥</sup> و عقده التاج على  
بطنها ، فلما ولد ملك مدة .

١٠ ثم ملك دارا فكان قظا [ ١٢ : ب ] غليظا . فقتله الإسكندر بحلاف  
جيوش فارس لدارا<sup>٦</sup> ؛ و في زمنه جدد العزيز<sup>٧</sup> التوراه و بنيت أسوار  
بيت المقدس و رجع بنو إسرائيل إلى بيت المقدس ؛ و في زمنه كان  
ابقراط<sup>٨</sup> و سقراط<sup>٩</sup> و دمقريط<sup>١٠</sup> الفلاسفة .  
(١) في الأصل « إلى الآن » .

(٢) انظر هذا الخبر فيما بعد ( ورقة ٢٠٨ : الف ) .

(٣) في الأصل « بهم » بالياء ، و صوابه بالياء « بهم » بسجح في هامش الصفحة .

(٤) في الهامش « بيان التوراة » . انظر أيضا ٢٠٤ : ب .

(٥) راجع Casanova, Idris et 'Ouzair, J.A., Oct.-Dec.1924, pp. 356 et seq.

(٦) أي Hippocrates و يرد عادة في كتب العرب « بقراط » و هم يرجعون

عنه إلى ما قبل الإسكندر بقرن من الزمان و له عندهم صيت ذائع و مكانة رفيعة .

(٧) « سقراط » انظر فيما بعد ٢٠٣ : الف .

(٨) في الأصل « مقريط » و امله « دمقريط » و الدال ساقطة ، و ورد أيضا في =

ثم ملك توطر، و في زمنه كان الحروب الموصوفة بصقلية .  
 ثم ملك بعده ارشخشار، و في زمنه كان ارسطاطاليس و افلاطون<sup>١</sup>  
 الفلاسفة، و سأذكر فيما يرد من هذا الكتاب خبر بيت المقدس و صقلية  
 و ارسطاطاليس و افلاطون و الإسكندر إن شاء الله تعالى . و مات أفلاطون  
 في دولة الملك ارشخشار؛ و قيل لأفلاطون: اى شيء من فعل الناس يشبه  
 أفعال الله تعالى؟ فقال: الإحسان إلى الناس .

ثم ملك ساسان، و كانت ملوك الفرس تحج البيت الحرام من بين  
 سائر ملوك الأعاجم، و كان ساسان هذا إذا طاف بالبيت زمزم على بئر  
 إسماعيل فسميت " زمزم " لزمزمته و غيره من فارس، و هذا يدل على  
 ترادف هذا الفعل، و في ذلك يقول الشاعر:

١٠

زمزمت الفرس على زمزم و ذلك في سالفها الأقدم

و بئر زمزم غورها ستون ذراعاً، و هي شرقى الكعبة، و في قعرها  
 ثلاث عيون: عين حذاء الركن الأسود، و عين حذاء جبل أبي قبيس، و عين  
 حذاء المروة؛ و بئر زمزم عميق سخن، فيه ملوحة و هو داخل قبة عالية<sup>٢</sup>  
 = القلة من كتب العرب التي دكرته « ديموقريطس » أو « ديمقريطس » .  
 (١) كذا .

(٢) انظر فيما بعد ٣ . ٢ : الف عن ارسطاطاليس و أفلاطون .

(٣) في الهامش « صفة بئر زمزم » .

(٤) يلاحظها استعمال المؤنث و المدكر على التوالي في الكلام عن « بئر » .

(٥) في الأصل « وهي » .

(٦) في الأصل « على » .

عن الأرض مبنية<sup>١</sup> بالأحجار و الرخام الأبيض، قد اخضرّ جانبه من طول مدته، و في الشرب منه الراحة لكثرة الرخام، و أفضل المياه ماء زمزم، فاذا أظفر عليه الصائم فليقل: اللهم اجعله علماً نافعا و رزقا واسعا و شفاه من كل داء و سقم، و اغسل به قلبي و املاًه من خشيتك، و ارزقني  
 ٥ الإخلاص و اليقين و المعافاة في الدنيا و الآخرة. ثم ليقل بعد شرب ماء زمزم أو غيره من المياه: ذهب الظمأ و ابتلت العروق و ثبت الأجر إن شاء الله - رواه ابن عمر عن النبي صلى الله عليه و سلم.

قال الحسن البصرى: الدعاء يستجاب في خمسة عشر موضعاً: في الطواف و عند الملتزم و عند الميزاب و في البيت و عند زمزم و على الصفا و المروة و في المسعى و خلف المقام و في عرفات و في المزدلفة  
 ١٠ و في منى و عند الجمرات الثلاث. و الدعاء المأثور أفضل من قراءة القرآن في الطواف على الصحيح من مذهب الشافعى رحمه الله.  
 وكان الشيخ أبو العباس المرسي تلميذ الشيخ أنى الحسن الشاذلى كثيراً ما ينشد:

١٥ [١٣: الف] مرّت لنا منى و الخير أوقات

: طيب عيش قطعناه . لذات

لا سلكنّ ولو أنّ الأسود بها

قوافلا و رماح الخط غابات

(١) في الأصل «مبنى» .

(٢) في هامش الصفحة «الأماكن التي يستجاب فيها الدعاء» .

و لبعضهم :

نزلوا بمكة من قبائل نوفل و نزلت بالبيداء أبعد منزل  
و تقلبوا فرحين تحت ظلالها و طرحت بالبيداء غير مظلل<sup>١</sup>  
و سقوا من الصافي المعتق ريّهم و سقيت دمنة واله متملل  
يا قسمة قسمت ولم أعلم بها و قضية ثبتت فلتمر<sup>٢</sup> الأول ٥

انتهى .

نعود إلى ذكر هدية ساسان ملك الفرس للكعبة - وقد أهدى  
ساسان هذا غزالين من ذهب و سيوفا إلى الكعبة و هي التي دفنت بززم،  
و كان الذي دفنها عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي و هو رئيس  
جرهم ، كانوا ولاة البيت نحو ثلاثمائة سنة ، ثم أن جرهم بغوا بمكة ١٠  
و استحلوا حرمتها و ظلّوا من دخلها و أكلوا مال الكعبة التي يهدى  
لها و لم يتناهوا عن منكر فعلوه ، حتى جعل الرجل إذا لم يجد مكانا  
يزنى فيه دخل الكعبة فزنا فيها ، فزعموا أن إسافا بنى بناثة فيها ، فمسخنا  
حجرين ، و بعث الله على جرهم الرعاف و النمل فأفناهم . و نزلت خزاعة  
أرض تهامة فخاربت الجرهميين و هزموهم . فلما أحس عمرو بالهزيمة ١٥  
أمر بنيه أن يأتوا في ليلة مظلمة إلى موضع زمزم يحفروا و يعمقوا الحفر  
و يدفنوا هنالك غزالي الكعبة و الحجر الأسود و أسافا قلعية ، و انطلق  
هو و من معه إلى اليمن . و لما كان في زمن عبد المطلب بن هاشم جد

(١) في الأصل « مضلل » و صحته بالظاء .

(٢) و مقابل الكلمة « في الأمر » .

النبي صلى الله عليه وسلم رأى في منامه رؤيا دلته على موضع زمزم ، ففقرها  
 وأخرج منها الغزاليين والجوهر والأسياف والحجر الأسود ، فضرب  
 عبد المطلب في الباب الغزاليين ، فكان أول ذهب حليته الكعبة . ولما خرجت  
 جرمهم من مكة قهرا لحقوا ببلاد جهينة ، فأتاهم في بعض الليالي السيل فذهب  
 بهم ، وفي خروج جرمهم من مكة حين أخرجهم منها ولد إسماعيل  
 عليه السلام يقول عمرو بن الحارث بن مضاض :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر  
 بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالي والجود العوائر  
 وكنا ولاية البيت من بعد نابت نعرّ فما يحظى لدينا المكائر  
 ١٠ ملكنا فعززنا وأعظم ملكنا فليس لحي غيرنا ثم ناصر

[١٣: ب] فاب تنثى الدنيا علينا بحالها فان لها حالا وفيها التشاجر

ولى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز قاضيا على بعض النواحي  
 فقيل لعمر بعد توليته له بمدة: إن ذلك القاضي عنده قينة غنته وهو  
 يكتب بقلم في قرطاس:

١٥ ترى في الحكومة يا سيدي على من تشق أن يقتلا

فرمى بالقلم من يده وصرخ وقال: لا ، فلما سمع عمر ذلك عزله . وبلغ  
 القاضي الخبر فقال: والله لو سمعها عمر طرب لحسن نعمتها وقال: اركبوني  
 فاني مطية! فبلغ قوله ذلك لعمر فادعى به وبالجارية ، فقال لها القاضي: غنى له  
 بأبيات عمرو بن الحارث ، فلما حضرت بمجلسه أمرها عمر أن تقول شيئا

فاندفعت تقول الآيات:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر  
فبكي عمر وأخذه الوجد، فلما فرغت من غناها قال للقاضي: ارجع  
إلى عمك راشدا فقد هيّجت مني ما كان ساكنا.

واعلم أن الكعبة المشرقة يسعى لها كل شائق من المغارب والمشارك  
يقصدها للحج، ثم إن أهل مكة تذكروا<sup>١</sup> عن بعضهم أنه قطع عمره كله  
بغير حج وهو مقيم بها وهذا من أعجب العجب؛ قال بعضهم في المعنى:

يا كعبة حجّت إلى إجلالها عرب الشام وتركها والديلم  
أمن المصائب أن يفوز بحجة من بالعراق ومن بمكة يحرم

وقد مدح بعضهم الكعبة بقصيدة منها:

يا كعبة الحسن لو لا لطف معنك لما سرى في الدجى ركب لمغنك  
نعم ولو لا سواد الخال منك لما تسارع الناس في اليدا للقياك  
أرخت نقاب الحيا لا تسفرين فقد هام البرية من تكحيل عينك  
تبهى دلالا على العشاق قاطنة وهتك كل عبّاد ونسك  
إن كان يرضيك موت الصبّ فيك جوى يا حبّذا كل من في الكون يهواك  
تمايلي في الحلى فالركب من طرب قد هام فيك وما في القلب إلاك  
ياربة السّر تمشي في السواد ولا تخشى فور البرايا من محياك  
ترقّقى بوفود قد أتوك وهم شعنا وغبرا يروموا قصد رؤياك  
يا جنة الخلد لا زلت مزخرفة وكل من في بقاع الأرض يهواك

(١) في الأصل: يدكروا.

١: الف] وحق حجرك و الميزاب يا أملى وخالك الأسود الزنجي وركناك  
و بالمقام الذي صلى الخليل به و زمزم و حطيم بغية الحاك  
و طيب عيش قطعنا معك في حرم و سعينا في صفاك ثم مرواك  
إني و إن بعدت عني الديار و إن شط المزار تمنى الطرف رؤياك  
و لبعضهم فيها :

رأيت يا سادتي في الأشهر الحرم عروسة جلّيت في قاعة الحرم  
عذراء مخدرة تجلي محاسنها على الرجال كما تجلي على الحرم  
و سأذكر ما جاء في فضائل الكعبة و مجيئها إلى المحشر إن شاء الله .

روى عن وهب بن منبه أنه قال : مكتوب في التوراة « إن الله عز و جل  
١٠ يبعث سبعائة ألف من الملائكة المقرّين ، يد كل واحد منهم سلسلة  
من ذهب إلى الكعبة فيقول لهم : اذهبوا إلى الكعبة الحرام فزموها بهذه  
السلاسل ثم قودوها إلى المحشر ، قال : فيأتونها فيزمونها بسبعائة ألف سلسلة  
من ذهب ثم يمدونها و ملك ينادى : يا كعبة الله ! سيري ، قال : فتقول : لست  
بسائرة حتى أعطى سؤلي ، قال : فينادى ملك من جو السماء : أسألي حاجتك ،  
١٥ قال : فتقول الكعبة : يا رب ! شفني في جيرتي الذين دفنوا حولي من المؤمنين ،  
قال : فيقول الله عز و جل : قد أعطيتك سؤلك ، قال : فيحشر الله تعالى موتي  
مكة من قبورهم بيض الوجوه كلهم محرمين ، فيجتمعون حول الكعبة يلبون ،  
قال : ثم تقول الملائكة : يا كعبة الله ! سيري ، قال : فتقول : لست بسائرة حتى  
أعطى سؤلي ، قال : فينادى ملك من جو السماء : يا كعبة الله ! سأل حاجتك ، فتقول :

يا رب! عبادك المدينون الذين وفدوا إلى من كل فج عميق شعنا غربا تركوا الأهلين و الأولاد و الأحباب ، و خرجوا شوقا إلى زائرین مسلمین طائعين ، حتى قضوا مناسكهم حيث أمرتهم ، فأسألك يا رب أن تؤمنهم من الفرع الأكبر و تشفني فيهم و تجمعهم حولي ! قال: فيقول الله عز و جل : يا كعبي ! إن فيهم من ارتكب الذنوب بعدك ، فيهم من أصر على الكبائر حتى وجبت لهم النار ، قال : فتقول الكعبة : يا رب ! أنا أسألك الشفاعة لأهل الذنوب العظام يا أرحم الراحمين ! قال : فيقول الله عز و جل : قد شفعتك فيهم و أعطيتك [ ١٤ : ب ] سؤالك ، قال : ثم ينادى مناد<sup>٢</sup> من قبل الله عز و جل : ألا من زار الكعبة فليعتزل من الناس ، قال : فيعتزلون ، فيجمعهم الله حول الكعبة يضر الوجوه آمنين من النار يطوفون و يلبون ، قال : ١٠ ثم ينادى ملك من السماء : يا كعبة الله ! سيري ، قال : فتقول الكعبة : لبيك اللهم لبيك ! و الخير كله بيدك ، لا شريك لك ؛ ثم تعودها الملائكة إلى المحشر . و معنى الطواف حول الكعبة : عبد أبق من مولاه ، فأضرب به طول بلواه ، فجاء يلوذ بأركان بيته و فئاته ، لما أمل من كرمه و سخائه .

قال بعضهم : بينما أنا أطوف بالكعبة و إذا بامرأة معها صبي و هي ١٥ تقول : يا كريم بحق العهد القديم إلا غفرت لي ! فقلت لها : و ما العهد القديم الذي بينك و بينه ؟ فقالت : يا أحي ! أمرى عجيب ، فقلت : قصي علي بالله أمرك !

(١) في الأصل « حتى » و المقصود « حيث » ، يستقيم بها الكلام .

(٢) وقع في الأصل : العظام - كذا .

(٣) وقع في الأصل : منادى - كذا .

قالت : إني كنت في مركب و هي سائرة في البحر الملح ، فعصفت علينا ريح  
فدمرت من كان في السفينة فلم ينج أحدا منها غيري و هذا الطفل  
الذي معي ، فبقيت أنا و إياه على لوح و رجل على لوح آخر ، فلما أصبح  
الصبح نظر الرجل إليّ فجعل يدافع الماء بذراعيه حتى وصل إليّ و استوى  
معنا على اللوح و جعل يراودني على نفسي ، فقلت : يا عبد الله ! نحن في بلية  
لا نرجو السلامة منها بطاعة الله فكيف بمعصيته ؟ فقال : والله لا بد من  
ذلك ! و مدّ يده إلى الطفل ، أخذه و رمى به في البحر ، فرفعت طرفي إلى  
السما و قلت : يا من يحول بين المرء و قلبه ! حيا بيني و بين هذا الرجل  
بحولك و قوتك ، إنك على كل شيء قدير ! و إذا بدابة من دواب البحر  
١٠ قد فتحت فاهها و التقمته و غاصت به في البحر ، و بقيت الأمواج ترميني  
يمينا و شمالا إلى أن رميتني إلى جزيرة من جزائر العرب ، فقصصت عليهم  
قصتي ، فتعجبوا من ذلك و قالوا : لقد أخبرتنا<sup>٢</sup> بأمر عجيب و نحن نخشرك  
بأمر تعجبين منه ، و ذلك أن [ كنا - ٤ ] نحن سائرين في هذا البحر و إذا بدابة  
من دواب البحر قد اعترضتنا و وقفت أمامنا و إذا هذا الطفل على ظهرها ،  
١٥ و سمعنا مناديا ينادي - نسمع صوته و لا نراه - يقول : لأن تأخذوا هذا الطفل  
و إلا هلكتم ! فنزل واحد منا على ظهرها ، أخذه و طلع المركب ، فغاصت  
الدابة في البحر و ها هو ! فأخرجوه لها فضمته إلى صدرها و بكّت و قالت :

(١) وقع في الأصل : احدا - كذا .

(٢) كذا ، والظاهر : وهو .

(٣) وقع في الأصل : اخبرتنا - كذا (٤) - سقط من الأصل و لا بد منه .

هو انى و الله ! فأخذته و ها هو ذا [ ١٥ : الف ] طائف معى بالكعبة ، قال  
الرجل : فتعجبت من أمرهما و استوهبت من المرأة الدعاء و دفعت لها  
نققة و انصرفت عنها - انتهى .

نعود إلى معنى التعلق بالآستار - أنا الذى هتكت أستار سرائرى  
عندك بقبیح الخلوات ، و افعال الكبائر الموبقات ، و الجنایات الموجبات ، ه  
فهب لى من حمیل عفوك ، و تجاوزك و صفحك ، ما تستر به عورتى ،  
و تغفر به ذلتى ، و تقیل به عثرتى ، و تسمع به دعوتى ، و تقضى به  
حاجتى ، و تنجح به طلبتى ، فأنت قصدى و بغيتى و همى و إرادتى ؛ شعر :

حننت إلى مشاهدة الكرام      فیا شوقى إلى البلد الحرام  
يطوف الطائفون و لا أراهم      و كنت أراهم فى كل عام ١٠  
على البت الحرام سلام صب      يلاقى الشوق فيه مع الغرام  
إذا ذكر الحجاز يراع قلبى      فیا أسنى على ذاك المقام  
و لبعضهم فى الكعبة :

كعبة الله كالعروس تجلّت      و عليها من الجمال لثام  
ولها فى مُقَبَل الخدّ خال      كم إليه بالشوق تسعى الأنام ١٥  
قيل : من صافح الحجر الأسود فقد صافح الحق سبحانه و تعالى ، لأنه  
يمين الله فى الأرض ، و من قبله فقد قبلها .

قال ابن الفارض :

و منها يمينى فيه ركن مُقَبَل      و من قلتي فى فى للحكم قبلتى  
الضمير فى " و منها " ضمير الصفات ، : المعنى أن حكم الشرع الباطن ٢٠

الذي هو كحكم الشرع الظاهر في تقييل الحجر الأسود الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: الحجر الأسود يمين الله في الأرض، أي من قبله فقد قبلها، وكما أن الحجر من القبلة فكذا فمي من قبلي، فله قبلي.

و معنى أيضا: تقييل الحجر و مصافحته كأنه إذا فعل ذلك يدى بوفاء عهدي و إخلاص قصدى لا أنقض لك عهدا، و لا أخلف لك وعدا، و لا أعصى لك أمرا، و لا أفشى لك سرا، و لا أهتك من محارمك سترا، كل الجهات الست بمن فيها توجه إلى الكعبة من قرب و بعد، و لا شك أن المقصود بذلك كله رب الكعبة، لم يقل الله تعالى: وسعني الكعبة، بل قال: ما وسعني أرضي و لا سمائي، و وسعني قلب عبدي المؤمن، و المراد ليس جرم القلب بل انفس الكاملة، و نظر ابن عمر إلى الكعبة [١٥: ب] فقال: ما أعظمك و أعظم حرمتك! و المؤمن أعظم حرمة عند الله منك.

و في بضع و أربعين و ستمائة هبت رياح عاصفة بمكة فزقت ستارة الكعبة و ألقتها، فما سكنت الريح إلا و الكعبة عريانة قد زال عنها شعار السواد، و كان هذا فألا على زوال دولة نبي العباس و منذرا بما سيقع بعدها من كائنة التتر، و سيأتي فيما يرد من هذا المعنى من أخبار التتر بما فعلته ببغداد مع الخليفة المستعصم بالله إن شاء الله تعالى. و لما تعرّت الكعبة من ستارتها تمزيق الرياح لها استأذن نائب صاحب اليمن شيخ

(١) في الأصل: لعا - كذا.

الحرم في أن يكسو الكعبة، فقال : لا يكون ذلك إلا من مال الخليفة .  
 ولم يكن عند شيخ الحرم مال فاقترض ثلاثمائة دينار و اشترى بها ثياب  
 قطن و صبغها سودا و ركب عليها طراز الكعبة العتيقة و كسا بها الكعبة  
 بعد أن مكثت إحدى و عشرين يوما عريانة . و سيأتي فيما يرد من هذا  
 الكتاب ما قيل في الحجر الأسود و لما سمي بالأسود إن شاء الله تعالى . ٥  
 و لما حجت جميلة بنت ناصر الدولة<sup>٢</sup> كانت في تجمل عظيم يضرب  
 المثل بحجها ، و ذلك أنها عملت أربعمئة حمل ، في كل حمل جارية ،  
 فكان لا يدرى في أيها هي ، و لما وصلت إلى الكعبة في جواربها و كلهن  
 زيا واحدا في الملبوس لثلاث تعرف من بينهن نثرت عليها عشرة آلاف  
 دينار انتهبتها الناس ، و كست المجاورين كلهم بالحرمين : حرم مكة و حرم ١٠  
 المدينة ، و كانت إذا طافت لم تعرف من بين جواربها .

و في بضع و ستين و ستمائة احترق مسجد المدينة - على ساكنه أفضل  
 الصلاة و السلام - و ذلك أن أحد القوم<sup>٢</sup> دخل إلى خزنة الحرم و معه  
 نار فعلقت في الآلات و اتصلت بالسطح سرعة ، ثم عملت في السقوف

(١) انظر أيضا فيما يتعلق بكسوة الكعبة ٧٨ : الف ، ١٥٣ : ب - و من المعلوم  
 من بعض الأصول التاريخية أن كسوة للكعبة صنعت سنة ١٥٩ هـ في تنيس  
 و سنة ١٩١ هـ في طهطا - راجع مجل الكتابات العربية Re'pertoire Chronologique

d' Epigraphie Arabe ج ١ رقم ٤٤ ، ٨٠ .

(٢) ناصر الدولة بن حمدان توفي في الموصل سنة ٣٥٧ هـ .

(٣) وقع في الأصل : القومة - كذا .

حتى احترقت سقوف المسجد أجمع ، و احترق سقف الحجرة النبوية و وقع بعض أساطين المسجد ، و كل ذلك قبل أن تمام الناس ، فجهز الملك الظاهر بيبرس ' سلطان الديار المصرية صناعا و أخشابا لعمارة مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم بعد حريقه ، فطيف بتلك الأخشاب و الآلات بالقاهرة ثم أرسل بها إلى المدينة .

قال البخارى فى صحيحه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كان المسجد على عهد النبي صلى الله عليه و سلم مبنا باللبن ، و سقفه الجريد ، و عمدته خشب النخل ، فلم يزد فيه أبو بكر رضى الله عنه شيئا ؛ و زاد فيه عمر رضى الله عنه و بناه على بنيانه فى عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم باللبن و الجريد و أعاد ١٠ [ ١٦ : الف ] عمدته خشبا ؛ ثم غيره عثمان رضى الله عنه فزاد فيه زيادة كثيرة و بنى جداره بالحجارة المنقوشة و الفضة و جعل عمدته من حجارة منقوشة ، و سقفه بالساج ، و القصة هى الجص .

قال الشيخ محي الدين النواوى : قوله صلى الله عليه و سلم : صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام . معناه فيما يرجع إلى الثواب ؛ فتواب صلاة فيه تزيد على ثواب الألف فيما سواه و لا يتعدى ذلك إلى الأجزاء عن الصلوات الفوائت و هذا لا خلاف فيه ؛ و قال النواوى أيضا : و يستحب المجاورة بمدينة رسول الله صلى الله عليه و سلم كالمجاورة بمكة ، فقد ثبت فى الصحيح عن (١) و كان ذلك فى سنة ٦٦١ هـ .

ابن عمر و أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: من صبر على لأواء المدينة و شدتها كنت له شفيعا - أو شهيدا - يوم القيامة . و اختلف العلماء في المجاورة بمكة ، فقال أبو حنيفة و من واقفه: تكره المجاورة بها ، و قال أحمد ابن حنبل و آخرون: لا تكره بل تستحب ؛ و قد اشتد نكير القاضي أبي بكر ابن العربي على القائلين بالكراهة ؛ قال النواوي: و إنما كرهها من كرهها هـ لأمور: منها خوف الملال و قلة الحرمة للإنسان و خوف ملابسته الذنوب ، فان الذنب فيها أقبح منه في غيرها كما أن الحسنة أعظم منها في غيرها؛ و أما من استحباها فلما يحصل فيها من الطاعات كالطواف و تضعيف الصلوات و الحسنات و غير ذلك ؛ قال ابن عبد البر في كتاب التمهيد: عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: فضل الصلاة في ١٠ المسجد الحرام على غيره بمائة ألف صلاة ، و في مسجدى بألف صلاة ، و في مسجد بيت المقدس بخمسةائة صلاة . قال النواوي: و المختار المجاورة بمكة إلا أن يغلب على ظنه الوقوع في الأمور المحظورة . و قد جاور بها خلائق لا يحصون من سلف الأمة و خلفها و ممن يقتدى بهم . و سيأتي فيما يرد من هذا الكتاب لمع<sup>١</sup> من أخبار مكة ١٥ و المدينة و أسماء بعض مدن الهند و اليمن و العراق و الروم إن شاء الله تعالى - انتهى .

نعود إلى ذكر ملوك الفرس - ثم ملك سابور بن يزدشير<sup>٢</sup> و هو

(١) وقع في الأصل: ابو - كذا .

(٢) وقع الأصل: لمعا - كذا .

(٣) سابور بن يزدشير هو سابور الأول ابن ازدشير الذي حكم بلاد الفرس =

الذي يقال له: سابور الجنود، وهو الذي اقتتح الحصن المعروف بالحضر من بلاد الموصل، وكان صاحب الحصن يسمى الضيزن وأقام سابور على حصنه أربع سنين لم يقدر على فتحه حتى تحركت النضيرة بنت الضيزن إلى بعض الأرباض، وكذلك يفعلون بنسوانهم، [ ١٦ : ب ] وكانت النضيرة من أجل النساء فتعشقت سابور وعشقها، فقالت: انت الثرثار - وهو نهر - فانثر فيه تبنا ثم اتبعه فانظر حين يدخل فأدخل الرجال منه، فان ذلك يفضى إلى الحصن؛ ففعل سابور ذلك وفتحه عنوة - أي غلبة وقهرا، وقتل من فيه، واحتمل النضيرة، فحرس بها بعين التمر فلم تزل ليلتها تتضور و فرشها الحرير المحشو زغب الطير، فقال: ما بالك؟ قالت: من الفراش، فقال: والله! ما نامت الملوك على ألين منه، فالتمس سابور ما كان يؤذيها، فاذا ورقة آس ملتصقة بين عكنها، وكان سابور ينظر إلى مخ قصبها من لين بشرتها، فقال لها: أي شيء يغذيك أبوك؟ فقالت: بالزبد والمخ وشهد أبكار النحل و صفو الخمر، فقال: وأبيك لا أنا أحدث بك! فكان جزاء أبيك منك ما صنعت به فكيف آمنك على نفسي؟ فأمر رجلا فركب فرسا جموحا ثم عصب شعر رأسها بذيله ثم همز الفرس فقطعها قطعا - هذا ما ذكره المسعودي في كتاب "مروج الذهب ومعادن الجوهر" الذي ذكر أنه ألفه في سنة اثنتين وثلاثين

= من سنة ٢٤١ إلى سنة ٢٧٢ .

(١) « النضيرة » وردت في النص « النضيرة » - راجع مروج الذهب / ١ / ٨٤ .

(٢) وقع في الأصل: أبوك - كدا .

و ثلاثمائة بعد تأليفه لكتاب "أخبار الزمان و من أباده الحدثنان" من الأمم الماضية و الأجيال الخالية و الممالك الدائرة و الأمم الغابرة . و ألف أيضا كتاب "فنون المعارف و ما جرى في الدهور السوائف" و كتاب "ذخائر العلوم و ما كان في سالف الأعصار و الدهور" و كتاب "نظم الجواهر في تدبير الممالك و العساكر" و كتاب "الاستدكار" لما جرى في سالف الأعصار" و كتاب "نظم الأعلام في أصول الأحكام" و كتاب "نظم الأدلة في أصول الملة" و كتاب "المسائل و العلل في المذاهب و الملل" و كتاب "المقالات في أصول الديانات" و كتاب "التعيين للخلفاء الماضين" و كتاب "التنبيه على تواريخ الأمم"، و كان تأليفه لهذا الكتاب المسمى بالتنبيه كما ذكر بمصر سنة خمس و أربعين و ثلاثمائة للهجرة في خلافة ١٠ المطيع و الملك على الروم قسطنطين بن لاون<sup>١</sup> و هي سنة ألف و سبعمائة و أربع سنين لبخت نصر<sup>٢</sup>، و بخت نصر هو الذي أخرج الديار المصرية و أقام النيل بسبب إخراجه لمصر و أرضها أربعين سنة يزيد و ينقص و لا يزرع عليه لخلو مصر و أرضها من الناس، و قيل: إنه عمر سبعمائة سنة، و قال المسعودي أيضا: و هذه السنة سنة ألف و مائتين و ثمانين ١٥

(١) سنة ٣٤٥ هـ تواريخ سنة ٩٥٦ و ٩٥٧ م و هي من سني حكم قسطنطين السابع

المعروف باسم Constantin VII Porphyrogen'ete ابن ليون حكم ما بين ٩١٣-٩٥٩ .

(٢) تقويم بخت نصر هذا بدأ سنة ٧٤٧ ق. م . و على ذلك تكون السنة المشار

إليها هنا ٤ ١٧ بدلا من ١٧٦٤، إذن يجب أن تكون القراءة « وأربع سنين »

بدلا من « وأربع وستين سنة » كما هو وارد في النص .

للاسكندر المقدوني وستائة و ثلاث 'وسبعين' لدقلطيانوس ملك القبط و ثلاثمائة و أربع و عشرين سنة [ ١٧ : الف ] لشهريار بن كسرى ابرويز آخر ملوك فارس<sup>٢</sup> - انتهى ما قاله أبو الحسن على المسعودي .

فلنذكر ما قاله قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان في تاريخه

المسمى بوفيات الأعيان في إنباء أبناء الزمان و من أباده الحدثان عن

الحصن المتقدم ذكره إن شاء الله تعالى - قال : إن الحصن المعروف بالحضر

إنما حاصره ازدشير بن سابور الجنود ملك الفرس و كان لصاحب الحصن

ابنة يقال لها النضيرة بنت الضيزن و كانت في غاية الجمال فأشرفت ذات يوم

فأبصرت ازدشير الملك و كان من أجمل الرجال فهويته ، فأرسلت إليه أن

١٠ يتزوجها و تفتح له الحصن ، فالتزم لها ما طلبت ، و كان في عليهم أنه لا يفتح

حتى تؤخذ حمامة و تخضب رجلاها بحمض بكر ثم ترسل الحمامة فتترك على

سور الحصن فيقع الطلسم فيفتح الحصن ، فدلّت النضيرة ' ازدشير ' على

(١) تقويم الإسكندر المقدوني يبدأ سنة ٣٢٣ ق . م . بإضافتها إلى السنة

المشار إليها من حكم قنسطنطين السابع ينتج أن حساب المؤلف مضبوط في

سنة ١٢٨٠ ، ولكن في الأصل : ثمان مئتين - مكان : ثمانين .

(٢-٢) في الأصل : سنين ، و تقويم الشهداء بين القبط يبدأ بتوية دقلديانوس الحكم

سنة ٢٨٤ م بطرحها من سنة ٩٥٧ م يكون الحاصل ٦٧٣ وليس ٦٠٣ كما ورد خطأ

في النص .

(٣) تقويم شهريار بن كسرى ابرويز و هو تقويم يز دجرد النالت الذي

سقطت في عهده الأمبراطورية الساسانية يبدأ بسنة ٦٣٢ م ، و على ذلك يكون

التقدير الوارد في النص مضبوطا .

(٤) قد مر التعليق عليه .

(٥) في الأصل : ازد .

ذلك قعله و استفتح الحصن و أخربه و أباد أهله و سار بنضيرة<sup>١</sup> و تزوجها،  
 فيما هي نائمة على فراشها إذ جعلت تملل، ففتش فرشها فوجد عليه  
 ورقة آس، فقال لها الملك: هذا الذي أسهرك؟ قالت: نعم، قال: فما كان  
 أبوك يصنع بك؟ قالت: كان يفرش لي الديباج و يلبسني الحرير و يطعمني  
 الملح و الزبد و يسقيني الخمر الصافي، قال: فكان جزاء أيك<sup>٢</sup> منك ما صنعت<sup>٣</sup>  
 به أنت إلى، ثم أمر بها فربطت قرون شعر رأسها بذنوب فرس ثم سيق  
 الفرس سوقا عنيفا فقطعها قطعاً - انتهى.

و قال المسعودي أيضا: و في قتل سابور الجنود<sup>٤</sup> للملك الضيزن  
 يقول جرير العبسي:

ألم يخبرك و الأنبياء تسمى بما لاقت سراة بني العبيد ١٠  
 و مصرع ضيزن و بني أييه و أحلاف الكتائب من يزيد  
 أتاهم بالفيول مجلات و بالأبطال سابور الجنود  
 فهتّم من بروج الحصن صخرا كأن بناءه<sup>٥</sup> زبر الحديد  
 و سمى سابور الجنود الكثرة من تبعه من الجند و كان مسيره في جنود  
 فارس و غيرها من الترك و ملوك الأمم . ١٥

و في قتل سابور للنضيرة<sup>١</sup> بنت الضيزن و ما كان منها من الغدر بأبيها  
 و قومها و إرشادها سابور إلى أن دخل الحصن يقول عدى بن زيد العبادي:

(١) قدم التعليق عليه .

(٢) في الأصل: ابوك - كذا .

(٣) في الأصل: الجند .

(٤) من مروج الذهب ٣٨٥/١، و في الأصل: تقاله - كذا .

والحضر صبت عليه داهية من قعدة أبدت مناكبها  
 [١٧:ب] فأسلت أهلها ووالدها تظن أن الرئيس خاطبها  
 فكان حظ العروس إذ جسر الصبح سبوح دماء تجرى سبائبها  
 ومثل هذه الحكاية ما جرى للحارث بن عمرو الكندي جد امرئ  
 القيس وهو المعروف بآكل المرار، لأن عبد ياليل أغار عليه فأخذ  
 زوجته فيمن أخذ فأعجبت به وأحبته وخافت أن يستنقذها الحارث بن  
 عمرو منه، وكان عبد ياليل أسود أدم فقالت لعبد ياليل: انج بي قبل التبع  
 فكأنى بالحارث كأنه حمل آكل المرار<sup>١</sup> قد لحقك فاستنقذني منك؛ فما كان  
 إلا قليلا حتى أدركهم الحارث فاستنقذها منهم، فقال لها: هل أصابك  
 ١٠ عبد ياليل؟ قالت: نعم وما اشتملت النساء على مثله؛ فأمر أن تربط إلى  
 ذيل فرس ويركض بها، فربط شعرها لذيل فرس وركض بها حتى تقطعت  
 قطعاً، فالحارث وبنوه هم ملوك كندة - انتهى .

فلنذكر الآن خبر سابور بن هرمز<sup>٢</sup> ذي<sup>٣</sup> الأكتاف - وسمى سابور ذا<sup>٤</sup>  
 الأكتاف لخلعه أكتاف العرب وهو الذي بنى الإيوان العظيم البناء  
 ١٥ وهو إيوان كسرى الذي هو أحد عجائب الدنيا لعظم شأنه وهو بالجانب  
 الشرقى من المدائن، وكان ملكه - إلى أن هلك - اثنتين<sup>٥</sup> و سبعين سنة،  
 وكان خلفه أبوه الملك كسرى هرمز حملا في بطن أمه فغلبت العرب

(١) في الأصل: مرار .

(٢) وهو سابور الثاني حكم من سنة ٣١٠ إلى سنة ٣٧٩ م .

(٣) في الأصل ذو - كذا .

(٤) في الأصل اتنين - كذا .

على سواد العراق ، و قام الوزراء بأمر التدبير ، و كانت جمرة العرب  
 عن غلب على العراق ولد إياد بن نزار ، و كان يقال لها "طبق" لإطباقها  
 على البلاد ، و ملكها يومئذ الحارث بن الأعز الإيادي ، فلما بلغ سابور  
 من السنين 'ست عشرة' سنة أعد أساورته للخروج إليهم و الإيقاع بهم ،  
 و كانت إياد تصيف بجزيرة بني عمر و تشتوا بالعراق ؛ و كان في جيش ٥  
 سابور رجل منهم يقال له دلقيط ، فكتب إلى إياد شعرا يندرهم و يعلمهم  
 خسر من يقصدهم فقال :

سلام في الصحيفة من لقيط      على من بالجزيرة من إياد  
 فان الليث يأتكم دلافا      فلا يحبسكم سوق النقاد  
 أتاكم منهم سبعون ألفا      يزجون الكتاب كالجراد ١٠  
 فلم يعبأوا بكتابه و سراياهم تكرر نحو العراق و تغير على السواد ، فلما  
 تجهز القوم نحوهم أعاد إليهم كتابا أن القوم قد عسكروا و حشدوا لهم  
 [ ١٨ : الف ] و أنهم سارون إليهم ، ثم إن سابور أوقع بهم و عضهم  
 بالقتل و ما أفلت منهم إلا نفر لحقوا بأرض الروم ، و خلع أكتاف كثير  
 منهم فسمى بذلك سابور "ذا<sup>٢</sup> الأكتاف" و قد كان سابور في مسيره في ١٥  
 البلاد أتى على بلاد البحرين و فيها يومئذ بنو تميم فأمعن في قتلهم ،  
 و هربت بنو تميم و شيخها يومئذ عمرو بن تميم بن مر ، و له يومئذ ثلاثمائة

(١-١) في الأصل : ستة عشر - كذا .

(٢) في الأصل : يشتوا - كذا .

(٣) وقع في الأصل : ذو - كذا .

سنة ، و كان يعلّق في عمود البيت في قفة قد اتخذت له ، فأرادوا حمله فأبى عليهم إلا أن يتركوه في ديارهم و قال : أنا هالك اليوم أو غدا ، و ما ذا بقي من عمري ؟ و لعل الله ينجيكم من سطوة المسلّط على العرب بتركي ، فتركوه و مضوا ، فلما صبحت خيل سابور الديار ألقوها خالية ، فلما سمع الشيخ عمرو سهيل الخيل جعل يصيح بصوت ضعيف ، فأخذ و جىء به إلى سابور ، فلما وضع بين يديه نظر إلى دلائل الهرم و مرور الأيام عليه فقال له سابور : من أنت أيها الفاني ؟ قال : أنا عمرو ابن تميم بن مرّ و قد بلغت من الكبر ما ترى و قد هرب الناس منك لإسرافك في القتل ، و آثرت الفناء على يدك ليبقى من مضي من قومي ، و لعل الله تعالى يجرى فرجهم على يدك ، و أنا سائلك عن أمر إن أذنت فيه ! فقال له سابور : قل نسمع ، فقال : ما الذي حملك على قتل رعيتك و رجال ؟ العرب فقال سابور : أقتلهم لما ارتكبوا من بلادى و أهل مملكتى ، قال عمرو : فعلوا ذلك و لست عليهم بقيم ، فلما بلغت وقفوا بما كانوا عليه من الفساد هية لك ، قال سابور : و أقتلهم لأننا نجد في مخزون علينا و ما سبق من أبناء أوائلنا أن العرب ستدال علينا ، قال عمرو : و هذا تتحققه أم تظنه ؟ قال : بل أتحققه و لا بد أن يكون ، قال عمرو : فلم تسيء إليها ؟ و الله إن تبقى على العرب و تحسن إليها فيكافون عن قومك عند إدالة الدولة لهم باحسانك ، و إن أنت طالت بك المدة كافوك عند مصير الأمور إليهم إن كان حقا ، و إن كان باطلا فلم تتعجل الإثم و تسفك دماء رعيتك ؟ قال سابور : و الرأي ما قلت ، و لقد صدقت في القول و نصحت ؛

فنادى منادى سابور بأمان الناس ورفع السيف، ثم سار سابور إلى أرض الروم ففتح المدن و قتل خلائق من الروم وقال لمن معه: إني أريد أن أدخل أرض الروم متكرراً لأعرف أخبارهم و سيرهم و عمالك بلادهم، فإذا بلغت من ذلك [١٨: ب] حاجتي انصرفت إلى بلدي فسرت إليهم بالجنود، فحذروه التخير بنفسه فلم يقبل قولهم، فسار متكرراً إلى القسطنطينية ه فصادف وليمة بالقصر لقيصر وقد اجتمع فيها الخاص و العام، فدخل في جملتهم و جلس على بعض موآئدهم، و قد كان قيصر أمر مصوراً آتى عسكر سابور، فصور شكل صورته، فلما جاء إلى قيصر بالصورة أمر بها فصورت على آنية الشراب من الذهب و الفضة و آتى بعض من كان على المائدة التي عليها سابور بكأس، فنظر بعض الخدم إلى الصورة التي على الكأس التي<sup>١</sup> يد سابور و سابور مقابل لها على المائدة، فعجب من اتفاق الصورتين و تقارب الشبهين، فقام إلى الملك فأخبره فمثل بين يدي الملك فسأله عن خبره، فقال: أنا من أساورة سابور و هربت منه لأمر خفته فيه، فلم يقبلوا ذلك منه، و قدم إلى السيف فأقر بنفسه، فجعل في جلد بقرة و سار قيصر في جنوده حتى توّسط العراق فافتح<sup>٢</sup> الحصون و شن<sup>١٥</sup> الغارات و عقر النخل و انتهى إلى مدينة نيسابور و قد تحصن بها وجوه فارس فنزل عليها، و حضر عيد النصارى فأغفل الموكلون بأمر سابور و أخذ فيهم الشراب، و كان بالقرب من سابور أسارى من فارس، فراطنهم

(١) في الأصل: لارض - كذا .

(٢) في الأصل: الذي - كذا .

(٣) وقع في الأصل: فافتح - كذا .

بالفارسية أن يحل بعضهم بعضا، و شجعهم و أمرهم أن يصبوا عليه زقاق  
الزيت قفلوا، فلان عليه الجلد نخرج منه و آتى المدينة ليلا فرأى الحرس  
فوق سورها فراطنهم فعرفوه و رفعوه إليهم بالحبال، ففتح أبواب خزان  
السلاح و خرج بأساورته إلى الروم و هم مطمئنون قد عمل فيهم خمار الشراب،  
فكس جيشهم عند ضرب النواقيس فانهزم الروم و آتى بقيصر أسيرا،  
فاستحياه و أبقى عليه و ضم إليه من أسر من أصحابه و أخذهم بغرس الزيتون  
بالعراق بدلا من النخل الذى عقروه، و لم يكن الزيتون بالعراق قبل ذلك .  
و فى فعل سابور و تغريه بنفسه و دخوله إلى الروم يقول بعض  
المتقدمين من شعراء الفرس :

- ١٠ إذ كان بالروم جاسوسا يحول بها حزم البرية من ذى كيد مكار ١٥  
فاستأسروه و كانت كبرة عجبا و زلة سبقت من غير عثار  
و أصبح الملك الرومى مقتربا أرض العراق على هول و أخطار  
فراطن الفرس فى الأبواب فامترقوا كما تجاوب أسد الفار فى الغار  
١٩: الف] بجز بالسيف أصل الروم فامتحقوا لله درك من طلاب أوتار  
١٥ إذ يغرسون من الزيتون ما عضدوا من النخيل و ما أحضوا بمنشار ٢٠

و لما مات سابور ملك بعده ابنه بهرام بن سابور، ثم ملك بعد  
بهرام ابنه يزدجرد و هو المعروف ببهرام جور، ثم ملك يزدجرد بن  
بهرام جور بعد أبيه، و أحضر حين ملك رجلا من حكام عصره فقال

(١) فى الأصل : زدجر .

(٢) فى الهامش : نكتة .

له: أيها الحكيم الفاضل! ما صلاح الملك؟ قال: الرفق بالرعية و أخذ الحق منهم في غير مشقة و التودد إليهم بالعدل و أمن السبل و إنصاف المظلوم من الظالم، قال: فما صلاح أمر الملك؟ قال: وزراءؤه و أعوانه، إن صلحوا صلح و إن فسدوا فسد ثم هلك، و تنازع الناس بعده، ابنه فيروز و هرمز، فقتله فيروز ثم أن فيروز غزا اخشوار ملك الهياطلة<sup>١</sup> و هم بين ه بخارى و سمرقند، فاحتال عليه ملك الهياطلة حتى أخذه أسيرا. و سأذكر تلك الحيلة العجيبة في موضعها إن شاء الله تعالى. ثم ملك قباد بن فيروز بعد قتل ملك الهياطلة لفيروز. ثم ملك بعد قباد ابنه كسرى انوشروان فقتل ملك الهياطلة بجده فيروز بعد أن غزاه و أسره.

و "انوشروان"<sup>٢</sup> تفسيره: حديد الملوك، فعظم شأنه و كبر سلطانه ١٠ و هادته ملوك الهند و الصين و الشمال و الجنوب و كانت مدة ملكه ثمانيا و أربعين سنة، و هو الذي بنى سورا لباب الأبواب<sup>٣</sup> و جعل مبدأ السور من جوف البحر مقدار ميل و بناه على الزقاق المنفوخة

(١) « الهياطلة » انظر أيضا ٢٣ : الف - راجع المصادر الآتية :

Noeldeke, *Gesch. d. Perser u. Araber*, pp. 118 et s.

Bloch, *Les Pays de Tchata et les Ephtalites*, "Reud. Acc. Lincei. Yc. Mor. Hist. Filol.", VI ser., Vol. I, Mai-Juin 1925.

R. Ghirshman, *Les Chionites—Hephtalites*. 1948. (Me'm De'le'g. Franc. Afghanistan, Tome XIII), fol. XIII-156, p. 70 fig. 8 pl.

(٢) في الهامش: كسرى انوشروان.

(٣) وقع في الأصل: سور الباب و الأبواب - كذا، و باب الأبواب أبواب

الحديد قريب من مدينة دربند في الدغستان.

بلبن الحديد والرصاص، فكلما ارتفع البناء نزلت به الزقاق إلى أن استقرت في قعر البحر وارتفع السور على الماء فغاصت الغواصون حينئذ بالخناجر إلى تلك الزقاق فشقتها وتمكن السور على وجه الأرض في قعر البحر .  
 ٥ وصل هذا السور من البحر في البر أيضا على جبل الفتح أربعين فرسخا حتى انتهى إلى طرستان وجعل على كل ثلاثة أميال من هذا السور بابا من حديد وأسكن من داخله أمة من الناس تراعى ذلك الباب وما يليها من السور، وذلك لدفع الأمم المتصلة بذلك الجبل، وهم أنواع من الأمم منهم الخزر واللان والترك والبرغز وغيرهم، ولما بنى انوشروان هذا السور هابته الملوك وراسلته وهادته، فكان فيمن ورد عليه كتاب ١٠ ملك الصين، وكتب إليه: من بغفور<sup>١</sup> ملك الصين - صاحب قصور الدر والجوهر الذي يجرى في [١٩: ب] قصره نهران يسقيان العود والكافور الذي توجد رائحته على فرسخين والذي تخدمه بنات ألف ملك والذي في مربطه ألف فيل أبيض - إلى أخيه كسرى انوشروان، وأهدى له فارسا على فرس من ذهب منضد بالجوهر النفيس عينا الفرس والفارس من ١٥ ياقوت وقائم سيفه من سنن نابت منضد بالجوهر وثوب حرير صينيا فيه صورة الملك جالسا في إيوانه وعليه حليته وتاجه وعلى رأسه الخدم بأيديهم المذاب<sup>٢</sup> والصورة<sup>٣</sup> منسوجة بالذهب، وأرض التوب لازوردى في

(١) في الأصل: يعفور، وفي (٢١: ب) يعبور، وبعفور هي بنبور باللغة الصينية ومعناها ابن السباء (انظر مروج الذهب للسعودي ج ٢ ص ٢٠٠ تحت قنفور).

(٢-٢) في الأصل: الصورة .

سقط من ذهب تحمله جارية تغيب في شعرها تتلاً لا جمالا وغير ذلك مما  
تتهادى به الملوك؛ وكتب إلى انوشروان أيضا ملك الهند و عظيم ملوك  
المشرق و صاحب قصر الذهب و أبواب الياقوت إلى أخيه ملك فارس  
صاحب التاج و الراية و أهدى إليه ألف من العود الهندي يذوب  
في النار كالشمع و يختم عليه كما يختم على الشمع، و جاما من الياقوت ٥  
الأحمر فتح فيه شبر مملوء دراً و عشرة أمان كافور كالفستق، و أكبر  
من ذلك، و جارية طولها سبعة أذرع كأن بين أجزائها لمعان  
البرق مع إتقان شكلها مقرونة الحاجبين، ولها ظفائر شعر تجررها، و فراشا  
من جلود الحيات ألين من الحرير و أحسن من الوشي و كان كتابه في  
لحاء شجر يعرف بالكاذي مكتوب بالذهب الأحمر، و هذا الشجر يكون ١٠  
بأرض الهند و الصين لحاؤه أرق من القرطاس الصيني ذولون عجيب  
لازوردي، و رائحته عجيبة يكاتب فيه ملوكها، و كتب إليه ملك التبت<sup>١</sup>  
من ملك تبتان و مشارق الأرض المتاخمة للصين و الهند إلى أخيه محمود  
السيرة و القدر ملك المملكة المتوسطة الأقاليم السابعة أنوشروان، و أهدى  
إليه أنواعا مما يحمل من عجائب الأرض، منها مائة جوشن تبتية و مائة ١٥  
ترس مذهبة و أربعة آلاف من مسك في نوافج غزلانه . و كانت  
لأنوشروان مائة من الذهب مكتوب عليها ” ما أكلته و أنت تشتهييه فقد  
أكلته، و ما أكلته و أنت لا تشتهييه فقد أكلك“ . و سيأتي فيما يرد من

(١) في الأصل : التبت .

هذا الكتاب صفة مائة سليمان عليه السلام و صفة كرسية و ما قيل في الأكل على موائد الملوك .

و سأذكر الآن ما قيل في نفع قلة الأكل و ضرر كثرة<sup>١</sup> : اعلم أن قلة الأكل لها منافع و كثرة الأكل [٢٠: ألف] يحصل به مضار كثيرة ، أما قلة الأكل فليكن ما تأكله على نية سدّ خلة الجوع و إعطاء النفس قوامها لإنهاضها بالعبادة ، و ليحذر التأتق في المآكل و متابعة النفس في شهواتها فان ذلك لا ينتهى إلى حد ، و لله در القائل حيث يقول :

خذ من طعامك للقوام فكل ما يتجاوز الحلقوم يذهب طيبه  
 و اجعل طعامك من نصيبك إنه إن لم يكن قصدا فأنت نصيبه  
 ١٠ و الأكل للإنسان راحته و فى إكثاره من أكله تعذيبه

و ليرك الإنسان الطعام و فيه بقية ، فان لم يفعل ذلك أكثر شرب الماء و حصل له الثقل و التمدد و أعقبها النوم و الكسل و الضعف و ضاع عليه زمان عبادته ، قال الله تعالى "كلوا من الطيب و اعملوا صالحا"<sup>٢</sup> ، فبين سبحانه أن المباح من الأكل هو ما لا يمنع من العمل الصالح ، ثم قال "و الذين كفروا يتمتعون و ياكلون كما تاكل الانعام و النار مشوى لهم"<sup>٣</sup> ، و أما إطعام الطعام ففيه أجر كبير ، كما قيل : ليس شيء من أعمال البر أقرب برهانا و لا أظهر نجحا فى الوقت من إطعام الطعام ،

(١) فى الهامش : قلة الأكل و منفعه و كثرة و مضاره .

(٢) قرآن كريم ٢٣ : ٥١ .

(٣) قرآن كريم ٤٧ : ١٢ .

وله خمس كرامات : أحدها يزيد ويزداد إلى يوم القيامة ، قوله تعالى  
 ” يحق الله الربوا ويربى الصدقت “ ، والثاني يظهر من المرض والوصب ،  
 قال عليه السلام : داووا مرضاكم بالصدقة ، والثالث يحفظ المال ، قوله  
 عليه السلام : حصنوا أموالكم بالزكاة ، والرابع الخلف في الدنيا لعشرة أمثالها  
 وفي الآخرة بسبعائة ضعف ، والخامس يدفع سبعين بابا من سوء - انتهى . ٥  
 نعود - و كان يفرش لأنوشروان في الإيوان الكسروي بساط  
 من الحرير الملون المشجر كالرياض الخضرة المزهرة و كان ذلك البساط  
 في قدر سعة الإيوان ، و كان أنوشروان يجلس في صدر الإيوان على  
 سرير ملكه ، وعلى رأسه تاج من الذهب مرصع بأنواع البواقيت  
 والجوهر ، قيل كان زنة تاجه - كما حكاه أبو عبيد القرظي في كتاب المسالك  
 والممالك - سبعون قطارا تحمله سلسلة من الذهب معلق بها أصلها في  
 سقف الإيوان ، والتاج محكم على جبينه حين جلوسه على سريره ، وهذا  
 الإيوان أحد عجائب الدنيا لعظم شأنه وارتفاع بنيانه ، وأنوشروان  
 هو الذي قال [ ٢٠ : ب ] فيه أحد شعراء العرب :

١٥ ملك حوى رتب المعالي كلها بسمو مجد حل في إيوانه  
 مولى به شرف الزمان وأهله وبتاجه العالي على تيجانه  
 و نزل أمير المؤمنين هارون الرشيد على قرب من إيوان كسرى فسمع  
 بعض الخدم من وراء السرادق يقول : هذا الذي بنى هذا الإيوان أراد  
 أن يصعد عليه إلى السماء ، فأمر الرشيد بضربه وقال : الغيرة حملتني على

(١) قرآن كريم ٢ : ٢٧٦ .

أدبه لصيانة الملك وما يلحق الملوك للوك ، و ذكر أن هارون الرشيد بعث إلى وزيره يحيى بن خالد البرمكى وهو فى اعتقاله يشاوره فى هدم الإيوان ؛ والبرمك هو سادن بيت النار التى تعبدها المجوس ، و كان جد يحيى من البرامكة وهم السدنة أى الخدمة لوقودها ، كما قال ابن الفارض :

وإن عبد النار المجوس وما انظفت كما جاء فى الأخبار فى ألف حجة فلما أتى رسول الرشيد إلى يحيى الوزير بعث إليه : لا تفعل ، فقال لمن حضره : إن المجوسية فى نفسه و الحنو عليها من المنع من إزالة آثارها ، فشرع فى هدمه ، فاذا به يلزمه فى هدمه أموال عظيمة لا تضبط كثرة ، فأمسك عن ذلك و كتب إلى يحيى الوزير يعلمه بذلك ، فجاب أن ينفق على هدمه ما بلغ من الأموال و يحرض على محو أثره ، فتعجب الرشيد من تناقض كلامه و بعث إليه يسأله ، فقال : أما الكلام الأول فإني أردت بقاء الذكر لأئمة الإسلام و أن يكون من برد فى الأزمان يرى مثل هذا الأثر العظيم فيقولون : إن أمة قهرت قوما هذا بنيانهم فاحتوت على ملكهم لأمة عظيمة الشدة ، و أما قولى الثانى فأخبرت أنه قد شرع فى هدم بعضه فأردت نفي العجز عن ملة الإسلام و أن لا يقول قائل : إن هذه الأمة عجزت عن هدم ما بنته فارس ؛ فلما بلغ الرشيد قوله قال : قاتله الله ! فما سمعت له قط قولاً إلا صدق فيه ، و أعرض عن

( ١ ) و ردد هذا البيت سابقاً بالورقة [ ٨ : ب ] فى صدر الكلام عن المجوس أو عبدة النار .

هدمه ، ولما بلغ الرشيد موت يحيى استرجع وقال : مات أعقل الناس .  
 وسيأتي فيما يرد من هذا الكتاب لمع<sup>١</sup> من أخبار الرشيد إن شاء الله تعالى .  
 وكان انوشروان عادلا في رعيته ، فمن عدله أن رسول ملك  
 الروم قيصر قدم عليه بهدايا ، فنظر الرسول الرومي إلى إيوان كسرى  
 [ ٢١ : الف ] انوشروان و حسن بنائه و رأى اعوجاجا في ميدانه ه  
 فقال : كان يحتاج هذا الصحن أن يكون مربعا ! قيل له : إن عجوزا لها منزل<sup>٢</sup>  
 في جانب الاعوجاج و إن الملك أرادها على بيعه و أرغها في الثمن  
 فأبت فلم يكرهها و بقي الاعوجاج من ذلك على ما ترى ، فقال الرومي :  
 هذا الاعوجاج أحسن من الاستواء . قال المؤلف غفر الله له و لوالديه  
 و للأقرين إليه و لجميع المسلمين : سألت الشيخ أباعبد الله محمد بن يوسف ١٠  
 البغدادي معلم دار الطراز<sup>٣</sup> بالإسكندرية : هل رأيت إيوان كسرى ؟ قال :  
 نعم ، قلت : كم بينه و بين بغداد ؟ قال : مثل الإسكندرية و بلد فوه ، و ذلك  
 مسيرة يوم و ليلة<sup>٤</sup> و مكانه يعرف بالمدائن و يقال له بلغة الفرس ” زيران “ ؛

(١) في الأصل : لمعا - كذا .

(٢) في الأصل : منزلا - كذا .

(٣) في الهامش : إيوان كسرى وصفته .

(٤) انظر فيما يتعلق بدار الطراز بالإسكندرية ما بعد ١٠٩ : ب ، ٢٦٧ : الف  
 و على وجه أخص مخطوطة القاهرة ١٤٢ : ألف و مايتلوها .

(٥) انظر أيضا ٨٨ : ألف ، ٩٠ : ألف - و على وجه التمثيل نذكر أن الرحالة  
 سيمان السمعاني (Symon Semeonis) في أكتوبر سنة ١٣٢٣ م قطع المسافة بين  
 الإسكندرية و فوه بطريق الخليج و النيل ( فرع رشيد ) في يوم واحد  
 (راجع Geogr. J., LI, February 1918, pp 79-80 وكذلك Golubovich, III, pp 263-64)

قلت: صفه لي، قال: رأيتُه عالياً مرتفعاً مقياً وقبوه كهيئة الجملون، وفي قبوه ما يزيد على ألفي طاق كطيقان جامات الحمام يمترق منها الهواء فيه، والشق الذي انشق فيه لينة مولد النبي صلى الله عليه وسلم في ستام ذروته، يرى الذي يدخله السماء من ذلك الشق، قال بعض مداح النبي صلى الله عليه وسلم:

إيوان كسرى شق عند ظهوره      و انحط عنه التاج عند المولد  
وكذاك نيران الأعاجم أخذت      لظهوره وخبأ لهيب المعبد  
وقال الآخر:

ونيران كسرى أخذت بعد ما وهى      بميلاده إيوانه المتعالى  
١٠ و أخبر أن لا قصر بعد قصر      ودولة كسرى آذنت بزوال  
ثم قال لي الشيخ أبو عبد الله محمد بن يوسف البغدادي المذكور: وقد قست  
عرض حائط الإيوان فكان سبعة أذرع وهو منى بالطوب والآجر  
الأبيض اللون وهو مستقبل الشرق، قال: وقست عرضه بخطوتي فكانت  
خمسة وأربعون خطوة، وطوله داخلاً مثلي عرضه وأكثر، فقلت له:  
١٥ وما سبب استقباله الشرق والشمس ترمى جرمها فيه؟ قال: قيل إن الملك  
إذا جلس على كرسيه ورأى الشمس قد بدا حاجبها خر ساجداً هو وحاشيته  
لها، وذلك من دأب المجوس لأنهم يعبدون النار والأنوار كالشمس والقمر  
والكواكب النيرة، فإذا انقضى سجودهم مدوا الستائر على وجه الإيوان  
لتمنع حر الشمس عنه، ثم قال: رأيت رعاة الأغنام تأتي بأغنامها  
٢٠ تستظل فيه وقت [ ٢١: ب ] القيلولة من الحر وقد صار بحر الغم فيه  
كثيراً (٢١) ٨٤

كثيرا لكثرة تردها إليه - انتهى .

فلنذكر ما قاله أبو الفرج ابن الجوزي في سيرة العمرين : عمر بن الخطاب ، وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما - أن المسلمين لما فتحوا مدائن كسرى وجدوا في جملة الغنائم بساطا كانت ملوك الأكاسرة توارثه خلفا عن سلف ، وكان البساط المذكور منسوجا بالذهب الأحمر ، طوله مائتي ذراع ٥ وعرضه كذلك ، وهو منظوم بالجواهر الملوثة من الياقوت والزمرد واللؤلؤ وسائر أحجار الجواهر ، وقد نقش فيه سائر الأشجار والأزهار والثمار والأطياف ، فكان في الشتاء عند عدم الرياحين يفرش ويجلس عليه كسرى وخواصه في وسطه للشرب فكانهم جالسون في رياض البساتين ، فلما غنمت المسلمون الغنائم حين فتح مدائن كسرى كان البساط ١٠ المذكور فيها ، فلما أرادوا قسمته لم يجدوا من يقوم بثمنه ولا يعلم قيمته فقال لهم الأمير سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : ما رأيكم معاشر المسلمين في هذا البساط ؟ فقالوا : أنت الأمير والرأي رأيك ، قال : أرى من الرأي أن تطيب أنفسكم ونبعث به مع الخمس إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يضعه حيث يرى ، فلما أر قدم المال المدينة وقف المسلمون على المال المغنوم ١٥ فأجمع رأيهم على أن يقطعوا البساط قطعاً . فقطعوه وفرقوه على المسلمين فتاب على بن أبي طالب قطعة وما كانت بأجود القطع وباعها بسبعة عشر ألف درهم ، ولما فتحت المدائن حمل إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه سوارى كسرى ، فقال عمر : ابن سراقه بن جعشم ؟ فقال : ها أنا ، فقال : خذ

(١) في الأصل : حالسين .

هذين السوارين فالبسهما و قل : الحمد لله الذي سلبها كسرى بن الهرمزان و ألبسهما أعرابيا من بني مدلج بوالا على عقبيه ؛ و كان سراقه أشعر اليدين رقيقهما ، و كان النبي صلى الله عليه و سلم قال له : كأتى بك يا سراقه و قد لبست سوارى كسرى بن الهرمزان ؛ فلذلك ألبسها عمر لسراقه .  
 ٥ تصديقا لقول النبي صلى الله عليه و سلم ذلك في حياته لسراقه - انتهى .

فلنذكر الآن ما قيل في بستان ملك الصير المصنوع شجره من الحرير كما صعد في بساط كسرى المتقدم ذكره - حدث بعض التجار قال : أدخلني بغور ملك الصين<sup>١</sup> بستانا له حسنا كبيرا فرأيت فيه الرجس و السوسان و شقائق النعمان و الورد [ ٢٢ : الف ] . الياسمين و الرياحان و النسرين و جميع النواوير . فعجبت من اجتماع أنوار الصيف مع أنوار الشتاء في وقت واحد فقال لي : كيف رأيتيه ؟ فقلت : ما رأيت شيئا إلا ، هذا أحسن منه و لا طرفه إلا و هذا أطرف منها ، ولكن كيف اجتمع نوار الشتاء مع نوار الصيف هنا ؟ فقال لي : جميع ما ترى منها مصنوع من الحرير الصيني قد قص بالمقاريض . سوى به ، فكل من رآه لم يشك إلا أنه بما أنبتته الأرض ؛  
 ١٥ قال : فعجبت منه و من لطيف صناعته - انتهى .

نعود<sup>٢</sup> إلى ما وجد في غنائم الكسروية - و ذلك أن رجلا اشترى منها قدر نحاس ، فلما صارت في حوزة علم أنها قدر ذهب ، فقال له : ارجع

(١) بغير أو بغير كما ورد في [ ١٩ : ب ] هو بغير في لغة اهل الصين .

(٢-٢) في الأصل : مع اجتماع أنوار الشتاء .

(٣) في الهامش : الغنائم الكسروية .

بالقدر إلى الغنائم ليقتسمها<sup>١</sup> المسلمون، قال: إني اشتريتها و صارت في يدي لا أردّها حتى تكاتبوا أمير المؤمنين عمر فيها؛ فكاتبوه فرد الجواب بأنكم تحلفوا الرجل أنه لما اشتراها لم يعلم أنها ذهب، فان حلف فهي له، وإن نكل عن اليمين ردوها للغنائم تدخل القسمة، فحلف الرجل أنه لما اشتراها لم يعلم أنها ذهب، فتركها له، فكان زنتها أربعين<sup>٢</sup> ألف دينار<sup>٣</sup> .  
و ذكر ابن ابنه بعد ذلك بمدة طويلة أنه كان يقول: إن هذه الأموال التي بأيدينا أصلها من تلك القدر؛ فانظر يا هذا إلى ملوك الآكسرة كيف دارت عليهم الدائرة و أبادتهم السنوات الغابرة! وانظر إلى إيوانهم وما كان فيه من عزة سلطانهم كيف ركب الهوان و الاذلال حتى صار مأوى للاغنام و الأزبال! فسبحان من ليس له زوال! ١٠  
قال بعضهم:

أيا جامعي الدنيا لمن تجمعونها  
وكم قد رأينا من ملوك تحصنت  
و قال الآخر:

اصبر على مضمض المسرى فكم أمم  
ظنوا التمكن في الدنيا يدوم لهم  
و في منشور الحكم: الدنيا لمن له عبارة خيال الستارة<sup>٤</sup>، و أنشدوا:  
رأيت خيال الظل أكبر عبرة  
شخوص و أشكال تمرّ و تعتدى  
و تنسى جميعا و المحرك باقى

(١) وقع في الأصل: لتقتسمها - كذا .

(٢) في الأصل: اربعون - كذا .

(٣) في الأصل: ديناراً - كذا .

(٤) أى « خيال الظل » انظر فيما بعد في شعر ابن الفارض .

[ ٢٢ : ب ] و قال ابن الفارض :  
 و لا تك باللاهي عن اللهو جملة  
 و إياك و الإعراض عن كل صورة  
 فطيف خيال الظل يهدى إليك في  
 ٥ ترى صوراً الأشياء تجلي عليك من  
 تجمعت الأضداد فيها بحكمة  
 صوامت تبدى النطق وهي سواكن  
 و تضحك إعجاباً كأعجب<sup>٥</sup> فارح<sup>٦</sup>  
 و تندب إن أنت على سلب نعمة  
 ١٠ و لبعضهم في خروج الإنسان من الدنيا بالكفن لا بغيره :

كل نفس عند ميبتها حظها من مالها الكفن

كان جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي وزير أمير المؤمنين هارون  
 الرشيد من الرشيد بمكانه و كان له دنيا عريضة طويلة ، و لما قتله الرشيد  
 و صلبه و أزال نعمة البرامكة صارت أم جعفر فقيرة مسكينة ؛ قال  
 ١٥ محمد بن غسان قاضي الكوفة : دخلت إلى<sup>٧</sup> أمي في يوم عيد الأضحى ، فرأيت

(١) في ديوان ابن الفارض ص ٥٧ : شقت .

(٢) في الديوان : صورة .

(٣) في الديوان : لحكمة .

(٤) من الديوان ، و في الأصل : سواكت .

(٥) في الديوان : كأجدل .

(٦) من الديوان ، و في الأصل : فارح .

(٧) كذا في الأصل ، و الظاهر : على .

عندها عجوزا في أطمار رثة و إذا لها بيان و لسان ، فقلت لأمي : من هذه؟  
 قالت : هذه عتابة أم جعفر البرمكي فسلم عليها ، فسلبت عليها و قلت :  
 أشارك الدهر إلى ما أرى بعد العز الضخم و الملك العزيز؟ قالت : نعم يا بني !  
 إنما كنا في عوار ارتجعها الدهر منا ، فقلت : حدثيني ببعض شأنك ، قالت :  
 مضى عليّ عيد أضحي مثل هذا و على رأسي أربعمئة وصيفة و أنا أزعم أن ه  
 ابني جعفر عاق لي و قد جئتكم اليوم أطلب جلدي شاتين : أجعل أحدهما  
 شعارا و الآخر دثارا ، قال : فغمي ذلك و أبكاني ، فوهبت لها دنائير  
 كانت عندي فكادت تطير فرحا بها . وسيأتي فيما يرد من هذا الكتاب سبب  
 قتل الرشيد لجعفر إن شاء الله تعالى - انتهى .

١٠ نعود إلى ما قيل في الغفلة عن ذكر الموت - قال بعضهم :  
 يا آكلا كل الذي يشتهي كأنه في كلاء ثور  
 و ناهضا إن يدع داعي الهوى كأنه من خفة الطير  
 [٢٣: الف] إن كؤوس الموت بين الوري دائرة قد حثها السير  
 و قد تيقنت و إن أبطات أن سوف يأتيك بها الدور

١٥ و لبعضهم :

' الدنيا دنيا و آخرها انقطاع ادفني في كوم و قل ذا القبر ضاع'  
 فقد تضيع القبور في الدنيا و لكن أهلها لا يضيعون في الآخرة ،  
 سيعيدهم خالقهم كما أبادهم ، و يحييهم كما أنشأهم أول مرة ، قال ابن الفارض :  
 فسبحان من يحيي بقدرته الذي يميت كما أنشأ أول مرة - انتهى .

(١-١) كذا في الأصل ، و وزن الشعر ليس بمستقيم .

نعود - و بما افتتح انوشروان بالشام حلب و حمص و انطاكية<sup>١</sup> و كان فيها جنود قيصر ، و صاهر خاقان ملك الترك و استعان به على الهياطلة<sup>٢</sup> و قتل اخشوار ملك الهياطلة بجده فيروز و غلب على مملكته ، ثم ملك بعد انوشروان ابنه هرمزد<sup>٣</sup> في ملكه كانت وقعة ذى قار<sup>٤</sup> بين بكر بن وائل و الهامرز صاحب كسرى لأربعين سنة من مولد النبي صلى الله عليه و سلم . و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم و نصرت بي ، و قيل في قوله تعالى " الّسم " غلبت الروم ، في ادنى الارض<sup>٥</sup> : " إنها نزلت في كسرى ابرويز ملك فارس و هرقل ملك الروم ، ثم هزم الله ملكهم بالإسلام . و كانت مدة ملكة الفرس أربعة آلاف سنة و خمسا و أربعين سنة ، فأبادهم الجحام ، و أفتهم الليالي و الأيام .

قال بعض الخطباء في المعنى : قهر القوم العباد فرأسوا ، و ملكوا البلاد فبتوا و غرسوا ، و تصرفوا في الأجساد فجلدوا و قطعوا و حبسوا ،

(١) المعروف ان كسرى الأول انوشروان خرب مدينة انطاكية سنة ٥٣٨ م و استولى على حلب سنة ٥٤٠ م .

(٢) انظر ١٩ : الف .

(٣) في الأصل : هرمز ، و التقصود هرمزد الرابع سنة ٥٧٩ إلى ٥٩٠ م .

(٤) حدثت وقعة ذى قار في عهد كسرى الثاني ( ٥٩٠ - ٦٢٨ م ) الذي استولى

على اورشليم و فتح مصر ، و ليس في حكم هرمزد بن انوشروان .

(٥) قرآن كريم ٣٠ : ١ - ٢٠ .

(٦-٦) في الأصل : خمسة و اربعون - كذا .

و شيدوا الحصون فعلوا و احترسوا، و زخرفوا القصور و لبسوا و جلسوا،  
ثم دهمهم الموت فهمدوا و همسوا، و أسلبوا للهوام فنهشوا و نهسوا،  
و سئلوا عن الجواب فأفحموا و خرسوا، و كانوا قبائلا، كأنهم ما كانوا.  
قال الشاعر في المعنى:

نادا القبور تبحك بالهملان دمع بدا لتواتر الأحزان ٥  
كم في القبور من الذين عهدتهم متجبرين بعزة السلطان  
أضحوا رميا في التراب و سربلوا حلل الصدا بتنهش الديدان  
[٢٣:ب] هل كنت تعرف لورأيت وجوههم بعد الثلاث مزين في الأكفان  
بليت غضارتها و كانت غضة و تغيرت كتغير الألوان  
أقصر هديت عن البطالة و الصبا واحذر هجوم طوارق الحدثان ١٥  
واخضع لربك و أظهرن تواضعا فلعل أن يلقاك بالقران  
و اختلف الناس في الفرس و أنسابها، فمن الناس من زعم أنهم من  
فارس بن سام بن نوح عليه السلام و هذا قول هشام بن محمد، و منهم من  
زعم أنهم من ولد يوسف الصديق، و منهم من زعم أنهم من ولد هدرام  
ابن ارغشيد بن سام بن نوح، و أنه ولد له بضعة عشر رجلا كلهم كان  
فارسا شجاعا فسموا الفرس بالفروسية، و في ذلك يقول خطاب بن المعلى:  
و بنا سمي الفوارس فرسا نا و منا مناجب الفرسان  
و منهم من زعم أنهم من ولد بوان بن إيران بن الأسود بن سام بن نوح  
عليه السلام، و بوان هذا ينسب إليه شعب بوان و هو أحد المواضع

(١) في الأصل: نادى.

المشهوره بالحسن وكثرة الأشجار و تدفق المياه، وفيه يقول الشاعر:  
 إذا أشرف المكروب من رأس ثلعة على شعب بوان أفاق من الكرب  
 وأهاه قطر كالحريرة مسه ومطر د يجرى من البارد العذب  
 وطيب ثمار في رياض أنيقة وأغصان أشجار جناها على قرب  
 ٥ فبالله يا ربح الجنوب تحملى إلى شعب بوان سلام قى صب

وكان الفرس أهل العز الشامخ والشرف الباذخ، والرئاسة والسياسة،  
 فرسانا في الوغى، صبرا عند اللقاء، انقادت إلى طاعتهم الأمم خشية سطوتهم  
 وكثرة جنودهم، فهلكوا كأنهم ما ملكوا، وكانت الفرس ثلاث طبقات:  
 الأولى، وملوك الطوائف، وبنو ساسان، قال الشاعر في فعل الليالي والأيام:

١٠ واسترجعت من بنى ساسان ما وهبت ولم تدع لبنى يونان من أثر  
 فانظر يا هذا إلى ملوك الأكاسرة وما كانوا فيه من المنعة والقوة والملك  
 الضخم، ولم أذكر سوى بعض ملوكهم ولمعة نزره من أخبارهم، ومع  
 ذلك قهرهم المسلمون واحتوا على ممالكهم وأورثهم الله أرضهم  
 وديارهم وأموالهم.

١٥ و سأذكر فيما يرد من هذا الكتاب أسماء ملوكهم، [ ٢٤ : الف ]  
 وحكمهم في أقوالهم مع غيرهم من ملوك الترك والهند والجاهلية وملوك  
 الإسلام - إن شاء الله تعالى .

فاذا كان المسلمون أزالوا<sup>٢</sup> ملك الكسروية بالسيوف المشرفية،

(١) في الأصل: قهرتهم .

(٢) في الأصل: كانت .

(٣) في الأصل: ازالته .

و الصوارم الهندوانية ، فماذا عسى فعل صاحب قبرس بالإسكندرية ، و خروجه  
 منها سرعة هاربا ، خوفا من وقوعه في البلية ، فلو كان ملكا كما يزعم قابل  
 جيوش الديار المصرية ، ليرى ما تفعله به و بجنوده الخرابية . لكنه  
 دخلها لصا و خرج منها سريعا ، خوفا من أن يصير بسيف المسلمين  
 صريعا ، بل خطف و طار و حمل بلصوصيته بين الملوك العار و الشار ، ثم انه  
 جرى له من الذل و الخزي بأرض الرومانية بسبب ما ضيع بالإسكندرية  
 أموال الجنوية لأنها قد كان بها متاجرم فنهبت ، و بضائعهم فذهبت - انتهى .  
 نعود إلى ذكر ملوك الروم إن شاء الله تعالى - كانت القياصرة ملوك  
 الروم بالشام في عز شامخ و عيش باذخ ، فلم يشعروا إلا و قد دهمهم  
 المسلمون ، قهروهم و دمروهم و أجلوهم من ديارهم و أوطانهم حتى احتسوا ١٠  
 بجزر البحر الملح ، و لولا البحر حجز بينهم و بينهم لم يبق للفرنج باقية ،  
 و كانوا عن آخرهم بسيف المسلمين حلوا الجميع في أمهم الهاوية . و سأذكر  
 ما تيسر ذكره من أخبار ملوك الروم إن شاء الله تعالى .  
 فمنهم أغسطس ملك روما و كان أول من سمي بقيصر و إليه تنسب  
 القياصرة و معنى قصر "بقر" و كان هذا الملك يفتخر بأن النساء لم تلده ، ١٥  
 و حقيقة هذه اللفظة "جيشر" قيل : إنما سمي جيشر لأنه ولد بشعر تام  
 يبلغ عينيه و اسم الشعر باللغة الرومية جشارية ٢ ، فرب فقيل : قيصر .  
 (١) جنوه و الجنوية - انظر ٢٤ : الف ، ٧٦ : الف ، ١٠٨ : ب ، ١٢٣ : الف ،  
 ١٥٠ : الف ، ١٦٦ : الف ، ١٦٨ : الف - الخ ( راجع الفهرس ) .  
 (٢) روما أو رومه - انظر ٢٥ : الف ، ٣٣ : الف .  
 (٣) مرادفها باللغة اللاتينية Caesaries .

ولاثنتين و أربعين سنة من ملكه ولد المسيح عليه السلام ، و سيأتي خبر ولادته - إن شاء الله تعالى .

ثم ملك أغسطس و هو القاتل للملك انطونيوس اليوناني زوج قلابطره ' الملكة اليونانية ، فتجلبت عليه قلابطره حتى كادته و قتلته ، و لها قصة عجيبة في قتلها إياه بحية جعلتها له في الرياحين ، فلما اشم تلك الرياحين قفزت عليه الحية ، قتلته بعد أن قتلت هي نفسها بنهش الحية لها ، حتى لا تصير أسيرته يتحكم فيها باختياره ، و كانت هذه الملكة قلابطره آخر من ملك من اليونانيين . ثم ملك طباريوس ' و لثلاث سنين من ملكه رفع المسيح ، و كان جالينوس ' [ ٢٤ : ب ] الطبيب في زمن المسيح عليه السلام ، و لما بلغه أن نيا ظهر يسمى عيسى بن مريم يبرئ الأكمه و الأبرص فقال : ليس ذلك بكبير أمر ، إن كان يبرئ من الحمى المثلثة في زمن الشتاء فهو نبي ، فقيل : إنه يحيي الموتى ، فقال : هذه درجة عالية ليس لي قدرة عليها . و لا على المثلثة في الشتاء ، و شرع على لقائه و التمسك بهديه فسار إليه فمات في طريقه قبل الاجتماع . قال المؤلف غفر الله

(١) Cleopatra و في الأصل دائما : فلا بطره .

(٢) Tiberius و في الأصل : طهار يوس .

(٣) جالينوس اشتهر عند العرب في الطب ، و قد جاء ذكره فيما بعد ( ٤٢ : ب )

عند الكلام عن الزنوج ، عاش في عصر الأمبراطور سبتيموس ساويرس

( Septimus Severus ) ١٩٣ - ٢١١ م . و على ذلك يكون تاريخه المضبوط

أحدث بكثير مما ذكره النويري بالنص .

له و لوالديه و للأقربين إليه و لجميع المسلمين: و قمت على كتاب لسكندُف<sup>١</sup> الفيلسوف فرأيت فيه أن جالينوس كان بعد رفع المسيح عليه السلام بمدة طويلة، و ذكر فيه حليته فقال: كان جالينوس أسمر اللون، حسن التخاطيط، عريض الأكتاف، واسع الرجلين، طويل الأصابع، حسن الشعر، معتدل المشية، ضحك السن، نقي الثياب، طيب الرائحة، و كان محبا للنزهة<sup>٥</sup> مدآخل للوك و الرؤساء، مات وله سبع و ثمانون سنة - انتهى .

نعود - ثم اختلفت بعد الملك طباريوس الروم و تخربت فأقاموا على اختلاف الكلمة و التنازع في الملك نحو ثلاثمائة سنة و هم في ذلك لا يعرفون غير عبادة الأصنام، ثم ملكوا على أنفسهم بعد تلك المدة ملكا يقال له: قله دس<sup>٢</sup>، و هو قاتل بطرس الحواري و بولس<sup>٣</sup> المذكورين<sup>١٠</sup> في سورة يونس، و لم يزل هذا الملك قاتلا للنصارى و أتباع المسيح و كان أكفر من مضى قبله و أجمعهم لخلال الشر، و في زمنه تفرقت<sup>٤</sup> الاثنتي عشرة<sup>٥</sup> في البلاد و تلاميذه الاثني و سبعين . ثم أفضى الملك إلى شبانس<sup>٥</sup> فأرسل ابنه طيطيس<sup>٦</sup> إلى حرب نبي إسرائيل ثلاثمائة ألف، و تفرقت

(١) لم نعثر على ما يدلنا على شخصية هذا الكاتب .

(٢) في الأصل: قاورس .

(٣) انظر فيما ( بعد ٢٠٦ . ب ) .

(٤-٤) في الأصل: الاثني عشر .

(٥) شبانس أي قسپسيان (Vespasianus) و حكمه من ٦٩ الى ٧٩ ميلادية و بعدئذ

في النص: بشبسيان، خطأ مكان: دومشيان (Domitianus) و حكمه من ٨١ الى

٨٦ م . و بشبسيان اصح المرادفات العربية للاسم اللاتيني .

(٦) في الأصل: طيطلس، و في هامش الصفحة: خراب بيت المقدس .

بنو إسرائيل في البلاد و خرب طيطيس بيت المقدس و محأ أثره و عفا  
 رسمه ، فعاقب الله الروم من يوم تخريبهم لبيت المقدس بأن جعل يُسبَى  
 منهم في كل يوم سبي إلى من طاف ييلادهم من الأمم ، فلا يوم من أيام  
 السنة إلا و السبي واقع بهم قل ذلك أو أكثر ، و فعل ذلك بيت المقدس  
 ٥ لتمام أربعين سنة من رفع عيسى ، و الله أعلم . ثم ملك دمشقيان<sup>١</sup> فكانت  
 دولته جامعة لكل شر و نفي مُبْحَنًا الحواري إلى بعض الجزائر . ثم ملك قيصر  
 أنطونيس فأصلح ما أفسد الذي قبله و أخرج يحنا من الجزيرة و صرف  
 النصارى إلى كورهم . ثم ملك طريان<sup>٢</sup> و كان أندلسيا . و قيل : إن الذي  
 بنى الأندلس يقال له اندلس بن سام بن [ ٢٥ : الف ] نوح عليه السلام .  
 ١٠ ثم أفضى الملك بعد ملوك كثيرة إلى دقيانوس<sup>٣</sup> فأمن في قتل النصرانية ،  
 و منه هرب أصحاب الكهف ؛ لما آمنوا بربهم ، قال الله تعالى : ” إِنْهُمْ قِتِيَّة  
 آمنوا ربهم و زدّتهم هدى<sup>٥</sup> ” ، فسماهم الله تعالى ” قِتِيَّة ” لأنهم أطاعوا الله  
 بغير واسطة .

(١) في الأصل : بشبشيان ( راجع الحاشية رقم ٣ من هذه الصفحة ) .

(٢) في الأصل وبن : و طريان - انظر أيضا ( ٢٧ : ب ) و المقصود الأمبراطور

تراچان (Trajanus) و حكمه من ٩٨ الى ١١٧ م .

(٣) مروج الذهب للسعودي ج ٢ ص ٣٠٦ : دقيانوس ( Decius ) و حكمه من

٢٤٩ الى ٢٥١ م .

(٤) انظر أيضا فيما بعد ٢٥ : ب ، ٧٧ : ب ، ٢٠٦ : ب .

(٥) قرآن كريم ١٨ : ١٣ .

- ثم ملك قسطنطين<sup>١</sup> المؤمن بعيسى عليه السلام، وهو الذي بنى مدينة سرقسطة<sup>٢</sup> بالأندلس، ومدينة مارِدَه<sup>٣</sup> ومدينة إشبيلية ومدينة قرمونه<sup>٤</sup> في ذلك العصر، وهو الذي يحكى عنه في الإنجيل: ان أكثر أهل الدنيا خضعت له ملوكها كخضوعها للإسكندر، وأمه يقال لها: هلاقي، خرجت إلى الشام فبنت البيع والكنايس وطلبت الخشبة التي صلب عليها عيسى بزعمهم، وعذبت على إظهارها لليهود، حتى خبرها شيخ منهم عنها تحت سباطة هناك - والسباطة المزبلة - فاستخرجتها فحلتها بالذهب والفضة واتخذت لوجودها عيدا وهو عيد الصليب وسمتها "صليب الصليوت" واستخرجت المصلوب<sup>٥</sup> من مكان مزبلة وحمله إلى القسطنطينية، وإنه بالقسطنطينية إلى الآن. ويقال: إن اليهود طلبت عيسى عليه السلام، فدلهم عليه أحد الحواريين، وأخذ منهم ثلاثين درهما،
- (١) اعتاد كتاب العرب أن يتبعوا ملوك روما بملوك بيزنطة من غير تمييز بينهما، أما نسبة تأسيس المدن المشار إليها للإمبراطور قسطنطين فهو نسج من خيال المؤلف ولا اصل له من الصحة.
- (٢) في الأصل: سرقطه - ويأد لها باللاتينية Caesaria Augusta ومعناها جماعة عسكرية او حامية منسوبة الى اغسطس.
- (٣) في الأصل: رمادة - وهي مدينة قديمة انتشت سنة ٢٣ ق. م، واسمها اللاتيني Augusta Emerida أو Emerita.
- (٤) باللاتينية Carmo وهي مدينة قديمة وكان بها قصر عظيم في عهد يوليوس قيصر.
- (٥) كذا في الأصل، والمقصود «الصليب» طبعاً.

فألقي الله تعالى شبهه على الذي دل عليه ، فأخذوه فثقلوا به و قتلوه و صلبوه و صلبوا عن يمينه و شماله لصين ، و قد صلب حيا حتى مات ، فأخذت هلائي ذلك المصلوب تزعم أنه عيسى - و ليس هو كما زعمت - و حملته إلى القسطنطينية ، و استخرجت هلائي الكنوز و الأموال من بلاد مصر و الشام و ذخائر الملوك ، فصرفتها إلى بناء الكنائس و تشييدها ، فكل كنيسة بالشام و مصر و بلاد الروم فمن بنائها ، و اجتمع في ملك قسطنطين ثلاثمائة و ثمانية عشر أسقفا و أربعة بطاركة ، و تناظرا على مقالات النصارى ، و قتلوا القوانين و أقاموا دين النصرانية ، و كان دخول قسطنطين في النصرانية لرؤيا رآها ، و ذلك أن ملك برجان<sup>١</sup> كان مظفرا عليه ، فرأى في منامه أن يرفع الصليبان في رماحه ، ففعل ذلك فظفر بملك برجان ، و قيل : إنما تنصر لأنه كان به جذام فأبرأه منه أسقف رومه<sup>٢</sup> فبنى القسطنطينية و إليه تنسب و كان اسمها<sup>٣</sup> بزنتية ، و لم يزل الأمر في بيت قسطنطين بن هلائي إلى أن وليهم ثيداسيس<sup>٤</sup> الأكبر ، و في [ ٢٥ : ب ] زمنه استيقظ أصحاب الكهف<sup>٥</sup> من نومهم

(١) مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م و اول المجامع المسكونية ( انظر ايضا ٢٣١ : الف ) .

(٢) يعنى ملك بلغار او البلغار .

(٣) رومه و وردت روما ايضا ( انظر ٢٤ : الف ) .

(٤) في الأصل : اسمه .

(٥) في الأصل : بيداسيس ؛ و صحته : ثيداسيس ، و هي أقرب الأوضاع الى

ثيودوسيوس الأول او الكبير Theodosius I ( ٣٧٩ - ٣٩٥ م )

(٦) كان اضطهاد اهل الكهف في عهد الإمبراطور دقيوس Decius ٢٤٩ - ٢٥١ م =

بعد أن ناموا ثلاثمائة سنة و تسع سنين كما أخبر الله تعالى في كتابه العزيز فقال "و لبثوا في كهفهم ثلث مائة سنين و ازدادوا تسعا" ١ .  
 ثم ملك ثيداسيس ٢ الأصغر، وفي زمنه افتقرت النصارى و بدلوا دين عيسى عليه السلام و غيروا ما جاء به . و سيأتي فيما يرد من هذا الكتاب ٣ ذكر فرق النصارى و سبب تبديلهم و تغييرهم و ذكر الأناجيل الأربعة، ٥ و رسالة أبي الفرج الراهب المقدسي للشيخ عبد الرحمن الفارس الأسلمي يوضح فيها على تركه لدين النصرانية و دخوله في الملة الخنيفية و جواب الشيخ عبد الرحمن الفارس عن رسالة أبي الفرج الراهب ٤ و ذكر مناظرة الشيخ عبد الله المسلم الأسير للقسيس و لبشير، و إطلاق سيده بقوة دليله إلى غير ذلك من أكاذيب ٦ الذين أضلهم بولس اليهودى بدخوله في ١٠

= و مفهوم في عهد ثيداسيس سالف الذكر، ولكن عدد السنين التي نص عليها هنا و قدرها ٣٠٩ سنة تتعارض مع ذلك التاريخ .

(١) قرآن كريم ١٨ : ٢٥ .

(٢) في الأصل : ثيداسيس - و صحته بالعربية : ثيداسيس ، أي Theodosius II (٤٠٨ - ٤٥٠ م) - راجع حاشية سابقة .

(٣) انظر ٩ : الف، ٩٤ : الف - ب، ١٣١ : ب - و يلاحظ أن المؤلف لم يعالج الموضوع فيما يرد من كتابه على حد قوله .

(٤) الراهب أبو الفرج هو المؤرخ ابن العبري Bar Hebraeus جرجس أو غريغوريوس أبو الفرج (١٢٢٦ - ١٢٨٦) السرياني اليعقوبي و هو من أصل اسرائيلي .

(٥) زيد بن : جمال الدين بن محمد .

(٦) زيد بن : النصارى .

دينهم وقبولهم منه ذلك - انتهى .

نعود - ولم تزل الروم يتوارثون الملك إلى أن أفضى الأمر إلى هرقل ، ولسبع سنين من ملكه كانت هجرة النبي صلى الله عليه وسلم [ وبقى هرقل حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم - ] و خلافة أبي بكر وعمر . ثم ان المسلمين غزوا الشام ففتح الله عليهم ، و هرب هرقل منهم إلى جزر البحر . و سيأتي خبر ولده قسطنطين ابن هرقل وإتيانه بالمراكب طالبا الشام ، فكسرها الله تعالى بالريح العقيم . فاذا كان المسلمون كسروا الفرس و الروم و أخرجوهم من ديارهم و أوطانهم و ملكوا بلادهم<sup>١</sup> فماذا عسى فعل القبرسي الملعون الكلب<sup>١٠</sup> الدون بالإسكندرية التي دخلها لصا و خرج منها لصا ، فلو قابل عساكر الديار المصرية لابتلى بأعظم البلية<sup>١١</sup> .

(١) من بن ، و في الأصل : لم يزالوا .

(٢) زيد من بن .

(٣) وقع في الأصل و بن : عزت .

(٤) في بن : جزيرة .

(٥) زيد في بن : لحرب المسلمين .

(٦) في الأصل و بن : كانت .

(٧) من بن ، و في الأصل : كسرت .

(٨) زيد في بن : و أموالهم .

(٩) من بن ، و في الأصل : الذي .

(١٠) زيد في بن : منهم .

(١١) في بن : بلية ، و زيدت بعده [ ١١ : الف ] العبارة : وكان فتح المسلمين الشام في سنة سبع عشرة من الهجرة النبوية .

و قد تغلغل بنا الكلام و تشعب و تسلسل إلى أن خرجنا عما  
قصدناه من خبر ' الإسكندرية - فلنذكر الآن المنامات التي رؤيت قبل  
الوقعة ' بها إن شاء الله ' .

## ذكر المنامات<sup>٢</sup>

### ٥ التي رؤيت قبل وقعة الإسكندرية

قال المؤلف غفر الله له و لوالديه و للأقربين إليه و لجميع المسلمين :  
أخبرني الشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن صالح التاجر المصري قال : كنت  
(١) زيد في بن : وقعة .

(٢-٢) في بن بمدة يسيرة . والى هنا تنتهي مقدمة النويري بما فيها من المستطردات  
الطوال ، و فيما يلي كلامه و مشاهداته القيمة عن سير الحرب الصليبية التي  
ترعّمها بطرس الأول ملك قبرس ضد الإسكندرية في سنة ١٠٦٥ ميلادية وما  
تلى ذلك منه تطورات و أحداث .

(٣) ليست هذه السلسلة من المنامات ( ٢٥ : ب إلى ٢٦ : ب ) هي الوحيدة  
بالكتاب ، و إن القارى ليجد غيرها فيما بعد ، مثال ذلك منام الملك هوج والد  
بطرس لوسيجنان ( انظر ٧٩ : ب ، ٨٠ : الف ) ، و منام سيدى شطا ( انظر  
٩٦ : الف - ب ) و عدة منامات أخرى في مواضع متفرقة ( انظر ١٣ : الف ،  
٣٤ : الف ، ٣٥ : الف ، ٣٦ : ب ، ١٢٢ : الف ، ٢١١ : الف و ب ) عن مختلف  
الأحداث الواردة في النص - راجع في موضوع تعبير الرؤيا وحساب الأرقام  
و رمورها :

J. de Somogyi: *The Interpretation of Dreams in Damiri's Hayat al-Hayau ān*, JRAS, January 1940, pp. 1-20.

و في هذا البحث يوضح المؤلف أن الديميري اعتمد في ذلك على الكتاب  
المعروف باسم "Oneirocritica" تأليف Artemidoros Daldianos.

بالإسكندرية قبل الواقعة بأيام قلائل ، فرأيت في المنام أن رجبة الجامع الغربي صارت بحرا طامحا ، و إذا بالسما قد مطرت جمرا يتوقد ، فشرب الجمر ذلك البحر بكماه و صار الجمر على حاله يتقد ، ثم مطرت<sup>٢</sup> [ ٢٦ : الف ] السماء بعد ذلك ماء فأطفئ ذلك الجمر فصار فخما أسود<sup>٤</sup> ، قال : فمددت يدي إلى فحمة لأتناولها فانفلقت فلقنتين : الواحدة كبيرة و الأخرى صغيرة ، فتناولت الصغيرة ، فلو لا ألقيتها سريعا احترقت أصابعي من شدة حرارتها ، قال : فاستيقظت من نومي فزعا بما رأيت ؛ فجرى بعد ذلك وقعة الإسكندرية .

و أخبرني<sup>٥</sup> الشيخ الصالح أبو عبد الله محمد المؤدب قال : رأيت في المنام قبل وقعة الإسكندرية بأيام قلائل كأن سبابتى<sup>٦</sup> احترقتا بالنار ،

(١) انظر هـ : الف في ذكر ما فعلت الإفرنج بالإسكندرية ، و كان هذا الجامع يسمى أيضا الجامع الأخضر و هو جامع عمرو بن العاص أو جامع الألف عمود - راجع مجلة الجمعية الملكية للأثار بالإسكندرية :

Bulletin de la Socie'te' Royale d' Arche'ologie d' Alexandrie'

المجلد ٣٤ ( سنة ١٩٤١ ) ص ٩٨ و ٩٩ .

(٢) في بن : الماء .

(٣) في بن : امطرت .

(٤) في الأصل : اسودا ، و موضعه بياض في بن .

(٥) هذا القسم من « و أخبرني » الى « بالإسكندرية » ساقط من « بن » .

(٦) احتراق السبابتين له دلالة الخاصة في هذا المقام لأنها يستعملان في الصلاة

و عند النطق بالشهادة - راجع رسالة أبي زيد القيرواني طبع بولاق ١٣١٩ هـ

ص ٤٧ - ٤٨ ، و قد اشار لذلك بعض الرّحالة و الكتّاب الغربيون القدامى =

فعبّر المنام المذكور بأن الإسلام يحدث فيه حدثاً ، فحدث أمر القبرسي بالإسكندرية .

و أخبرني الشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن أحمد التاجر السفار قال :

== والمحدثون ومن بينهم :

SCHILTBERGER, *Bondage and Travels* ed. Hakluyt, pp. 74-75; Von HAMMER-PURGSTALL, *Histoire de l' Empire Ottoman*, vol. XVI, p. 61; Leontius MAKHAIRAS, *Chronicle of the Sweet Land of Cyprus*, ed. Dawkins, II, p. 52, note 23; *Der Islam*, 1932, p. 29 and note 1.

(١) في الأصل : حدثاً - كذا .

(٢) يسبق هذا في « بن » وهو ساقط من « بر » [ ١١ : الف و ب ] ما يلي : قال أبو سعيد نصر بن يعقوب الدينوري في كتاب التعبير له : رأى سيف بن ذي يزن الحميري ملك اليمن في منامه كأن نارا هوت من السماء إلى ارض عامرة وسقطت في كل دار من دورها جهرة منها وانظفت فصارت فحمة ؛ وقصها على معبري مملكته ، فقالوا : إن الحبشة تستولى على بلدك ، فكان كذلك . وسيأتي خبر سيف بن ذي يزن مع الحبشة الذين ملكوا بلاده إن شاء الله تعالى . قال أبو سعيد أيضا : من رأى في منامه نارا نرات من السماء فأحترقت كل شيء أتت عليه في موضع ليس لها دخان أصاب أهلها ضرر وخوف من قبل سلطان بقدر ما أحرقته ، وربما كانت مصيبة وضررا فادحا ، فإن أخذ جمر من وسط النار فانه يصيب مالا حراما من قبل السلطان ، فإن رأى مع النار ريحا فانه قتال وحرب بالسيوف ، فإن أصابه حريق فانه غم يناله في الشتاء والصيف ، فإن وقعت في بيته فانه مصيبة في أهله . رأى رجل في منامه كأن نارا أوقدت في بلدته فقصر رؤياه على معبر ، فقال : تقع فتنة وحرب بين الناس لقوله تعالى : كلما أوقدوا نارا للحرب اطفأها الله : [ قرآن كريم ٥ : ٦٤ ] فعرض ان حربا وقع في بلدته . سأل رجل ابن سيرين فقال : رأيت كأنني أصلي خفي بالنار ، فوقع أحدهما في النار فاحترق ( وفي بن : فاحترقت ) وأصاب النار من الآخر سفعا ، ==

كنت بالإسكندرية فرأيت في المنام قبل الواقعة بخمسة عشر يوماً  
كأني في قصر عظيم على ساحل البحر الملح وجماعة كثيرة من الرجال  
والنساء خارج القصر وكأنهم أحسوا بعذاب ، فصارت النساء يلطمن  
خدودهن و يقلن : واه واه ! قال : فقلت لهن : قولوا : يا رسول الله ! نحن في  
حسبك ، نحن في جيرتك . ثم قال : رأيت طائفة من الفرنج مسلسلين  
داخلين الإسكندرية و فيهم جنس لهم أذنان كأذنان القروذ . قال :  
فاتبعت من نومي مذعورا بما رأيت ، فجرى بعد ذلك وقعة الإسكندرية .

= قال ابن سيرين : ان لك بأرض فارس ماشية قد غير عليها و ذهب نصفها  
و بقي من النصف الآخر شيء قليل فكان كذلك في أمثال العرب ، مضى فلان  
وليس معه إلا خف حنين ، و حنين كان إسكافا من أهل الحيرة ساومه اعرابي  
بخصين فاختلفا حتى اغضبه ، فأراد حنين ان يغيظ الأعرابي فلما ارتحل الأعرابي  
على ناقته أخذ حنين الخفين فألقى فردة في طريق الأعرابي ثم مضى فألقى الفردة  
الثانية على طريقه أيضا ، فلما رأى الأعرابي فردة الخف الأولى قال : ما أشبه هذه  
بخف حنين ولو كان معه آخر لأخذه ، فرماه ، فلما مر بالفردة الأخرى ندم  
على ترك الأولى ، و قد كمن له حنين فلما نزل الأعرابي ابصر ( و في بن : مصره  
كذا ) الفردة الأخرى وثب حنين على راحلته و ذهب بها و ليس معه غير فردة  
خف حنين . و من رأى في منامه شررا متناثرا عليه فانه يسمع كلاما قبيحا -  
انتهى . يتلوه ذلك : « نعود واخبرني الشيخ الصالح ابو عبد الله - الخ » و قد قلنا  
الفقرة السابقة حرفيا من المجلد المنسوخ في الهند عن مخطوط « بن » و قد لا يكون  
لهذا النص علاقة مباشرة بالموضوع فاكتفينا بذكره في الحاشية .

(١) في « بر » [ ٢٦ : الف ] : بعدا ، و في « بن » : بعداب .

و أخبرني علي بن راشد الحجازي المقيم بالإسكندرية و المدير برقع  
التجار على الدواوين يكتبون عليها خطوطهم ، قال : رأيت في المنام قبل  
الوقعة بنصف شهر نسوة طوال القامات ، عليهن الأزرق البيض ، فسألتهن  
إحداهن عنهن ، فقالت : إنهن أولاد الأنبياء و الشهداء و الصالحين ، ضمنهن<sup>٢</sup>  
آباؤهن خارجين بهن من الإسكندرية ، فقلت : ما سبب ذلك ؟ قالت : ه  
إن الإسكندرية مسخوط عليها ، قال : فضربت يدي الواحدة على الأخرى  
و إذا أنا أسمع حس رجال و لا أراهم ! ثم إن النسوة اختفين عني  
و كن بشارع قاعة رماة القراقة<sup>٥</sup> و مدرسة البليسي<sup>٦</sup> ، قال : فانتبهت من  
نومي مرعوبا ، فجرى بعد ذلك وقعة الإسكندرية . 59364

و أخبرني الشيخ الصالح ربحاني الحديثي و ذكر أن له سبع غزوات ١٠  
في الفرنج ، قال : بينما أنا نائم بدمشق في شهر رمضان سنة ست و ستين

(١) هذا اصطلاح عريب و ربما كان المقصود أن عليا هذا كان القائم على  
الوثائق ( رقع ) التجارية التي يوقع عليها التجار .

(٢) في الأصل وبن : اليزر .

(٣) في الأصل و بن : ضمتهن .

(٤) زيد في بن « تلك » .

(٥) « القراقة » اسم معروف و هو يدل على المقابر الواقعة في جنوب مدينة

القاهرة ، و لكن هذا الاسم ايضا ورد ذكره في الإسكندرية في « المرصد »

ج ٢ ص ٣٩٠ و « المشترك » ص ٣٤١ دون اشارة الى موضعها من المدينة -

و النويري يحقق هذا المكان بدقة في العبارة الواردة بالنص ، فقراقة

الإسكندرية على ذلك تقع بين سور المدينة و جزيرة المنارة - انظر ايضا ١٠٤ :

الف - ب ، ١٠٥ : الف ، ١٠٩ : ب .

(٦) هذا الاسم غير معروف ، و لعل المقصود مدرسة النابلسية التي ورد ذكرها

فيما بعد ١٠٩ : الف .

وسبعائة وإذا بقائل يقول<sup>١</sup>: قم و امض إلى الإسكندرية لتصلي على أهلها، قال [٢٦: ب]: فانتبهت من نومى و أنا متعجب من ذلك فسافرت منها إلى القاهرة، فأقمت بها أياما و توجهت إلى الإسكندرية فى أول المحرم سنة سبع و ستين و سبعائة، فلما علمت أن الفرنج ظفروا بالإسكندرية اختلطت بهم لمعرقى بلغتهم بعد أن تزيت بزيتهم و توصلت إلى الملك القيسى، فصرت مع جملة خدمه، فاخترت<sup>٢</sup> أحد مهاميز<sup>٣</sup> الذهب، فصار عندى إلى أن بعته بثلاثمائة درهم<sup>٤</sup> نقرة، ثم قال: و كانت الفرنج تستخدم رجال المسلمين فى النهب يحملونه لهم و قالوا لهم: نعتقكم بعد ذلك، فلما فرغ النهب أخذوا سبعين رجلا منهم و ربطوهم بالسلاسل فى صارى مركب كان ملقى بالجزيرة<sup>٥</sup> و أطلقوا فيهم النار فاحترقوا و ماتوا شهداء - رحمة الله عليهم أجمعين .

ذكر ما قيل فى الملحمة من قدوم الفرنج إلى الإسكندرية

### والشام بسبب الحرب<sup>٥</sup>

قال المؤلف غفر الله له و لوالديه و للأقربين إليه و لجميع المسلمين: وقفت على ملحمة الشيخ الفاضل جمال الدين يوسف الباجرى<sup>٦</sup>،

(١) زيد فى بن: لى .

(٢) زيد فى بن: ففهموا عنى انى من نصارى الحبشة حيث ما ساء . . لهم على المسلمين و اخترت .

(٣) من بن، و فى الأصل: مهاميزه .

(٤) فى الأصل و بن: درهما .

(٥) زيد فى بن: و القتال .

(٦) فى الأصل: بجرى و بجرى - و صحته فى معجم ياقوت، و فى المرصد =

وهذه النسبة لبلدة بالعراق يقال لها "باجربقة" فرأيت ذكر فيها الملوك  
وكنى عنهم بالحروف وما يكون في المستقبل من وقائعهم فأشكنت على  
الحروف فحدست بعضها وتركت الباقي، وسأذكر بعض آياتها فمنها قوله:  
في شهر شعبان من عام ثلثه تراه يخلع ميم الملك في الزمن

= (ج ١ ص ١١٤) حيث ترد باحريق بضم الجيم وسكون الراء وفتح الباء الموحدة  
وقاف قرية بين النهرين كورة بين البقعاء ونصيبين .

(١) يشتمل النص هنا على ١٩ بيتا من تلك الملحمة ( انظر ٢٦٦ : الف ، ٢٧ : الف ،  
٣٧ : الف - ب ، ٤٠ : الف ، ٥٧ : الف ، ٥٨ : ب ، ٦٨ : الف ، ٦٩ : الف ) .  
وهي إحدى الملاحم المعروفة بين الكتاب ، فابن خلدون مثلاً في « المقدمة »  
( طبعة كاترمير Quatrem'ere ج ٢ ص ١٩٣ - ٢٠١ من النص و كذلك ج ٢  
ص ٢٢٦ - ٢٣٧ من الترجمة يتعرض لموضوع التنبؤ و يقتبس عدة آيات من  
هذه الملحمة كما يذكر بعض المعلومات عن مؤلفها استخرجها من « تاريخ » ابن  
كثير ، و يسجل فيها أنه مات في ليلة الأربعاء ١٦ ربيع الثاني سنة ٧٢٤ ، وقد  
جاء هذا التاريخ أيضاً في « الدرر الكامنة » لابن حجر ج ٤ ص ١٢ - ١٤ كذلك  
يؤرخ لحياته محمد بن شاكر الكتبي ج ٢ ص ٢٢٣ - ٢٢٤ ( طبعة بولاق  
١٢٩٩ هـ ) أو ج ٢ ص ٢٧٩ ( طبعة ١٢٨٣ هـ ) تحت اسم : محمد بن عبد الرحمن  
ابن عمر الباجربقي الجزري الشيخ الزاهد ابن المفتي الكبير جمال الدين . و المقرئ  
في « السلوك » ج ٢ ص ٢٥٨ يشير إلى الملحمة الباجربقية . وقد ورد في  
« شذرات الذهب » ج ٦ ص ٦٤ ما يلي : « وفيها ( ربيع سنة ٧٢٤ ) توفي  
شمس الدين محمد بن الإمام جمال الدين عبد الرحيم بن عمر الباجربقي الشافعي ؛  
قال الذهبي : الضال الذي حكم القاضي المالكي بضرب عنقه مدة بعد أخرى لثبوت  
امور فظيعة وكلمات شنيعة فتغيب عن دمشق وأقام بمصر بالجامع الأزهر وتردد  
إليه جماعة وكان الشيخ صدر الدين يتردد إليه و يبهت في وجهه و يجلس بين =

يعنى بميم الملك - والله أعلم - الملك المنصور بن الملك المظفر حاجي ابن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون فانه نخلع من ملك مصر في شعبان ثالث سنة من توليته و ملك بعده الملك الأشرف شعبان بن

يديه وكان يرى الناس بوارق شيطانية وكان له قوة تأثير وشهد عليه أيضا بما ابيح دمه و منه مجد الدين التونسي فسافر إلى العراق ثم سعى اخوه بحماة حتى حكم الحنبلي بعصمة دمه فغضب المالكى و جدد الحكم بقتله وكان اولاً فقيها بالمدارس ثم حصل له كشف شيطاني فضل به جماعة وكان يتنقص بالأنبياء و يتفوه بعظائم ثم قدم القابون محتفياً و سكن بها إلى ان مات في ربيع عن ستين سنة . و يتضح من كل ذلك ان الباجري كان معروفاً بين اهل عصره بعلم الغيب و علم سر الحروف كما يظهر في ملحمة عن الإسكندرية . و يذكر النويري آخر من اصحاب الملاحم اسمه ابن ابي جمعة في مخطوط القاهرة ١٢٣ : ب و ملحمة في ٧٨ بيتا - و فيما يتعلق بالإسكندرية على وجه اخص يمكن الرجوع الى « كتاب محاضرة الأبرار » تأليف محي الدين ابن العربي ج ١ ص ١٩٧ - ١٩٩ « فصل : د كخراب البلاد الذي يكون في آخر الزمان و قد درس المستشرق الألماني هرثمان هذا الفصل في البحث الآتي :

R. Hartmann, *Eine Islamische Apokalypse aus der Kreuzzeit*. Ein Beitrag zur Gattliteratur. 1924.

قارن في هذا الصدد أيضا النبوات العربية التي انتقلت الى الصليبيين في اثناء حصار دمياط سنة ١٢٤٩ م في المراجع اللاتينية الآتية :

(Junti Belli Scriptores Minores, ed. Rochricht, pp. 202-203.

(١) السلطان الملك المنصور محمد بن المظفر حاجي ( ٧٦٢ - ٧٦٤ هـ ) - انظر ٢٢٦ : الف .

(٢) السلطان الملك الأشرف شعبان ( ٧٦٤ - ٧٧٨ هـ ) - انظر ٢ : ب : ١٠٣ : الف ، ١٧٠ : الف ، ٢٣٦ : الف - الف ، و يرد اسمه كثيراً في النص لا سيما في مخطوط القاهرة ١٢٩ : ب وما يتلوها حيث يصف الكاتب زيارته الإسكندرية .

الحسين بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون - كما قال الباجريقي:

من 'بعد ما' خلعوا المنصور واحربا

وأجلسوا الشين في شعبان ذي الفطن

وقوله:

شين وشين و ياء الملك يعضده نعم وميم أتاه لزا في قرن ه  
و ينصب الشين ابن الحاء موضعه يكنى بعمّ أيه فاتح الحصن  
يعنى - والله أعلم - بالشين و الشين الملك الأشرف شعبان، و الياء يلبغا  
الخاسكى<sup>٢</sup>، و الميم منكلى بغا<sup>١</sup> الشمسى رأس الميمنة، و الشين بن الحاء - يعنى  
به شعبان بن الحسين بن الملك الناصر محمد، فانه ولى ملك مصر بعد

١٠ [ ٢٧: - الف ] الملك المنصور محمد المخلوع، و قوله:

(١ - ١) فى الأصل: بعدهم - و صحته فى « بن » بعد ما .

(٢) كذا .

(٣) يلبغا الخاسكى و هو من أشهر امراء المماليك، و رد ذكره سابقا فى ٢: ب،  
و تردد اسمه كثيرا فيما بعد (راجع الفهرس).

(٤) الأمير سيف الدين منكلى بغا الشمسى نائب الشام فى بداية حكم الأشرف  
شعبان سنة ٧٦٤ (راجع ابن اياس ج ١ ص ٢١٣) و تنقل فى حكم مدنها حيث  
عين أميرا على صفد و طرابلس و حلب و دمشق، ثم اصبح أتابك العساكر (ابن  
إياس ج ١ ص ٢١٤، ٢١٦ - ٢١٧، ٢٢٢، ٢٢٤ - ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٦٤؛ و النجوم  
الزاهرة لابن تغرى بردى طبعة Popper ج ٦ ص ٧٩٨، ٨١٧، و خطط المقرئ  
ج ٢ ص ٣٩٩) و قد كان الأمير سيف الدين من انشاء السلطان الأشرف  
شعبان .

يكنى بعم أيه فاتح الحصن

يعنى به الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن الملك المنصور قلاوون وهو عم الحسين والد الملك الأشرف شعبان فاتح اعكا سنة تسع وثمانين ، و قيل سنة تسعين وستمائة . و سيأتي فيما يرد من هذا الكتاب سبب فتحه لها و كم أقام عليها بعساكره حتى فتحها - إن شاء الله تعالى .  
و فتح أيضا صور و صيدا و بيروت و عدة قلاع بسواحل الشام ، و قتله الأمير يدرا بأرض تروجة كما قال الباجريقي :

(١) السلطان صلاح الدين خليل (٦١٩ - ٦٩٣) - انظر ٢٢٤ الف الى ٢٢٥ :  
ب ، ٣٣٧ : الف .

(٢) هذه الناحية من البحيرة معروفة في كتب التاريخ لحدوث مقتل السلطان بها ، وعلى مقربة منها قبض العثمانيون فيما بعد سنة ١٧١٥/٩٢٢ على طومانباي ، كما تردد ذكرها في مناسبات اخرى ، منها أن الروم (البيزنطيين) زحموا من الساحل حتى بلغوها في جمادى الثانية ١١٧ (Kindi, Governors, ed. Guest, p. 70)

و في ربيع الأول سنة ٢٥٣ حدث قتال عند تروجة (النجوم الزاهرة ج ١ ص ٧٧٣) وكذلك في سنة ٢٩٢ - ٢٩٣ (نفس المرجع ص ١٥٨ - ١٥٩) و ذكر الكندي (ص ٢٨٨) ان المغاربة انهزموا عندها سنة ٣٢٤ . و انه قبل فتح مصر يقف القائد حوهر الصقلي عندها (النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٤٠٧) .  
و في القتال الذي نشب بين ابن رزيق و شاور يظهر الأخير نجاة في تروجة قبيل استيلائه على القاهرة في ٢ محرم سنة ٥٥٨ ( ابن خلكان ، ترجمة دي سلان . ج ١ ص ٦٠٨ ) ، و في حملة امورى الثالثة على مصر سنة ١١٦٧ م يتعقب امورى جيش شركوه و صلاح الدين الأيوبي و يعسكر ما بين تروجة و دمنهور كما جاء في تاريخ غليوم الصورى :

( Toroge et Demenchur ) ( Guillaume de Tyr, ed. P. Paris, II, liv, XIX, ch. 27, p. 297. )

خاء و لام و الباء' يقتله يرى مجدل بين السهل و الحزن  
كان قتل الأمير بيدرا للملك الأشرف صلاح الدين خليل في  
يوم السبت ثاني عشر المحرم سنة ثلاث و تسعين و ستمائة، و سيأتي فيما  
يرد من هذا الكتاب خبر مقتل بيدرا بسبب قتله للملك الأشرف'  
إن شاء الله تعالى، و قول الباجريقي:

و بعد هذا ستأتي الروم يقدمهم عالج عنيف بفلك البحر يتمكن  
العالج من الفرنج<sup>٢</sup> هو الوغد الشديد البأس و جمعه علوج، يعنى به  
- و الله اعلم - رير بطرس صاحب قبرس فانه عمّر المراكب الحربية و قدم  
بها إلى الإسكندرية حارب أهلها و ظفر بها، كما قال الباجريقي:

= و في سنة ٦٦١ هـ بينما كان السلطان بيبرس في رحلة للصيد بالبحيرة يقف عند تروجة  
و يأمر بحفر أبار للياه فيها ( السلوك للقرنيزي ج ١ قسم ٢ ص ٤٩٨ - ٥٠٠ ) ثم  
يعود إليها من جديد سنة ٦٦٢ ( نفس المرجع ص ٥٢٠ ) كما يمر بها السلطان  
الناصر محمد سنة ٦٩٩ ( زيتريستن Zettersteen ص ٩٠ و كترمير Quatrem'ere  
ج ٢ ص ١٨١ ) و يقف عندها سنة ٧٠٣ ( كترمير ج ٢ ص ١٥٠ و ١٥١ .  
و يدكر ابو الفداء في الكلام عن حياته ( ص ١٨٢ ) أنه مر بتلك البادية في طريقه  
من الإسكندرية إلى مصر، و قد زارها و وصفها ابن بطوطة في رحلة  
( ص ٤٨ و ٤٩ ) و خراجها و ارد في « التحفة السنية » ( ص ١٢٤ ) - راجع  
زيادة على ذلك ياقوت في طبعة و ستنفلد ( Wüstenfeld ) ج ١ ص ٨٤٥ و خطط  
على باشا مبارك ج ١٠ ص ٣٢ و ما يتلوها .

(١) كذا .

(٢) زيد في بن « المذكور » .

(٣) في بن: الروم .

ووقعة ثم بالإسكندرية في وقت الصلاة فيا للدين من وهن  
يا صيحة عمت الإسلام واحربا يوم العروبة في وقت الغروب كن  
أتى صاحب قبرس' بأسطوله في يوم الخميس الحادى والعشرين من  
المحرم سنة سبع وستين وسبعمائة فأرسى بيحس السلسلة و هى المينا  
العربية<sup>٥</sup> بظاهر الإسكندرية، فلما كان يوم الجمعة ثانياه زحف الملعون إلى  
الساحل ونزل البر بعسكره وقاتل أهل الإسكندرية و ظفر بها في اليوم  
المذكور، و يوم الجمعة يقال له في لغة العرب: العروبة، قال الشاعر:  
يوم العروبة لا تخفى فضائلها لأن ذلك بين الناس مشهور  
و المراكب الحربية المجتمعمة يقال لها: أسطول، و يقال لها أيضا<sup>٦</sup>  
١٠ افروطة، قال الشاعر:

اسطول غربان و افروطة<sup>٦</sup> تهيأ - للحرب ثم القتال<sup>٦</sup>

(١) زيد في بن: الى الإسكندرية .

(٢) المينا الغربية أو بحر السلسلة - انظر أيضا ٩٥ : الف ، ١٠٢ : الف و بصفة

خاصة ١٨٦ : ب ، ١٨٧ : الف و مخطوط القاهرة ٢٧٦ : ب ، ٢٧٩ : الف .

(٣) زيد في بين : غربان و .

(٤) من العلوم أن كلمة « اسطول » مشتقة من الكلمة اليونانية 610809 ، أما

« افروطة » فاشتقاقها من لغة الفرنجة "flotte" كما جاء في معجم السفن العربية

تأليف كندرمان ص ١ (Kindermann, Schiff in Arabischen) ولكن يجب إن

نضيف إلى ذلك ملاحظة هى ان استبدال الراء باللام والعكس بالعكس في نطق بعض

الألفاظ أمر جائر في لغة العامة وأمتة ذلك كثيرة منها ( Mandarina = متدلينه )

وفي كتابات بعض الرحالة الغربيين نجد Matalie مرادة للطرية و Sansal بمعنى =

[٢٧: ب] غربان بين اندرت بالفراق يا ويلها كم اهلكت من رجال  
 فلم يكن ظفر القبرسي بالإسكندرية بحوله وقوته ، بل بقضاء الله  
 وقدرته ، لما سبق ذلك في علمه ، حتى أنفذه بحكمه ، وإلا القبرسي  
 أضعف الملوك<sup>١</sup> و أذلها و أقلها و الصقلي الجبار الذي<sup>٢</sup> لا يكون القبرسي  
 في رجليه إلا كقلامة الأظفار ، أتى قبله إليها فنكست أهلها أعلامه بخيلها<sup>٥</sup>  
 و رجليها ، و سيأتي ذكر<sup>٣</sup> فعلهم به<sup>٤</sup> إن شاء الله تعالى . و سأذكر أيضا ذلة  
 القبرسي بين ملوك النصرانية و جبايرة الرومانية و ضعف مملكته و بلاده  
 بين ممالكهم و مدنهم إن شاء الله تعالى .

اعلم أن صاحب قبرس ليس هو بين ملوك النصرانية إلا في  
 الدرجة السفلى الحقيرة و ما هو بينهم إلا كراعي قرده في جزيرة .<sup>١٠</sup>  
 و ليس هو كقيصر طريان<sup>٥</sup> الذي أذل أجناسا كثيرة ، و عبر الفرات  
 و غلب على كور العراق و الحيرة ، و ليس هو كملوك نصارى الأندلس  
 = سمسار حيث نقلوها بالسباع - الخ ، انظر أيضا ٢٧ : ب ، ٤ : الف ، ٩٥ : الف .

(٥) في بن : قدهياً (٦) في بن : للقتال .

(١) في بن : ملوك النصرانية .

(٢-٢) في بن : لم يكن .

(٣) في بن : صفة .

(٤) زيد في بن : فيما يرد من هذا الكتاب .

(٥) في الأصل و بن : وطريان - انظر أيضا ٢٤ ، ب - وهو الامبراطور الروماني

Trajan و الإشارة هنا إلى حملته على العراق سنة ١١٤ م .

الذارقة<sup>١</sup> الذين<sup>٢</sup> إذا ركب الملك منهم صارت<sup>٣</sup> الشواهد في الهواء<sup>٤</sup> تظله<sup>٥</sup> ،  
و مع ذلك قهرهم<sup>٦</sup> المسلمون و فتحوا أرضهم و سكنوا معهم في جزيرة  
الأندلس و صاروا<sup>٧</sup> يجارونهم و يقتلونهم و يأسرونهم<sup>٨</sup> ، و ملكوا مدنهم  
و أموالهم و صارت نساؤهم إماء لهم . كما سيأتي ذكر ذلك فيما يرد من  
هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

و ليس صاحب قبرس كهرقل ملك الشام و مصر قبل<sup>٩</sup> ظهور  
الإسلام و بعد ظهوره<sup>١٠</sup> ، و مع ذلك قهره<sup>١١</sup> المسلمون و ملكوا منه  
الشام بأجمعه و مهد الله لهم أرضه و هرب<sup>١٢</sup> منهم<sup>١٣</sup> إلى جزر البحر بعد

(١) «لذارقة» جمع «لذريق» أي «ردريق» أو Roderic بن ثيوفريد Theofred  
آخر ملوك القوط في اسبانيا هزمه العرب بقيادة طارق بن زياد ٩٢ هـ / ٧١١ م -  
لاحظ أيضا قلب الراء لاما مع الإشارة الى حاشية سابقة - كذلك انظر ٢٧ :

الف ، ٩٥ : الف .

(٢) في الأصل : الذي ، و في بن : التي .

(٣) في بن : سارت .

(٤) في بن : الجو .

(٥) زيد في بن : بأحتحتها .

(٦) في الأصل و بن : قهرتهم .

(٧-٧) من بن ، و في الأصل : يجارونهم و يقتلونهم و يأسرونهم .

(٨-٨) من بن ، و في الأصل : و بعد ظهور الاسلام .

(٩) في الأصل و بن : قهرته .

(١٠) في بن : فر .

(١١) زيد في بن : هرقل .

أن أفنى<sup>١</sup> المسلمون جنوده، و نكسوا أعلامه و بتوده، و ليس صاحب قبرس كالمقوقس<sup>٢</sup> صاحب مصر<sup>٣</sup> و الإسكندرية و كان المقوقس وجهه هرقل أميرا على مصر و جعل له حربها و جباية خراجها، فكان ينزل الإسكندرية صيفا و مصر شتاء، و كان رجلا عاقلا مصدقا بأن نينا<sup>٤</sup> من العرب اسمه أحمد سيظهر لما صح عنده بما وقف عليه من الكتب القديمة<sup>٥</sup> فلذلك صالح المقوقس لعمر و بر<sup>٦</sup> العاص على مصر بسبب القبط، و لم ترض<sup>٥</sup> الروم<sup>٦</sup> بالإسكندرية توافق المقوقس على الصلح استضعافا لرأيه في مصالحته العرب، فلذلك قتله ولده رسطوليس خفية<sup>٧</sup>. و كان النبي

(١) في الأصل و بن : افنت .

(٢-٣) في بن : ملك القبط بمصر .

(٣) في بن : نينا .

(٤) في بن : المتقدمة .

(٥) من بن : و في الأصل : لم ترضى - كذا .

(٦) زيد في بن : التي .

(٧) كذا في « بر » و في « بن » : [ ١١٣ الف ] زيدت الفقرة الآتية في هذا الموضع : « و جرى لرسطوليس بعد ذلك مع المسلمين أمور عجيبة و سياقي ذكرها إن شاء الله تعالى . و قيل بأن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم لما قدموا إلى مصر يريدوا ( كذا ) فتحها جمع المقوقس أرباب دولته و قال : ما ترون في أمر هؤلاء العرب ؟ قالوا : نرى أن تجمع لهم من كل جانب و مكان و لا تعطهم اللين فيطمعوا في ملكك كما طمعوا في الشام و غيره ، فلما انتهى كلامهم قال لهم : يا أهل دين النصرانية و بني ماء المعمودية ليس الملك بالكثرة و الغلبة بل بالسياسة و التدبير ، فمن ملك عقله ملك أمره ، و من ملك أمره امن من حوادث الدهر ، والله والله =

صلى الله عليه وسلم في زمن حياته كتب كتابا و أرسله إلى كسرى ملك فارس، فلما وقف على الكتاب ورأى ما فيه [ ٢٨ : الف ] من الإذعان والانقياد إلى الإسلام وترك عبادة النيران غضب و مزق الكتاب، فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم تمزيقه لكتابه دعا عليه بتمزيق ملكه، ه فكان تمزيق ملك فارس على يد سعد بن أبي وقاص في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذلك في سنة ثلاث عشرة من الهجرة، وفي تلك السنة فتحت دمشق وكورها إلى حمص، ولما أتى عمر رضي الله عنه بتاج كسرى و سواريه جعل يقلبها بعود و يقول: والله! إن

= لقد كان هرقل أكثر مني جندا و أوسع مني بلادا فما قدر أن يردّ القدر، و تعلموا (كذا) إن محمدا بعث في أيامه فدعاه إلى دينه فاستدل على صدقه بما ظهر من معجزاته، و أول من عاداه قومه بمكة فأخرجوه من بين أظهرهم، فأظهروه الله عليهم، فلما سمعت القبط كلامه أطرقوا رؤسهم و قالوا: الأمر ما أشار به الملك. فكان خلاصة ذلك بعد أمور يطول شرحها أن صالح العرب على مصر فلذلك قتله ولده رسطوليس خفية، و كان النبي صلى الله عليه وسلم الخ.

(١) زيد بعد «حمص» في «بن» [ ١٣ : الف ، ب ] ما يلي: « و قال الإمام نجر الدين في كتاب الأربعين في أصول الدين أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كتب إلى كسرى ملك العجم كتابا مزق الملك كتابه وبعث إليه حفنة من تراب، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم! مزق ملكه، ثم قال للصحابه: إنه بعث إلينا من تراب بلده و هذا يدل على أننا نملك بلاده؛ ثم كان الأمر كما قال صلى الله عليه وسلم. قال ابو عبد الله محمد بن عمر الواقدي: و الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة! ما اعتمدت في خبر فتوح الشام و أرض الأكاسة إلا الصدق لأثبت فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله لأرغم بذلك أهل الغرض =

الذي أدى هذا لأمين . فقال ' رجل : يا أمير المؤمنين ! إن ' أمين الله يؤدّن ' إليك ما أديت إلى الله فاذا رتعت رتعوا ' قال : صدقت .

ولما بعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى قيصر عظمه و بجله ، فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم تعظيمه و تبجيله لكتابه قال : ثبت الله ملكه ! فكان كما قال .

فان قيل ما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده . وقد وجد قياصرة كثيرة و أملاكهم باقية ، و وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح فارس و الشام ، فأغزى أبو بكر رضي الله عنه من أغزى حتى فتح الله لعمر الشام كله ؟ قيل معنى قوله : فلا قيصر بعده - يعنى بأرض الشام كله ، كما هلك قيصر المخبر بهلاكه و انقطع ذكره . . ١٠

= و الخارجين عن الإسلام إذ اولاهم بمشيئة الله عز و حل لم تكن بلاد المسلمين ولا انتشر علم الدين ، فله درهم أنهم جاهدوا و صبروا و ثبتوا للقاء العدو و بذلوا جهدهم و ما قصروا حتى رجزوا جند الشر و الطغيان و تهباً ( كد ) لمسيره و أذلوا كسرى و قيصر و الجندى بن كركر حتى علا الإسلام و طهر ، لا جرم أن الله تعالى قال : فمنهم من قضى نحبه و منهم من ينتظر [ قرآن كريم ٢٣ : ٢٣ ] و لما أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه - الخ » .

(١) في « بن » كالاتى : « قال رجل يا أسير المؤمنين أنت أمين الله تؤدّن أنت يؤدوا إليك الذى أدى هذا الأمين » .

(٢) في بن : انت .

(٣) في بن : يودون .

(٤) زيد في بن « كتابه » .

ولما بعث النبي كتابه إلى المقوقس<sup>١</sup> صاحب مصر تلقى كتابه بالقبول وأهدى للنبي صلى الله عليه وسلم هدية سنية ، و كان في أول الكتاب الذي كتبه النبي صلى الله عليه وسلم : ” بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى صاحب مصر ، أما بعد ، فإن الله تعالى أرسلني رسولا ، وأنزل عليّ قرآنا مبينا ، وأمرني بالإعذار والإنذار ومقاتلة الكفار حتى يقولوا : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وقد دعوتك إلى ملتي والإقرار برسالتي ، فإن أنت فعلت سعدت ، وإن أبيت شقيت “ فلما قرأه المقوقس كتب كتابا أوله : ” باسمك اللهم ، من المقوقس إلى محمد ، أما بعد ، بلغني كتابك وفهمته ، وأنت تقول : إن الله أرسلك رسولا ، وفضلك تفضيلا ، وأنزل عليك قرآنا مبينا ؛ فكشفنا يا محمد عن خبرك فوجدناك أقرب داع إلى الحق ، ولو لا أني ملكت ملكا عظيما لكنت أول من آمن بك ، لعلمي أنك خاتم النبيين ، وإمام المرسلين والسلام عليك ورحمة الله وبركاته إلى يوم الدين “ و أرسل إليه هديته ، وذلك فرسا<sup>٢</sup> [ ٢٨ : ب ] من حيول مصر الموصوفة مسرجا ملجها وهو فرسه المأبون<sup>٣</sup> و حمار يقال

(١) بشأن المراسلات المتبادلة بين النبي صلى الله عليه وسلم وملك الفرس وهرقل ملك الروم و المقوقس صاحب مصر - راجع :

Hamidullah, *Documents sur la Diplomatie Musulmane*, Paris 1935, pp. 40 et s.

والكتاب ترجمة عربية طبعت بالقاهرة سنة ١٩٤١ ( انظر ص ٢٩ وما يتلوها )  
وموضوع هذه الرسائل وارد في كل الكتب التاريخية العربية .

(٢) كذا .

(٣) في بن : المأبور .

له يعفور<sup>١</sup> و بغلة يقال لها الدلدل و جارية سوداء اسمها بريرة و جارية  
بيضاء من أجل بنات القبط يقال لها مارية معها أختها، فتسرى النبي  
صلى الله عليه وسلم بمارية فأولدها إبراهيم، و أهدى أختها لحسان بن ثابت  
الأنصاري فأولدها حسان عبد الرحمن، و عاش حسان بن ثابت هذا مائة  
و عشرين سنة منها ستين<sup>٢</sup> سنة في الجاهلية و ستين<sup>٣</sup> في الإسلام، و عاش  
أبوه و جده كل واحد منهما مائة و عشرين سنة، و مات حسان سنة خمسين  
من الهجرة - انتهى .

نعود - و كان في الهدية التي أهداها المقوقس للنبي عليه السلام  
عسل<sup>٤</sup> فأعجبه فسأل عنه فقال: من أين هذا العسل؟ فقيل له: من قرية  
يقال لها: بنها، فقال: اللهم بارك في بنها و في عسلها! فحسبها إلى يومنا هذا .  
خير عسل أهل مصر، و صارت تعرف بينها العسل، و هي بالشرقية من  
أعمال بليس .

و كان من جملة الهدية أيضا غلاما<sup>٥</sup> - اسمه مأبور و كان محبوبا<sup>٦</sup> -  
و طيبا<sup>٧</sup> و عودا<sup>٨</sup> رندا<sup>٩</sup> و أفاريه (!!) و مسكا<sup>١٠</sup> و عمامة و قباطي<sup>١١</sup> .

(١) كذا في « بر » و في « بن » [ ١٤ : الف ] : يعفور؛ وقد يكون « عفير » .  
(٢) كذا .

(٣) في الأصل و بن : عسلا - كذا .

(٤-٤) سقط من بن، و في الأصل : مابورا - مكان : مابور .

(٥) في « بن » [ ١٤ : الف ] : محبوبا .

(٦) كذا، و في الأصل : ونذا .

(٧) القباطي هي الثياب المنسوجة في طراز مصر، و قد جاء في الواقدى (ص ١٠) :  
عمائم و قباطي .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبدأ كتبه بيسم الله الرحمن الرحيم .

(١) سقط من « بر » وورد قبل هذه الفقرة في « بن » [ ١٤ الف ، ب ] ما يلي : « وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم دعا للقبط في دنياهم فقد عرفوا الصواب ، ووضحوا الخطاب ، وللقبطين أخبار عجيبة من أحداث البنيان واتخاذ المدن ، وانقادوا الى العدل وأجوه والى حسن الأحدثوة والذكر الجميل بالثناء الحسن . وكانت الملوك الذين ملكوا البلاد واطاعتهم الأمم وحكوا على الطوائف يخافون ملوك مصر وبها - ونهم هيبة و مخافة منهم . ولقد بلغ من عدل الملوك القبطيين بمصر أن أحد ملوك النوبة عدى على ملك من ملوك النوبة أسره وسجنه ونهب ماله فأرسل الدوبي المسجون إلى سريان ملك مصر كي ينصره ويأخذ له بحقه ممن ظلمه فمضى ملك القبط مع وزيره وكان وزيره عالما عاقلا حسن الرأي جيد الحدس فدخل مدينة النوبة متنكرا فكتب الى ملك النوبة أن بياك إنسانا مظلوما قد عدى عليه وخصمه معه ، فقال ملك النوبة : أدخلوه هو ( كدا ) وغريمه ، فدخل ملك مصر ووزيره ، فلما وقع عين ملك النوبة عليه هابه وقال : لك الخير ! من ظلمك ؟ فأشار ملك مصر الى وزيره الذي أتى معه وقال : أبها الملك ! هذا ظلمني وعدى على وأخرجني من بلدي وجعل مالى نهبا فما زلت اطلبه في البلاد إلى أن بلغنى أنه واهى مدينتك هذه فاتبعته لما علمت من حسن عدلك وحبك في الحق وأهله ، فقال الملك النوبي لغريم الملك سريان وهو لا يعرفها : انصف من نفسك وارجع الى الحق وإلا نكلت بك ، فقال له الوزير : لا أنصف من نفسي حتى تنصف أنت من نفسك أيها الملك وتعطى الحق وتأمربه ، فقال له : ويك ! ومن ظلمت حتى تخاطبني بهذه المخاطبة ؟ لو لا جلالة الذى معك لنكلت بك وعاقبتك بالمعاقبة التي يعاقب بها أمثالك ، فقال الوزير : لا تعجل أيها الملك فانك قد ذهبت الى ملك النوبة فزعت عنه ملكه واستبحت اهله وأورثته الذل =

و قد روى أنه كان يكتب أولاً: "باسمك اللهم" حتى نزل قوله تعالى "بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَ مَرْسَهَا" فكان يكتب: "بسم الله" حتى نزل

و أودعته السجن وجعلت ماله نهبا واشتمت به اعداءه ولا حكم لملك يجور على ملك مثله . فقال له ملك النوبة : ما كلفتك انت في هذا ونحن الملوك نعز من اردنا عزه و نذل من تكبر علينا . فقال له الوزير : لا أنصف من نفسى لغريمى هذا او تنصف أنت من نفسك و ترد من ظلمت ابلده و ملكه . فقال لقهارمته : دونكم لهذا المخالف الطاعة المارق من الحق الذى اقر على نفسه لغريمه ولم ينصف منها و تعرض لأحكام الملوك . . . على ججوده الضرب المبرح و نكلوا به التنكيل الذى ينكل به من كان مثله . فقال سريان القبطى ملك مصر ما حوج العقوبة ان تحمل بك و احراك بالتنكيل المؤلم و العقاب الشديد لأنك . . . حق الواجب علينا قمع المظالم و نصر المظلوم ، أتعلم من انا ؟ انا سريان الملك اتيت بوزيرى هذا لأنظر بنفسى ما عندك من العدل و الحلم فأمرت بنكاله دون بينة شهدت عليه و ذكر ( سوء ) اعمالك و قبيح افعالك فلم تبعأ به و ليس يكون منك ملكا يحكم فى العامة و يدخل تحت حكمه الخاصة لأن لك بطش الجهة و وحدة الاعمار و غضب لعامة . فلما سمع ذلك ملك النوبة سجد بين يديه و قال له : حكك ايها الملك فانى عاخذ بك منك . فقال له : منذ كم سجن هذا الملك المظلوم ؟ قال : منذ مدة مديدة . فأمر سريان ملك مصر بالملك الظالم ان يسجن فى بلاد المظلوم ، فاذا تم الأجل و انقضت المدة صرفه الى ملكه و رده الى حالته بعد ذل و هو ان يرتجل راجلا الى مدينة المستجير به ؛ فكان الحاكم فى ايام الملك سريان أن لا يتعدى احد على احد فكانت ملوك مصر القبطيين ( ليس عندهم ) ظلم و ان يعدلوا فى رعيتهم - انتهى .

نعود ، و كان النبي صلى الله عليه و سلم - الخ «

(١) قرآن كريم ٤١ : ١١ .

قوله " قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ " فكان يكتب: "بسم الله الرحمن"  
 حتى نزل قوله تعالى " أَنَّهُ مِنْ سَلِيمٍ وَ أَنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ " .  
 و الأصل فيها قوله صلى الله عليه وسلم : من قال "بسم الله الرحمن الرحيم"  
 دخل الجنة . و قال ابن مسعود : من أراد أن يقية الله من التسعة عشر  
 ٥ زبانية فليقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فإن فيها تسعة عشر حرفاً ، كل  
 حرف يقية من زبانية . و قال الثعلبي : لما نزل قوله "بسم الله الرحمن الرحيم"  
 ذهب الغيم من المشرق [إلى المغرب - ٢] و سكنت الرياح و هاجت البحار  
 و صغت البهائم بأذانها و رجعت الشياطين من السماء ، فقسم رب العزة  
 ألا يذكر اسمى هذا على شيء إلا بورك فيه و لا [على - ٣] عليل إلا شفى .  
 ١٠ و قال صلى الله عليه وسلم : كان الله و لا شيء قبله ، و خلق النور فخلق منه اللوح  
 و القلم ، فأمر القلم أن يكتب ، فقال : و ما أكتب ؟ قال : اكتب "بسم الله  
 الرحمن الرحيم" فكتبتها ، فجعلها الله أمناً لخلقه [ ٢٩ : الف ] فجري القلم بما هو  
 كائن ، و أنزلت على آدم ، فقال آدم : الآن علمت أن ذريتي لا تعذب بالنار  
 ما داموا يقرؤون "بسم الله الرحمن الرحيم" ثم رفعت و أنزلت على إبراهيم  
 ١٤ فقرأها فنجاه الله من النار و كانت عليه برداً و سلاماً كما قال الله تعالى .

(١) قرآن كريم ١٧ : ١١٠ .

(٢) قرآن كريم ٢٧ : ٣٠ .

(٣) زيد من بن .

(٤) في الأصل : بجري .

(٥) زيد في بن : النار .

ثم رفعت و أنزلت على سليمان فقالت الملائكة: الآن تم ملك ابن داود فأمره الله تعالى أن ينادى في الأسباط وهم بنو يعقوب و يقرأ عليهم كلمة الإيمان التي هي البسملة، فجمعهم و قرأها عليهم، ثم رفعت و أنزلت على عيسى، ثم رفعت و أنزلت على النبي صلى الله عليه و سلم .

و روى أن عيسى عليه السلام مرّ بقبر و فيه دخان و عليه ملائكة ه العذاب فلما كان بالغد مرّ عليه فرأى عليه ملائكة الرحمة و بأيديهم متاديل من نور فصلى ركعتين و دعا الله تعالى فقال: يا رب! ما هذا؟ يعذب أمس و اليوم يرحم! فأوحى الله إليه: يا عيسى! كان الرجل كثير المعاصي فترك ولدا في بطن أمه فاليوم أدخلته المكتب فقرأ «بسم الله الرحمن الرحيم» فاستحييت أن أعذب أباه في بطن الأرض و ولده يذكر اسمي على ١٠ وجه الأرض .

و روى عن بعض العارفين و قيل له: بما ذا ترى ظهر اسم الإمام الشافعي و غلب ذكره؟ فقال: إن ذلك باظهاره اسم الله في المسألة .

و أما قول جبريل عليه السلام لما أتى رسول الله صلى الله عليه و سلم في غار حراء و قال "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ" ٢ "على أنها أول ما أنزلت من ١٥ هذا القرآن، قال أبو الحسن القصار: هذا رد على الشافعي في قوله: "بسم الله الرحمن الرحيم أول كل سورة" و هذا أول سورة نزلت عليه

(١) زيد في بن: سليمان .

(٢) وفي بن: البسملة... وفي أول كل سورة في الصلاة .

(٣) قرآن كريم ١٦ : ١ .

لم يذكر فيها بسم الله الرحمن الرحيم .

واعلم أنه ما من شيء يخرج من العدم إلى الوجود إلا ببركات

اسم الله تعالى حركة كانت أو سكينته نظرة كانت أو خطرة في السماء

والأرض فعلا كان أو ذاتا فالغيب مغلقا على الأشياء، حتى يفتح بابه

بقدرة الله تعالى وعظم تدبيره كما قال تعالى "عِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ

لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ" فأعلمك 'تعالى أن' مفاتيح الغيب هذه 'يفتح بها

أبواب غيبه فيخرج ما يشاء من العدم إلى الوجود وقد سمي نفسه

الفتاح العليم . وقد قال الشيخ أبو الحسن الساذلي في حزب البحر له :

باسم الله بابنا، أي باسم الله تعالى نستفتح كل شيء من حرركاتنا

١٠ و سكناتنا و أفعالنا و إرادتنا و ما يفتح علينا .

(١) قرآن كريم ٦ : ٥٩ .

(٢-٢) في بن : بذلك الى .

(٣) في بن : عنده .

(٤) زيد في بن : من امر طاهر و باطن يكون ذلك مقرونا باسم الله تعالى وعلى

السنة العوام يقولون : افتح اللهم لي باب هذا الأمر ، و افتح لي باب خير و باب

علم و باب سفر ، ولا يريدون الباب المشهور . . . و جاء في الحديث أن النبي

صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا دخل المسجد : اللهم افتح لي أبواب رحمتك ،

و إذا خرج قال : اللهم افتح لي أبواب فضلك ، وقد قال تعالى « سم الله مجربها

و مرسها » أي بسم الله تجرى و ترسى ، و اعلم ان كل آية . . . عن تضمنين

لم يذكر باسمه اوصفة فمن ذلك بسم الله الرحمن الرحيم قد تضمن التعليم لاستفتاح

الأمور على جهة التبرك به و التعليم لله عز و جل بدكره و انه ادب من آداب =

[ ٢٩ : ب ] نعود إلى ذكر وصية النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه بالقبط - روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: إن الله عز وجل يستفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فإن لهم ذمة ورحما - أما الرحم فهاجر أم إسماعيل<sup>١</sup> بن إبراهيم<sup>٢</sup> من القبط من قرية نحو الفرما<sup>٣</sup>، يقال لها: أم العرب، وأما الذمة فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم تسرى من القبط مارية<sup>٤</sup> أم إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين كما ذكر عز وجل في كتابه " وَأَزْوَاجَهُ أُمَّهَتُهُمْ "، والقبط أخوالهم من قبل مارية، فصارت العرب كلهم من مصر بأمهم<sup>٥</sup> هاجر لأنها أم إسماعيل وإسماعيل فهو أبو العرب،<sup>٦</sup> وكان مولد إسماعيل لست وثمانين سنة من عمر إبراهيم<sup>٧</sup> الخليل عليهما السلام، واختن إبراهيم عليه السلام وهو ابن تسع وتسعين سنة، وكانت هاجر جارية سمراء شعلاء كحلاء مفلجة الثنايا عريية اللسان،

== الدين وشعار المسلمين وأنه اقرار بالعبودية واعتراف بالنعمة التي في أجل نعمه وأنه كلباً الخائف ومعتد المستنجد .

(١) في الهامش: وصية النبي بالقبط .

(٢-٢) في بن: وكانت .

(٣) الفرما انظر أيضا: ٩: ب، ١٢٣: ب، ٢١٠: ب، ٢١٦: الف فيما يلي من النص .

(٤) في بن: قال .

(٥) قرآن كريم ٣٣: ٦ .

(٦) في الهامش: هاجر أم العرب .

(٧) زيد في بن: قال المؤرخون .

ckad  
87

قال وهب بن منبه: و إبراهيم أول من أضاف الضيف، و أول من ثرّد الثريد و أطعمه المساكين، و هو أول من قص شاربه و استحد و اختن و قلم أظفاره و استاك و فرق شعره و تمضمض و استنثر و استنجدى بالماء، و هو أول من شاب و هو ابن مائة و خمسين سنة، و ذلك لأن سارة زوجته لما ولدت إسحاق قال الكنعانيون: ألا تعجبون لهذا الشيخ و العجوز و جدا غلاما لقيطا فتبناه، فصور الله إسحاق على صورة إبراهيم فلم يكن يفصل بينهما، فوسم الله إبراهيم بالشيب، فلم الكنعانيون أنه ولده بالشبه و إبراهيم والده بالشيب.

و اختلف في الذبيح<sup>١</sup> من هو، فقال ابن عباس: الذبيح إسماعيل لأن النبي صلى الله عليه و سلم قال: أنا ابن الذبيحين، و قال ابن عمر: هو إسحاق. قيل: إن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أرسل [ ٣٠: الف ] إلى رجل كان عنده بالشام يهودى أسلم فحسن إسلامه و كان عند عمر من علمائهم فسأله عن الذبيح: هل هو إسحاق أو إسماعيل؟ فقال له: إسماعيل بلا شك و الله يا أمير المؤمنين! إن اليهود لتعلم ذلك و لكنهم يكتبونه و يحسدونكم ١٥ عليه معاشر العرب أن يكون أبوكم إسماعيل هو الذى كان من أمر الله فيه ما كان و صاحب الفضل الذى ذكر الله منه لصبره لما أمر به، فهم يحسدونه ذلك و يزعمون أنه إسحاق لأنه أبوهم، و قد كان كلا منهم مطيعا طيبا، "وَفَدَيْنَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ"<sup>٢</sup> فجعلها له آية و فينا سنة، و عجباً لليهود تآبى

(١) في الأصل و بن: فعلت.

(٢) في الهامش: الذبيح.

(٣) قرآن كريم ٣٧: ١٠٧.

في ذلك لإسحاق ذلك و لو كان كذلك لذبخوا أولادهم فكيف مواشيهم!  
و إنما هي للعرب الذين امتثلوا<sup>١</sup> - انتهى.

نعود - و صاهر إلى القبط من الأنبياء عليهم السلام يوسف بن يعقوب، تزوج زليخا ابنة صاحب عين تمس التي ذكرها الله عز و جل في القرآن فقال "و غَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَ قَالَتْ هَيْتَ لَكَ" قال معاذ الله<sup>٥</sup> و كانت زليخا من أجمل نساء أهل زمانها مع ما تزينت به من زينة الملوك و يوسف عليه السلام في عنفوان شبابه، فامتتع منها حراما فزوجه الله بها حلالا؛ و العنقوان بداية الشباب - انتهى.

نعود إلى ذكر ذلة صاحب قبرس بين ملوك النصرانية و وضاعة<sup>٢</sup> قدره بين أقدارهم العلية، فليس هو كرسطوليس بن المقوقس الجبار و جنوده<sup>١٠</sup> الفجرة الكفار. و مع ذلك قهرهم<sup>٤</sup> المسلمون و ملكوا منهم<sup>٥</sup> مصر و أعمالها و الإسكندرية و بلادها<sup>٦</sup> و هرب منهم رسطوليس المذكور في المراكب و من تبعه إلى جزر البحر، و ذلك بعد قتله لآيه المقوقس خفية لمصلحة آيه للمسلمين<sup>٦</sup>، و جرى له بعد قتله لآيه أمور يطول شرحها تركتها خشية الإطالة، و الدليل على مصلحة المقوقس للمسلمين<sup>٦</sup> أن عمرو بن العاص<sup>١٥</sup>

(١) في بن: امتثلوها.

(٢) قرآن كريم ١٢: ٢٣.

(٣) في بن: وضع.

(٤) في الأصل و بن: قهرتهم.

(٥) في بن: منه.

(٦) زيد في بن: على مصر.

رضى الله عنه بينما هو سائر في سفح الجبل المقطم<sup>١</sup> ومعه المقوقس فقال له عمرو: ما بال جبلكم هذا أقرع ليس عليه نبات كجبال الشام؟ و لو شققنا في سفحه نهرا من النيل و غرسناه أثلا! فقال له المقوقس: وجدنا في الكتب أنه كان أكثر الجبال أشجارا و نباتا<sup>٢</sup> و فاكهة و كان هو منزل المقطم بن مضر بن حام بن نوح عليه السلام، فلما كان الليلة التي كلم الله فيها موسى أوحى الله إلى الجبال إني مكلم نبيا من أنبيائي على جبل منكن<sup>٣</sup> . فسمت الجبال و تشاخخت إلا [ ٣٠ : ب ] جبل بيت المقدس فإنه تضاعل<sup>٤</sup>، و هبط، فأوحى الله تعالى: لِمَ فعلت ذلك - و هو به أعلم؟ فقال: إعظاما و إجلالا لك يا رب، فأمر الله الجبال أن يجوه كل جبل عما عليه من النبات<sup>٥</sup> و جاد له المقطم بكل ما عليه من النبات حتى بقي كما ترى؛ فأوحى الله إليه: إني معوضك على فعلك بشجر<sup>٦</sup> الجنة أو غراس<sup>٧</sup> الجنة، فكتب بذلك عمرو بن العاص إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب إليه عمر: إني لا أعلم شجر الجنة غير المسلمين فأجعله لهم مقبرة، ففعل، فغضب المقوقس من ذلك و قال لعمرو: ما هكذا صالحتى، فقطع له عمرو قطيعا، فدفن فيه النصارى . و روى أسد بن موسى قال: شهدت

(١) انظر فيما بعد ١٨٩ : الف - ب «فصل في المقطم» .

(٢) في بن: نباتا .

(٣) في بن ١٦ : الف «تضاحك» .

(٤) في بن: النبات .

(٥) في بن: بشجرة .

(٦) زيد في بن: من .

جنازة مع ان لهيعة فجلسنا حوله فرفع رأسه فنظر إلى الجبل فقال: إن عيسى [بن - ] مرّ بسفح هذا الجبل و عليه جبة صوف و قد شد وسطه بشريطاً و أمه إلى جانبه فالتفت إليها فقال: يا أمه! هذه مقبرة أمة محمد عليه السلام - انتهى .

نعود - و إن رسطوليس بن المقوقس لما قتل والده بسبب صلحه ه للمسلمين توجه إلى الإسكندرية فجرى له بها أموراً خلاصتها هروبه خوفاً من المسلمين إلى جزر البحر ، و سيأتي فيما يرد من هذا الكتاب سبب هروبه منهم إن شاء الله تعالى ، فالتفت ملوك النصارى و بطارقتهم و جنودهم من الشام و مصر و الإسكندرية و الصعيد و البحيرة إلى الجزر ، و أقام من أقام من النصارى تحت الذمة و الجزية يعطون الجزية عن يدوهم ١٠ صاغرون؟ . و سأذكر ما قيل في الصعيد و البحيرة إن شاء الله تعالى .

(١) زيد من بن .

(٢) في بن : بشرطة .

(٣) زيد في بن : يطول شرحها .

(٤) زيد هنا في « بن » [ ١٦ ، الف - ب ] و هو ساقط من « بر » ما يلي : قال القاضي عبد الوهاب : و تؤخذ الجزية من الكفار البالغين الأحرار كانوا أهل ذمة أم لا لقوله تعالى : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر » إلى آخر الآية [ قرآن كريم ٩ : ٢٩ ] ، فأوحى أخذها ممن يقاتل و ذلك في البالغين الأحرار و لا تؤخذ من النساء . قال ابن عمر و لا من الصبيان ، و لأن كل من حاز لنا قتلهم قلنا أخذ الجزية منهم إذا قدرنا إلا كفار قريش فانهم يقاتلون حيث وجدوا و لا جزية عليهم . و اختلف لم ذلك ، قيل لمكانتهم من النبي صلى الله عليه وسلم و قيل لأنهم أسلموا يوم فتح مكة ثم ارتدوا بعد ذلك فأينما =

سمى الصعيد صعيدا لأنه أعلى وادي مصر ، وقيل : الصعيد وجه الأرض كان عليه تراب أولم يكن ، قال الشاعر ١ :

فأصبح نُور نُور التبت زاه ١      يدبج رقبه وجه الصعيد

وقيل : سمي الصعيد لأنه نهاية ما يصعد إليه ٢ من باطن الأرض ولا خلاف

٣ بين أهل اللغة أنه وجه الأرض . و أصل التيمم القصد يقال : تيممت -

أى قصدت له . قال الله تعالى : فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ٤ " أى اقصدوا الصعيد

الطيب ، ثم كثر استعمالهم لهذه الكلمة حتى صار التيمم مسح الوجه

= وجدوا قتلوا ولاجزية على مرتد . وقال الشافعي : لاجزية الا على اهل الكتاب

خاصة ، واحتجنا بقوله تعالى « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر »

(انظر عاليه) . ودليلنا قوله عليه السلام : ستوا بهم سنة اهل الكتاب ، واخذها

عليه السلام من مجوس هجر ، وأخذها عثمان [ رضى الله عنه ] من البربر . قال

ابن العربي : الجزية فعلة من جزاء . قال الشافعي : يتعين عليهم الجزاء كأنها تجزى

عليهم فيما لزمهم من كراء القرار اذا نزلوا بدار الإسلام يتعين عليهم الكراء ،

والصحيح فيها أنه بدل عن القتل . قال الله تعالى « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله

ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من

الذين اتوا الكتب حتى يعطوا الجزية عن يدهم صغرون ( انظر عاليه ) .

وإد قد تقدم ذكر الصعيد والبحيرة فلنذكر ما قيل فيها ، وقيل الصعيد وجه

الأرض - الخ .

(١) في الهامش : الصعيد .

(٢) كذا .

(٣) فى بن : اليها .

(٤) قرآن كريم ٤ : ٤٣ .

و اليدين بالتراب . و التيمم بالتراب عند مالك على غير وجه الأرض  
جائز مثل أن يرفع إلى المريض<sup>١</sup> طبق أو إلى الراكب على المحمل أو يكون  
مريضاً يتيمم جداراً إلى جانبه [ ٣١ : الف ] وإن كان من طوب بناء .  
و قال أبو حنيفة و الشافعي : لا يجزئ إلا التراب<sup>٢</sup> .

و كان صعيد مصر<sup>٣</sup> في قديم الزمان مجمع السحرة ، قيل إنه ه  
اجتاز مركباً<sup>٤</sup> يولد من بلاده على ضفة النيل صاعداً و ساحراً من سحرة  
(١) زيد في بن : في .

(٢) زيد هنا على النص في « بن » [ ١٦ ، ب ] مايلي : قال بعضهم فان قيل : لأي  
شيء امر بالتراب عند عدم الماء ؟ فنقول : لأن ابن آدم خلق من ماء و تراب  
فكانت عبادته تردد بين الماء و التراب إذا عدم أحدهما وجد الآخر . و قال  
الزجاج : الصعيد وجه الأرض كان عليه تراب اولاً . و قال الشافعي : الصعيد  
التراب ، و مالك يجوز التيمم بالتراب و ما كان من نوعه كالرمل و الحجارة  
و السبخة لأن ما حال بينك و بين الأرض فهو منها إذا كان غير [ التراب ] .  
و الشافعي لا يجزئ التيمم على الحجارة . و أجاز ابن القصار التيمم على الحشيش .  
و أجاز في مختصر الوفاق التيمم على الخشب . و لم يجز مالك التيمم على الرخام  
و هو مثل الزمرد و الياقوت ، و كذلك الشب و الزجاج و الملح و الكبريت  
و شبهها لأن الملح طعام و هذه عقاقير . و في المدونة إذا : تيمم بالخل و الحصى  
و هو و وجد التراب أعاد في الوقت . و طاهر المدونة لا إعادة ، و عند مالك  
التيمم بالتراب إذا وضع في طبق للمريض أو محمل للراكب جاز ذلك و كذلك  
التيمم بجدار فيه طوب - انتهى . نعود . - و كان صعيد مصر - الخ .

(٣) في الهامش : نكتة .

(٤) في بن : مركب .

ذلك البلد يتطلع من طاق غرفة له تشرف على النيل فقال لأصحاب  
المركب : أعطوني من الدراهم كذا وكذا درهماً وإلا منعت مركبكم من  
السير ، فامتنعوا من العطاء ، فسحر الذى بالطاق المركب فوقفت عن السير ،  
و كان فى المركب ساحر فسحر الذى بالطاق فبنت له قرناناً فى رأسه  
٥ و أطلق المركب بقوة سحره و عليه الزائد على سحر صاحب الطاق ، فأراد  
الساحر الذى بالطاق إدخال رأسه منها ففنته قرونها من ذلك ، فأمر يهدم  
ناحية الطاق ليتخلص فحين هدمت تلك الناحية طال قرنه الذى عليها ،  
فهدموا الناحية الأخرى ، فطال القرن الثانى فهدموا ما فوق القرنين ، فطالت  
القرون إلى أن هدموا الحائط بكامله ، فطالت القرون بطول حائط الغرفة  
١٠ و صار بتلك القرون الطوال فى أسوأ حال لا يقدر بأوى بيتا من طولها  
و صار مقياً بظاهر البلد مضحكة لكل أحد . فقيل له : أنت ساحر و الذى  
سحرك ساحر فاسحر هذه القرون لتزول<sup>٢</sup> عنك و تستريح منها ، فقال :  
هيهات ! ليس كل ساحر على منوال الآخر يجرى بل سحره غلب على سحرى  
من حيث لا أعلم سحره و لا به أدرى : لو لقيته لصرت تلميذا بين يديه  
١٥ لأشتغل بتعلم السحر عليه . فلم يزل بتلك القرون فى ذلة و هون إلى أن  
رجع الساحر من قصده فراه على تلك الحالة المضحكة حائراً فى أمره فأخذ  
منه مالا حتى صرفها عند بسحره ، فقال له : أريد أن أكون لك تلميذا  
أيها العالم ! فقال : لو أقمت مائة سنة لى ملازماً يا أيها الجاهل المجنون

(١) فى الأصل و بن : درهم - كذا .

(٢) من بن ، و فى الأصل قرنين - كذا .

(٣) من بن . و فى الأصل : تروى .

(٤) فى الأصل ، ملازم - كذا ، و فى بن فلازمنى مائة عام .

ما أفدتك علم القرون ؛ فتركه و انصرف<sup>١</sup> .

وقيل<sup>٢</sup> : السحر<sup>٣</sup> لا يقلب الصور بل يقلب النظر كما يرى النائم بحرا فيكون سلطانا - أعنى تأويله<sup>٤</sup> ، ولهذا قيل : سحروا أعين الناس ، تخيل إليه من سحرهم أنها تسعى ، وقيل : السحر له حقيقة و يؤثر في إيلام الأجسام و إتلافها ، و يحرم فعله و تعلمه ، فمن اعتقد إباحته مع العلم بتحريمه فقد كفر<sup>٥</sup> .  
و كانت السحرة الذين<sup>٥</sup> حشرهم فرعون من مدن مصر لموسى عليه السلام خلق كثير ، [ ٣١ : ب ] فلما رأوا آيات موسى من إلقائه العصا التي صارت حية تسعى و قد ابتلعت جبالهم و عصيهم التي سحروها حتى صارت حيات تسعى استيقظوا من غفلتهم و لم يلبثوا أن آمنوا و سجدوا لله عز و جل و قالوا : "أما رب العالمين" ، قال فرعون بجهله : أنا رب العالمين ،<sup>١٠</sup> فقالوا "رب موسى و هرون" قال فرعون "أنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلا تقطن ايديكم و ارجلكم من خلاف

(١) زيد في بن : و لم يفد ذلك .

(٢) زيد في بن : ان .

(٣) في الهامش : السحر لا يقلب الصور بل يقلب الأبصار .

(٤) سقط من «بر» و زيد في «بن» [ ١٦ : ب ] ما يلي : وقيل ان علم السحر يستفاد منه ما لا د نفسه ( كذا !! ) و يقتدر بها على أفعال عريية بأسباب خفية ، و منفعة أن يعلم ليحذر منه لا يعمل به و لا نزاع في عمله . أما مجرد علمه فظاهر الإباحة بل قد ذهب بعض النظار على أنه فرض كفاية لظهور ساحر يدعى النبوة فيكون في الأمة من يكشفه و يقطعه ، و أيضا يعلم منه ما يقتل . . . فاعله قصاصا .

(٥) من بن ، و في الأصل : التي .

وَأَصْلِبْتُمْ فِي جَذْوَعِ النَّخْلِ“ وَأَمْضَى فِيهِمْ [ ذَلِكَ - ١ ] فَكَانُوا أَوَّلَ  
النَّهَارِ سَحْرَةَ كَفْرَةٍ وَآخِرَهُ شَهَادَةَ بَرَّةٍ ، فَحَازُوا بِالْجَنَّةِ الْخَالِدَةَ بِسُجْدَةِ  
وَاحِدَةٍ ، فَسَبَّحَانَ مِنْ لَطْفِ بِهِمْ وَأَخْرَجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ  
وَأَوْرَثَهُمْ دَارَ النِّعَمِ وَالسُّرُورِ ! يَا عَجَبًا كُلِّ الْعَجَبِ ! قَوْمٌ فِي حُدَادِ الْكُفْرِ  
٥ يَرْفَلُونَ وَالْوَلَاةُ تَنْصَبُ لَهُمْ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ !  
أَسَارَى فِي دَهْلِيزٍ ” لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا “ وَمَرَاتِبُهُمْ مَنْصُوبَةٌ فِي عَرَاصٍ<sup>٢</sup>  
[ الْجَنَّةُ - ٢ ] ” فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى “<sup>٣</sup> ، إِبْلِيسُ وَبِرْصِيصٌ وَبُلْعَامُ  
رَافِلُونَ فِي سِنْدُسٍ ” أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ “ ” فَيَهْدِيهِمْ أَقْدَمَهُ “ وَكَانَتْ  
عُورَةٌ ” الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ  
١٠ صِنَاعًا “ ، خَرَجَ رَسُولُ الْمَشِيئَةِ وَقَالَ : عَرَجُوا بِهَذَا الرِّكْبِ إِلَى طَرِيقَةِ  
” قُلْ هَلْ تَنْبِئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا “ . يَا عَجَبًا كُلِّ الْعَجَبِ ! هَذَا بُلْعَامُ  
جَالِسٌ عَلَى بَسَاطِ الْأَبْسَاطِ وَالْقَدْرُ يَنَادِي ” آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانطَلَخَ مِنْهَا “  
صَفَعَتْهُ يَدَ الرُّكُونِ إِلَى الدُّنْيَا فَأَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَسُلِبَ

(١) ساقطة من « بر » وواردة في « بن » [ ١٦ : ب ] .

(٢) في « بن » عراض .

(٣) زيد من بن .

(٤) زيد في بن : قال ابن الجزري جاءت السحرة تحارب وخلق الصلح  
قد جيت و تيجان الرضى قد رصعت و شراب الوصال يروق مدوا أيديهم الى  
ما اعتمد من نهر الهوى فاذا به قد استحال خلا ما قطروا عليه وا عجبيا لسكارى  
من شراب الحب فزيدت عليهم . . . فصلبوا في جذوع النخل ارتقى سلطان  
هزيمتهم الى سماوات قلوبهم فأوحى في كل سماء امرها .

حلاوة نجواه، إنما مثل الواقف بين يدي مولاه بلا قلب يلعب و يعبت  
 "كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث". و هؤلاء السحرة  
 في شرك الشرك أسارى، و في ظلمة الباطل حيارى، و يد السعادة قد دكت  
 جبال شقوتهم دكاً. القدر يناديهم من الملائكة الأعلى "لهم جنات تجري  
 من تحتها الأنهار يخلدون فيها" "و ذلك جزوا من تزيكى". فلما قتلهم  
 أجمعين و قطع أيديهم و أرجلهم و صلبهم و هم يسبحون و يقصدون  
 و يهللون و يكبرون و يستغفرون حتى ماتوا - رحمة الله عليهم و رضوانه  
 لديهم.

و سيأتي فيما يرد من هذا الكتاب ذكر العلامات و الآيات التي

جاء بها موسى لفرعون - إن شاء الله تعالى . ١٠

و قال النبي صلى الله عليه و سلم: إذا أراد الله بالعبد السعادة يسره  
 إلى [٢٢: الف] الطاعة فيعمل بها حتى يموت فيأمر به إلى الجنة، و إذا  
 أراد الله به الشقاوة يسره إلى المعصية فيعمل بها حتى يموت فيأمر به  
 إلى النار .

و قيل كان عدة<sup>٢</sup> سحرة فرعون اثني عشر ألف ساحر رؤساء، تحت ١٥  
 يد كل رئيس منهم عدة عرفاء، تحت يد كل عريف ألف من السحرة،  
 فكانت جميع السحرة مائتي ألف و أربعين ألف ألف و مائتين

(١) جمع المؤلف هنا بين جزئي آيتين من سورتين متباعدتين - راجع القرآن

الكريم ٥: ١١٩، ٢٠٦: ٧٦

(٢) كذا في الأصول .

(٣) في هامشه: عدة سحرة فرعون .

و اثنين و خمسين ساحرا بالرؤساء و العرفاء .  
و أجمعت الرواة على أنه ما يعلم [ من - ' ] جماعة أسلمت في ساعة  
واحدة أكثر من جماعة القبط .

و يروى أنه لم يفتن واحد منهم حين افتتن بنو إسرائيل لما فرق الله  
٥ لهم البحر و فتح لهم فيه اثني عشر طريقا حتى نجوا من فرعون ،

و أغرق الله فرعون و جنوده بانطباق البحر عليهم و بنو إسرائيل على

الساحل ينظرون ففرحوا بنصر الله لهم على عدوهم ، و مضى موسى

لمناجاة ربه بعد أن ، صلى أخاه هارون عليهم ، فأوا هناك ناسا يعبدون

الاصنام<sup>٢</sup> ، فاتخذ لهم السامري العجل صاغة من حليهم . قال : " هذا الهكم

١٠ و إله موسى فنى " يقول : ترك موسى إلهه هنا و ذهب يطلبه ، ثم انصرف

موسى من عند ربه و لم يستطع أحداً أن ينظر في وجهه لما تغشاه من

النور حتى كان يلبس وجهه بخرقه حري ، و أنزل الله عليه الألواح

بطور سيناء من زمرد أخضر فيها كتابته بالذهب ، فلما رأى ما أحدث

قومه من عبادة العجل ارتعد فسقطت الألواح من يده فتكسرت فجمعها

١٥ و أودعها تابوت السكينة ، ثم انهم أظهروا من توبتهم لقتلهم أنفسهم ما

ذكره الله تعالى من قوله " فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ

فَتَابَ عَلَيْكُمْ<sup>٥</sup> " ثم أمره الله سبحانه أن يأتي في ناس من بني إسرائيل

(١) زيد من بن . (٢) من بن ، و في الأصل : اخوه .

(٣) في الهامش : عباد العجل . (٤) من بن ، و في الأصل : احدا - كذا .

(٥) قرآن كريم ٢ : ٥٤ .

يعتذرون إليه من عبادة العجل فاختر موسى سبعين رجلا ، ثم كان من أمر سؤا لهم أن يروا الله جهرة ، فأما تهم الله ثم أحيام ، فذلك قوله ثم ' اخذتهم الرجفة ثم أمرهم الله بالمسير إلى أريحا وهي أرض بيت المقدس فساروا حتى قربوا منها ، بعث موسى اثني عشر نقيبا من أسباط بني إسرائيل فلقبهم رجل من الجبارين فأخذهم فخطهم في حجرته ه و على رأسه حزمة حطب ، فانطلق بهم إلى امرأته و قال : انظري إلى هؤلاء القوم الذين يريدون أن يقاتلونا <sup>٢</sup> ، فطرحهم بين يديها و قال : الآن أطحنهم برجلي ، فقالت امرأته : لا ، خل عنهم حتى يبخروا [ ٣٢ : ب ] قومهم بما رأوا ، فذلك قول بني إسرائيل : " إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ قَ وَ إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا ١٠ دُخِلُونَ ه قَالَ رَجُلٌ مِّنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ ٤ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَانكُم غَلِيُونَ ٥ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ه قَالُوا يُمُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ ه " فقال موسى : رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَ أَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ١٥

(١) قرآن كريم ٧ : ٧٨ و ٩١ كذلك ٢٩ : ٣٧ (فأخذتهم الرجفة) ، ٧ : ١٥٥

(فأخذتهم الرجفة) .

(٢-٢) في بن : قاتلنا .

قال تعالى "فَانهَا مَحْرَمَةٌ عَلَيْهِمْ اَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْاَرْضِ" -  
الآية فخرج بهم موسى إلى التيه و عددهم ستمائة ألف بالسخ و أتاهم بالآيات  
المشهورة و كانت آياته في عصاته و غيرها .

قال أبو إسحاق الثعالبي في تفسيره: قوله عز و جل "وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ

٥ يَمُوسَى" قَالَ هِيَ عَصَايَ . قال : و كانت لها شعبتان و في أسفلها  
سنان و اسمها نبقة ، و قوله "اتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا" أي أعتد إذا مشيت و إذا  
عيت و عند الوثبة و القفزة "وَأَهْشُ بِهَا عَلَيَّ غَنَمِي" و أخبط بها الشجر  
ليتناثر ورقها لتأكل غنمي . و قوله "وَلِي فِيهَا مَارِبٌ أُخْرَى" حوائج  
و منافع .

١٠ قال ابن عباس : كان موسى عليه السلام يحمل على عصاه زاده  
و سقاه فجعلت تماشيه و تحادته ، و كان يضرب بها الأرض فتخرج له  
ما يأكله يومه ، و يركزها فتخرج الماء ، فإذا رفعها ذهب الماء ، و كان يرد  
بها غنمه و تقيه الهوام باذن الله ، و إذا ظهر له عدو حاربت و ناضلت  
عنه ، فإذا أراد الاستسقاء من البئر أدلاها فطالت على طول البئر و صارت  
١٥ شعبتها كالذلو حتى يستقي ، و كان يظهر على شعبتها كالشمعتين بالليل

(١) قرآن كريم ٥ : ٢٢ - ٢٦ .

(٢) في الهامش : عصاة موسى .

(٣) قرآن كريم ٢٠ : ١٧ - ١٨ .

(٤ - ٤) زيد من بن ، و قد سقط من بر .

(٥) في بن : فكانت .

تضئ له و يهتدى بها ، و إذا اشتهى ثمرة من الثمار ركزها في الأرض  
فتغصنت عن تلك الشجرة و أورقت ورقها و أثمرت ثمرها؛ فهذه المآرب  
التي كانت في العصا - انتهى .

٢

نعود إلى التيه<sup>١</sup> - و التيه الذي تاه فيه بنو إسرائيل<sup>٢</sup> مقدار أربعين  
فرسخا و قيل إنه تسع فراسخ في مثلها، و أول حدّه ما بين قبر أبي ه  
حميد و بطن نخل ، و فيه مات موسى و هارون عليهما السلام<sup>٣</sup> - انتهى .  
نعود إلى ذكر البحيرة التي بأرض مصر<sup>٤</sup> - أما البحيرة فكانت كرما  
لامرأة المقوقس ملك مصر ، وكانت تأخذ خراجها منهم الخمر بفريضة عليهم ،  
فكثر الخمر عليها حتى ضاقت به ذرعا فقالت : لا حاجة لي في الخمر ، أعطوني  
دنانير ، فلم تجدها [ ٣٣ : الف ] معهم ، فأرسلت على الكرم الماء فغرقتها ،  
فصارت بحيرة يصاد فيها السمك حتى استخرجها بنو العباس فشدوا  
جسورها و زرعوها و بقى ذلك اسما<sup>٥</sup> عليها ما<sup>٦</sup> تعرف إلا بالبحيرة<sup>٨</sup> . و قد

(١) انظر ايضا فيما بعد ٢٢٧ : الف ، ٢٣٠ : الف .

(٢) زيد في بن : أربعين سنة ، وفيه : مقداره ، مكان : مقدار .

(٣) في بن ١٨ : ب « ذكر حدود التيه » .

(٤) في بن : اسفل .

(٥) في الهامش : بحيرة سكندرية . و كل ذلك وارد في تاريخ ابن عبد الحكم

ص ٦ ، و خطط المقرئ ( طبعة Wier ) ج ٣ ص ١٦٦ ، و حسن المحاضرة للسيوطي

ج ١ ص ٣٨ في الفصل الخاص بذكر بناء الإسكندرية .

(٦) في بن : اسم . (٧) في بن : لا .

(٨) في بن : به .

تغلغل بنا الكلام<sup>١</sup> و تشعب إلى أن أخرجنا<sup>٢</sup> عما قصدناه<sup>٣</sup> - فلنرجع الآن إلى ما كنا فيه أولا<sup>٤</sup> :

و ليست مدن جزيرة قبرس كمدن نصارى الأندلس مثل إشبيلية و قرطبة و طرطوشة و طليطلة<sup>٥</sup> و غيرها من المدن ، و كانت تلك المدن للمسلمين ملكوها من النصارى و أقاموا بها مدة سنين ثم غلبهم عليها النصارى<sup>٦</sup> ، و هي الآن في سنة خمس<sup>٧</sup> و سبعين و سبعمائة بأيديهم<sup>٨</sup> .

<sup>٩</sup> و ليست الماغوصة<sup>١٠</sup> و الأقسية و غيرها من بلاد جزيرة قبرس<sup>١١</sup> كدينة رومة و القسطنطينية و عمورية<sup>١٢</sup> عن عمير بن مالك أنه كان عند عبد الله بن عمر فذكروا فتح القسطنطينية و رومة أيهما يفتحان قبل<sup>١٣</sup> . فاختلفا في ذلك ، فدعا عبد الله بن عمر بصندوق فيه قرطيس فقال : تفتحون قسطنطينية ثم تفزّون بعثا إلى رومة فيفتح الله عليكم .

(١) زيد في بن : و تسلسل .

(٢-٢) في بن : إلى البحيرة .

(٣) في بن : من اخبار مدن النصارى .

(٤) زيد هنا في بن [ ١٨ : ب ] و مألقة .

(٥) زيد في بن أيضا : الأقرطبة ! (٦) في بن : ست .

(٧) زيد في بن أيضا : و أما قبرس فهي سرير ملك السلطان ابن الأحمر

و مألقة هي التي يصنع بها الفخار المنقوش الرفيع المدهون الذي لا يعمل مثله

في غيرها . (٨) زيد في بن : نعود . (٩) في بن : القبرس .

(١٠) زيد في بن : الأقسية .

قال بجد بن هشام: وقد فتح مسلمة بن عبد الملك بن مروان  
والأمير عبد الوهاب القسطنطينية<sup>١</sup> وغنم منها غنائم كثيرة، وفتح  
أمير المؤمنين هارون الرشيد حصن هرقله وهو حصن كبير من حصون  
الروم، : كان استفتاحه له سنة تسعين ومائة، و كان رميه لسورها بحجارة  
المنجنيق عليها<sup>٢</sup> الكتان واللفظ، فكانت النار تلتصق به، وتأخذ الحجارة  
وقد تصدّع فتهافت فقال الشاعر:

هوت هرقله لما أن<sup>٣</sup> رأت عجا حجارة ترمى باللفظ والنار  
كأن نيراننا في جنب قلعته مصبغات على أرسان قصار<sup>٤</sup>

(١) راجع في حملات العرب على القسطنطينية الباحثين الآتين:

*M. Canard, Les expéditions des arabes contre Constantinople, dans l'histoire et dans la légende J.A., I, 80 et seq. ; Md. A. Cheira, La lutte entre arabes et byzantins (1947), pp. 180 et seq.*

(٢) زيد بن: مشافان .

(٣) سقط من بن .

(٤) في « بن » [ ١٨ : الف ، ب ] زيد مايلي : وفتح المعتصم ... عمورية  
و غنم منها غنائم كثيرة فقال الشاعر في ذلك للمعتصم :

تناولت اطراف البلاد بقدرة كأنك فيها تبغى اثر الحضر

وقد كان للخلفاء فتوح ، ولكنه لم يتسقى لأحد ما للأمون وعبد الملك بن مروان  
والمعتصم ، الا أن فتوح المأمون وعبد الملك كانت ( في بن : كان ) لمن قصد إلى  
ممالكها قبلنا ( في بن : ملكها فباغنا ) في ذلك ما لم يبلغه احد في الإسلام من  
الملوك ، وللمعتصم ست فتوحات عظام جليلة لم يحارب في واحدة منهن الا من قصد  
المسلمين دون ملكه خاصة ، فمن ذلك ما يقال إن ملك طبرستان بعد ما غلب =

= و قتل وتمكن من تلك القلاع والجبال المنيعه والسبل الوعرة حتى قتله  
وظفر به، و من ذلك بابك... (!) الذي كسر العساكر وقتل الجنود وقتل  
القواد واخرب البلاد وملاً القلوب هية ومخافة فأخذه اسيرا وقتله وصلبه إلى  
جنب مازييار. و من ذلك فتح عمورية وهزيمة الطاغية أمير ياطس صاحب  
ملطية (في بن: الصواحي - كذا) فأسره وصلبه إلى جنب بابك و مازييار.  
من ذلك استباحة الزط حتى اجتث اصلهم و اباد خضراءهم (لعله: حضرهم)  
بعد ان منعوا عن بغداد الميرة وقتلوا القواد و غلبوا على البلاد و بعد ان رامهم  
خليفة بعد خليفة. و من ذلك الأمير جعفر الكردي وأخافته السيل فظفر به  
وقته. و من ذلك ما كان منه في امر الهند، و شق الهند كله حتى ظفر من عدد  
البروج و رؤساء الهند و ابطال المقاتلة و أحرب السواحل على يدى عمر بن  
الشهراز. ثم الخليفة المعتضد بالله اتفق له من الفتوح الجليلة الخطيرة مثل ذلك...  
بعد ان كان قد تغلب على البلاد و منع الميرة من جميع الأقطار، و من ذلك  
قصد إلى عبد العزيز بن... حتى اجتث اصلهم و استباح حریمهم. ثم كان  
من شأن رافع بن هرثمة و خلع المظاع (!) بمدينة السلام. ثم امر محمد بن زيد  
العلوى بطبرستان بعد ان تمسكن من الفلاع و الحصون... و الخطبة انقطعت  
عنهم ثمانى (و في بن: ثمانية - كذا) و ثلاثين سنة بمقامه و مقام الحسن بن زيد  
و كان... في المحرم (!) سنة خمسين و مائتين و تولى في ذى الحجة سنة سبعين  
و مائتين و صار مكانه اخوه محمد... بمرجان يوم الجمعة لمان خلون من شعبان  
سنة سبع و ثمانين و مائتين. و من ذلك عمرو بن الليث... اياه، و من ذلك  
فتح آمد و هي بعض مدينة في بلاد العرب و ايقاعه بابن الشيخ و اخذه اياه  
اسيرا، ثم امر و صيف الخادم و خرج اليه بنفسه إلى تخوم ارض الروم حتى  
اوقع به ثم قتله وصلبه. و كان الحسن بن علي رضى الله عنها يتعطل:

س عاد بالسيف لاقى فرصة عجا . . . . .

لا تركبوا السهل ان السهل معسدة لن تناووا المجد حتى تركبوا عنفا =

= ( كذا في الأصول لكن وزن الشعر لا يستقيم بلفظ : تنالوا ، ولعله : تحصلوا ،  
او : تأخذوا ) وقالوا . . . سلاحك و الرضا بالقضاء من افضل اعوانك ، والجد في  
طلب الخير من مالك ، و انشدوا :

فلا تحسبن الرزق بابا سددته ولا انى يوما اليك فقير  
ففى العيش منجاة وفى الأرض مذهب وفى الناس ابدال . . . . .  
و لبعضهم :

اصبر لها فالحر صبار او امسكها ان منك العار ( كذا غير موزون )  
دائرة دارت على عاقل . . . . . والدهر دوار  
و لبعضهم :

نبت بك الدار فسر آمنة فلفتى حيث انتهى دار

و لبعضهم :

تبدل بدار غير دارك موطننا اذا صعبت فيها لديك المطالب  
فلا الكره للدنيا وللناس قاسم وفى غيرها للطالين مكاسب - انتهى  
( زيد فى بن : قبل « للناس » لا ، ولا يستقيم به الوزن )

انظر ايضا [ ٣٦ : ب ] ذكر ارجوزة السراج عبد اللطيف التكريتى خزىل  
نصر الإسكندرية المحروس فى الأئمة الأربعة ، وقد وردت مقتطعات اخرى  
من ديوان هذا الشاعر فيما بعد منها ٤٣ : ب فى الهوى العذرى و ١١١ : ب  
الى ١١٢ الف ارجوزة فيما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه  
« تفكروا فى مخلوقات الله ولا تفكروا فى ذاته » و ١١٢ : الف من قصيدة مدح  
بها النبي يذكر فيها وقعة بغداد فى زمان المستعصم بالله ، وفى جزء الإمام المخطوط  
بدار الكتب فى القاهرة ١٧٥ : الف خمسة ابيات من هذه القصيدة ايضا . وقد  
ذكر بروكلمان (GAL) فى المجلد الثانى من الملحق ص ٨٩٧ رقم ٤ هذا الشاعر  
بين المؤلفين الذين لا يعرف تاريخهم ولا يمكن تحديد بلادهم ، وأشار الى ان  
لعبد اللطيف التكريتى ديوانا به قصيدة مدح فيها النبي صلى الله عليه وسلم =

وسياتى ذكر فتح حميد بن يعقوب لجزيرة قبرس<sup>١</sup> فى دولة الرشيد  
 إن شاء الله تعالى . و كان هارون الرشيد تام الخلقه<sup>٢</sup> طويلا أبيض مسمنا  
 قد وخطه الشيب ، له وفرة إذا حج حلقها ، و كان كامل الأخلاق سمحا  
 شجاعا كثير الحج<sup>٣</sup> و الجهاد ، و حج<sup>٤</sup> فى خلافته ثمانى حجج ، و لما أراد أن  
 يسمع الموطاء على الإمام مالك<sup>٥</sup> بن أنس بالمدينة أراد أن يكون مالك  
 عنده ، فقال مالك : يا أمير المؤمنين ! حدثنى نافع عن ابن عمر عن رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن العلم يؤتى ولا يأتى ، فقال الرشيد :  
 إذا نأتى [ ٣٣ : ب ] منزلك . فقدمت له دابة ليركبها فقال مالك :  
 يا أمير المؤمنين ! حدثنى نافع عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 = وهو محفوظ فى ليدن تحت رقم ٧٠٥ . ولاشك ان المعلومات الواردة  
 فى النويرى تصحح هذا الوضع و تكمله ، اولا فى تحديد بلد المؤلف واصله من  
 تكريت بالعراق ثم نزوله بالإسكندرية مع آخرين من بغداد بعد ان طفر بها  
 هولاكو فى سنة ٥٦٥هـ ، تانيا يتضح مما تقدم انه نظم قصيدته فى مدح الرسول  
 بعد تلك الواقعة الشهيرة التى يشير اليها فى شعره ، و قد قضى بقية حياته بالديار  
 المصرية فى القسم الثانى من القرن السابع للهجرة ار الثالث عشر الميلادى .  
 انظر ايضا ٣٦ : ب إشارة إلى الإمام الشافعى : و قبره بالقرافة من  
 أرض مصر بزار ، و على قبره قبة كبيرة على رأسها صفة شختور من نحاس -  
 راجع ١٢٤ : الف ، ١٢٧ : ب عن « شختور » و هو نوع من السفن .  
 (١) ليس فى بقية الكتاب تفصيل لفتح قبرس فى هذا العصر .  
 (٢) زيد فى بن : جميد .  
 (٣) فى الهامش : الإمام مالك .  
 (٤ - ٤) من بن ، و فى الأصل : يأتى ولا يؤتى .

أنه قال: من خطا خطوة في طلب العلم كتب الله له بها ألف حسنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع، فقال الرشيد: إذا مشى إلى منزلك، فوشى فلما أراد الجلوس وضع له كرسي جلس عليه، فقال مالك: يا أمير المؤمنين! حدثني نافع عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من تواضع لله رفعه الله، فزال الرشيد عن كرسيه وحلس مع الناس<sup>٥</sup> كلهم، فلما فرغ قال: يا شيخ! ما سميت هذا الكتاب؟ قال: ما سميته إلى الآن شيئاً، ولكن أسميه الموطأ لأنك تواطأت لنا يا أمير المؤمنين.

(١) زيد هنا في «بن» [١٩: ب] ما يلي: قال المؤلف رحمه الله تعالى وسأذكر الآن كتب الحديث منها كتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس الأصبحي وكتاب الجامع الصحيح للبخاري وكتاب الصحيح لمسلم بن الحجاج القشيري وكتاب الصحيح لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي وكتاب مسند أحمد ابن حنبل وكتاب مسند أبي عبد الله بن سفيان وكتاب مسند أبي عوانة يعقوب ابن إسحاق وكتاب مسند أبي العباس محمد بن إسحاق... وكتاب مسند أبي يعلى أحمد ابن علي بن المثني الموصلي وكتاب مسند عبد الله بن وهب بن مسلم وكتاب مسلم بن إبراهيم الأزدي وكتاب مسند أنس بن مالك وكتاب مسند الإمام محمد بن إدريس الشافعي وكتاب مسند أهل البيت جمع الإمام أحمد بن حنبل زيادات ابن عبد الله وكتاب الإكليل كتاب الإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم العتيبي وكتاب سنن أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب ابن علي بن بحر النسائي وكتاب السنن للإمام أبي الحسن علي بن عمر بن مهدي النعمان بن دينار الدارقطني وكتاب السنن للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين ابن علي البيهقي، كتاب المتفق للإمام الحافظ أبي [بكر] محمد بن عبد الله بن زكريا الشيباني الجوزي وكتاب شمائل النبي صلى الله عليه وسلم للإمام الحافظ أبي عيسى =

وكان مولد الإمام مالك بن أنس سنة ثلاث و تسعين للهجرة ،  
 وحمل به في بطن أمه ثلاث سنين ، و توفي بالمدينة سنة تسع و سبعين  
 و مائة ، و صلى عليه عبيد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن  
 عبد الله بن عباس و هو يومئذ و آل علي المدينة ، و دفن بالبيع ،  
 ٥ و قبره باب البيع عليه قبة . و قال عند وفاته " لله الامر من قبل  
 و من بعد " .

روى عن مالك رحمه الله من حسن الأدب مع رسول الله صلى الله  
 عليه و سلم أنه كان لا يركب في المدينة بغلة ، ف قيل له في ذلك فقال :  
 لا أطأ راكبا لمكان وطئه النبي صلى الله عليه و سلم ماشيا ، و كان لا يرفع  
 ١٠ صوته في مجلس العلم بمسجد النبي صلى الله عليه و سلم و يقول : حرمة الرسول

= الترمذى و كتاب المعجم الكبير للإمام الحافظ ابى القاسم سليمان بن احمد بن  
 ايوب بن مطير الطبراني و كتاب معالم السنن للإمام ابى سليمان احمد بن محمد الخطابي  
 و كتاب شرح السنة للإمام الحسن بن مسعود البغوى و كتاب الجمع بين الصحيحين  
 للبغوى ايضا و كتاب الرقائق لعبد الله بن مبارك و كتاب الزغيب لحميد بن  
 زنجويه و كتاب الرغائب لأحمد بن سيار القرشى و كتاب الزهد لهناد بن  
 السرى و كتاب غريب الحديث لأبى عبد الله بن مسلم بن قتيبة و كتاب غريب  
 الحديث لأبى سليمان احمد بن محمد بن ابراهيم الخطابي و كتاب ابى محمد عبد الله بن  
 جعفر بن حيان المعروف بابن الشيخ و كتاب مسند ابى القاسم البغوى و كتاب  
 فضائل مكة لأبى سعيد الشعبي - انتهى .

(١) زيدى بن : عود .

(٢) زيدى بن : على بن .

حياً وميتاً سواء ، وقد قال الله تعالى ” يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا  
 أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ “ .  
 وسأل رجل مالكا<sup>٢</sup> عن اللعب بالشرطنج فقال مالك : أمن الحق هي ؟  
 قال : لا ، قال : ” فماذا بعد الحق إلا الضلل “ . وقال مالك : طعام المؤمنين  
 في اليوم مرتين<sup>٣</sup> و تلا قول الله عز وجل ” وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً  
 وَعَشِيًّا “ و عوض الله المؤمنين في الصيام السحور بدلا من الغداء ليقوموا  
 به على عبادة ربهم ، و من أراد صحة جسمه فليقلل من الطعام و الشراب  
 و الوطى فان الإقلال منها ينشط الهبوب من الممام و تدوم معه سلامة  
 الأجسام ، و لله در القائل حيث يقول :

١٠ قلل لنفسك ما أكلت و ما شربت و ما وطئت  
 و أنا الضمين بأن تعا في ما حيت و ما بقيت

[ ٣٤ : الف ] : أخذ مالك رحمه الله عن تسعمائة شيخ منهم ثلاثمائة  
 من التابعين و ستمائة من تابعيهم ، و هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن  
 مالكا<sup>٤</sup> بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان<sup>٥</sup> - بالغين المعجمة - الياء

(١) قرآن كريم ٤٩ : ٢٠ .

(٢) في بر و بن : مالك .

(٣) كذا .

(٤) قرآن كريم ١٩ : ٦٢ .

(٥-٥) في بر . أبي عمرو بن .

(٦) وفي متن تهذيب التهذيب . ١٠ : ٥ ، عثمان ، و بهامشه : غيمان .

المتناة من تحتها - ابن خثيل<sup>١</sup> بالخاء المعجمة المضمومة وفتح الثاء المثناة - ابن عمرو بن الحارث ، و هو ذو أصبح الأصبحي المدني إمام دار الهجرة و أحد أئمة المذاهب المتبوعة ، و هو من تابعي<sup>٢</sup> التابعين ، و قال أبو مصعب : مالك بن أنس من العرب صليبه و خلفه من قريش في بني تميم بن مرة .  
 ٥ قال أبو نعيم عبد الملك بن محمد صاحب الربيع بن سليمان : و روى حديث ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه و سلم : لا تسبوا قريشا فإن عالمها يملأ الأرض علما ، ثم قال : . في هذا الحديث علامة بينة إذا تأمله الناظر المميز علم أن المراد به رجل من علماء هذه الأمة من قريش يظهر عليه ، و تلك صفة لا تصلح إلا للشافعي ، فانه عالم من قريش قد بين العلم ١٠ و مهد الطريق و شرح الأصول و بين الفروع . صنف المصنفات التي سارت بها الركبان و انتشرت في سائر البلدان .

قال أبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر الترمذي : تفقّهت لأبي حنيفة و رأيت النبي صلى الله عليه و سلم في منامي و أنا في مسجد النبي صلى الله عليه و سلم عام حججت فقلت : يا رسول الله ! قد تفقّهت بقول أبي حنيفة و آخذ بقوله ؟ قال : لا . قلت : فأخذ بقول مالك بن أنس ؟ قال : خذ منه ما وافق ١٥

(١) في « بن » [ ٢٠ : الف ] : ابن خثك و الكلمة مشتبهة في الأصل ، و في تهذيب التهذيب : ابن حثيل ، و في تاج العروس ٣٠٠ / ٧ : ( و ) خثيل ( كزبير حد للإمام مالك ) بن أنس الفقيه قاله ابن سعد ( أراهو بالميم ) و الباقي سواء قاله الخافظ في التبصير - اه .

(٢) من بن ، و في الأصل : تابع .

(٣) زيد في بن : انا .

ستى ، قلت : فأخذ بقول الشافعى ؟ قال : ما هو له بقول إلا أنه أخذ بستى ورد على من خالفها .

قال محي الدين النووى : سمع مالك نافعاً مولى ابن عمر و خلائق آخر<sup>١</sup> من التابعين<sup>٢</sup> و روى عنه يحيى الأنصارى و الزهرى و هما من شيوخه<sup>٣</sup> ثم روى عنه ابن جريج و يزيد بن عبد الله بن الهادى و الأوزاعى<sup>٥</sup> و الثورى و ابن عينة و شعبة<sup>٤</sup> و الليث بن سعد و ابن المبارك و محمد بن إدريس الشافعى و غيرهم ، و أجمعت طوائف العلماء على إمامته و جلالته و عظم سيادته و تبجيله و توقيره و الإذعان له فى الحفظ و الثبت<sup>٢</sup> و تعظيمه لحديث رسول الله صلى الله عليه و سلم .

و كان هارون الرشيد يعظم النبي صلى الله عليه و سلم تعظيماً كثيراً<sup>١٠</sup> و يعظم الإمام مالك بن أنس ، و إذا سمع من مالك أو غيره حديث رسول [ ٣٤ : ب ] الله صلى الله عليه و سلم يتخضع خضوعاً زائداً . و حضر مائدة الرشيد يوماً بعض قواده فأخذ من الطعام يده<sup>٤</sup> و قال : ليت شعرى يا أمير المؤمنين ما كان ابن عمك محمد يجب من هذا<sup>٥</sup> ! فنضب الرشيد و قال : ابن عمى تقول و لا تقول : رسول الله صلى الله عليه و سلم !<sup>١٥</sup>

(١) من « بن » [ ٢٠ : الف ] ، و فى « بر » : اخذ - كذا .

(٢) فى « بن » [ ٢٠ : ب ] : شيبة .

(٣) فى « بن » : الثبت .

(٤ - ٤) فى بن : المائدة يدا .

(٥) زيد فى بن : الطعام .

يا غلام! السيف والنطع! فما ردت يده إلى طعامه حتى ضربت عنقه  
ورفع من بين يديه قتيلا .

و مدح أبو نواس الرشيد بقصيدة أولها :

لا أذود الطير عن شجره قد بلوت المر من ثمره

، - إلى أن قال فيها :

كيف لا يرقى إلى شرف من رسول الله من نفره

فلما سمع الرشيد هذا البيت قال له : وجب سفك دمك ! تقول عن<sup>١</sup>

رسول الله : من نفره ، جعلته من تقرى و أنا لا أساوى تراب نعله ! فشفع<sup>٢</sup>

الحاضرون فيه ، فأمر بسجنه وقال : كان ينبغي له<sup>٣</sup> أن يجعلى من نفره

١ لا هو من تقرى ؛ فلم يزل أبو نواس مسجوناً إلى أن ولي الأمين الخلافة

فأخرجه من السجن<sup>٤</sup> .

ولما رحل الإمام الشافعي<sup>٥</sup> من مكة إلى العراق دخل على الرشيد

(١) من بن ، وفي الأصل : من .

(٢) وقع في الأصل و بن : فشفعت - كذا .

(٣) في بن : لك .

(٤) زيد في بن ما يلي : وقد انكر الرشيد أيضاً على أبي نواس :

فان يك باق سحر فرعون فيكم فان عصا موسى بكف خصيب

فقال نه : يا ابن اللخناء ! أنت المستهزئ بعصا موسى عليه السلام ! و أمر بإحراجه

من عسكره من ليلته . و قال على بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه : ما قطع طهرى

في الإسلام الا رحلان . عالم فاجر ومبتدع ناسك ، فالعالم الفاجر يزهد الناس في علمه

لما يرون من فخوره ، والمبتدع الناسك يرغب الناس الى بدعته . نسكه .

(٥) في الهامش : الإمام الشافعي .

فعظمه الرشيد و أجلسه مكانه ، و اسم الشافعي محمد بن إدريس بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم جد سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم ، و أمه فاطمة بنت عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن الشهيد السبط ابن فاطمة الزهراء ابنة رسول الله صلى الله عليه و سلم ابن عبد الله ، و عبد الله و أبو طالب انا عبد المطلب بن هاشم ؛ فالإمام الشافعي شريف الأبوين ٥ و مولده بغزة ، تم حملته أمه طفلا رضيعا إلى عسقلان ، ثم حملته إلى بلاد آبائه مكة المشرفة فربي بها و نشأ ، و كان أسمر اللون ، أسود الشعر فاحم ، ألقى الألف ، سهل الخدين ، ربة من الرجال ، خفيف العارضين ، خفيف اللحم ، كأنه غمس في المسك و العنبر و هما يفوحان منه ، و كان صوته جهوريا ذا زحل ، و كان لا يخلق رأسه ، و كان أول رجل حفظ ١٠ الموطأ و عرضه على الإمام مالك بن أنس ، فمدحه حينئذ الإمام مالك إمام دار الهجرة فقال : إن يك أحداً يفلح فهذا الغلام ! و كان يقرئ الناس العلم بمكة و هو ابن ثلاث عشرة سنة بالمسجد الحرام ، ثم لزم مسلم بن خالد الفقيه ققرأ عليه الفقه و أذن له في الفتوى . و قال : افت أبا عبد الله فقد آن لك أن تفتي ! و كان عمره إذ ذاك خمس عشرة سنة ١٥

(١) من بن ، و في الأصل : ابني - كذا .

(٢) في بن : اسهل .

(٣) من بن ، و في الأصل : احدا - كذا .

(٤-٤) في الأصل و بن : خمسة عشر - كذا .

(٥) زيد هنا على النص في « بن » [ ٢١ : الف ] ما يلي : قال الشافعي رحمه الله تعالى

كنت صبيا فرأيت في النوم رجلا داهية يؤم الناس يعلمهم فدنوت منه =

ثم توجه إلى اليمن فرأى بها رجلين ملتصقين لهما رأسين [٣٥: الف]  
مفترقين، فكلم كل واحد منهما فجواباه عن كلامه، فلما كان بعد مدة طويلة  
رآهما وأحدهما يابس كالقد والآخر طرى البدن فقال له: ما بال صاحبك؟  
قال: مات وهو معلق معي.

٥ وروى عن قاسم بن أصبغ عن أبيه أنه رأى بالعراق خنثى ولد له  
من صلبه وبطنه، قال أبو عبد الله بن قاسم: ورأيت لمالك في بعض  
التعاليق أن مثل هذين لا يتوارثان لأنها لم يجتمعا في بطن واحد فليسا  
بأخوين<sup>١</sup> لأب ولا أم - انتهى.

١٠ ومن شيوخ الشافعي في العلم بمكة سفيان بن عيينة و عبد الرحمن بن أبي  
مليكه و مسلم بن خالد و الفضيل بن عياض، و من أهل المدينة مالك  
ابن أنس و إبراهيم بن سعد، و من أهل اليمن هشام بن يوسف و مطرف  
ابن مازن.

و أما تلامذة الشافعي فمنهم الإمام أحمد بن حنبل المروزي

== فقلت: علمي، فأخرج ميزانا من كه فقال: هذا لك. فقص الشافعي رؤياه على  
معبّر فقال: انك تبلغ و تصير اماما في العلم و تكون على السبيل و السنة لأن  
امام المسجد الحرام فوق الأئمة كلهم و فضل الأئمة و كذلك تكون إمام الأئمة،  
و أما اليزان فانك تعلم حقيقة الشيء في نفسك؛ فكان كما قال. و قيل: لما توجه  
الإمام الشافعي إلى اليمن رأى رجلين - الخ.

(١-١) كذا، و الظاهر: رأسان مفترقان.

(٢) في الهامش: مسانة.

(٣) من بن، و في الأصل: بالأخوين.

(٤) في الهامش: الإمام أحمد.

الأصل، خرجت أمه من مرو وهي حامل به فولدته ببغداد في ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة، وتوفى يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائتين ببغداد، ودفن بمقبرة باب حرب، وقبره مشهور يزار، حضر جنازته من الرجال ثمانمائة ألف، ومن النساء ستون ألفاً<sup>٢</sup>، وأسلم يوم مات عشرون ألفاً من اليهود والنصارى والمجوس، وكان رجل في جنازته يقول:

وأظلمت الدنيا لفقد محمد وأظلمت الدنيا لفقد ابن حنبل

ورأى علي بن بشر الحافى في النوم بعد وفاته وفي كفه شيء يتحرك فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وأكرمني، قال: فماذا الذي في كمالك يتحرك؟

قال: قدم علينا البارحة روح أحمد بن حنبل فنثر عليه الدر والياقوت<sup>١٠</sup> فهذا ما التقطت. وكان أحمد بن حنبل من أصحاب الإمام الشافعي وخواصه. قال الشافعي: خرجت من بغداد وما خلفت بها أتقى ولا أقره من ابن حنبل، وكان أحمد بن حنبل إمام المحدثين، صنف كتابه المسند وجمع فيه من الحديث ما لم يتفق لغيره، قيل: إنه كان يحفظ ألف ألف حديث، ودعى إلى القول بخلق القرآن فلم يجب، وضرب وحبس وهو<sup>١٥</sup> مصر على الامتناع.

قال أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني في رسالته: وإن القرآن

(١) زيد من بن، وقد سقط من الأصل.

(٢) في بن: باب.

(٣) من بن، وفي الأصل: الف - كذا.

كلام الله ليس بمخلوق فييد ولا صفة لمخلوق فينقد . قال الجزولي :  
والدليل على أن القرآن ليس بمخلوق من النقل و العقل ، أما العقل  
فما ذكره أبو محمد ، ومن النقل الكتاب و السنة و إجماع الأمة ، أما  
الكتاب فقوله تعالى [ ٣٥ : ب ] : " قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ " <sup>١</sup>  
معناه غير مخلوق . و من السنة قوله صلى الله عليه و سلم : القرآن  
كلام الله ليس بمخلوق ، و قول علي رضي الله عنه : ما حكمت مخلوقا  
و إنما حكمت قرآنا ، و معنى حكمت أى حفظت ؛ و قول ابن عباس حين  
سمع رجلا قال : يا رب القرآن ! فنهاه عن ذلك و قال له : القرآن  
ليس بمربوب و إنما المخلوق هو المربوب ، فهذا دليل على أن القرآن ليس  
بمخلوق . و من قال : القرآن مخلوق ، اختلف فيه . قيل : يقتل ، و قيل :  
لا يقتل و إنما يؤدب و ينكل ، فاذا قلنا : يقتل ، هل بعد الاستتابة أم لا  
قولان ، فاذا قلنا أيضا : يقتل أو يضرب ، هل يستفصل قولان ، و معنى  
الاستفصال أن يقال له : ما أردت بقولك : مخلوق ؟ هل أردت العبارات  
أو غيرها ؟ و هذه المسألة امتحن بها كثير<sup>٢</sup> من الفقهاء ، و ذلك أن المعتزلة  
<sup>١</sup> حين تولوا و استولوا على الأرض جمعوا الفقهاء و أرادوا أن يحملوهم على  
أن يقولوا : القرآن مخلوق ، فأبوا عن ذلك و عنفوا ، أما ما كان من بعضهم  
فولوا هارين ، فأما البخارى فهرب لأنه روى أنه فرّ عند ذلك و هو

(١) قرآن كريم ٣٩ : ٢٨ .

(٢) من بن ، و فى الأصل : و الا - كذا .

(٣) فى الأصل : كثيرا - كذا ، و فى بن مطبوس .

يقول: اللهم! إذا أردت بالناس فتنة فاقبضني إليك غير مفتون، فرئى بالصحراء بعد ذلك بثلاثة أيام وقد مات. و البخارى<sup>١</sup> هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن الأحنف الجعفي بالولاء، الحافظ الإمام فى علم الحديث، صاحب الجامع الصحيح، رحل فى طلب الحديث إلى أكثر محدثى الأمصار، و كتب بخراسان و الجبال و العراق و الحجاز و الشام و مصر و بغداد، و قال رحمه الله: صنفت الجامع لست عشرة سنة، خرّجته من ستمائة ألف حديث و جعلته حجة فيما بينى و بين الله عز و جل، و كانت ولادة البخارى لاثنتى عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع و تسعين و مائة، و توفى ليلة السبت عند صلاة العشاء و كانت ليلة عيد الفطر سنة ست و خمسين و مائتين، و دفن بعد صلاة الظهر، ١٠ و كان شيخا نحيف الجسم لا بالطويل ولا بالقصير، و هو منسوب إلى بخارى و هى من أعظم مدن ما وراء النهر، بينها و بين سمرقند ثمانية أيام - هذا ما ذكره القاضى عياض فى كتاب المدارك، و القول الأول للجزولى بأنه مات بالرية - انتهى.

و أما ما كان من عيسى بن دينار فانه لما امتنع من القول بخلق ١٥ القرآن سبعين عشرين سنة. و أما ما كان من بعضهم فأجبروا [٣٦: الف] كرها على أن قالوا: القرآن مخلوق - و أرادوا به العبارات.

(١) فى الهامش: البخارى.

(٢) هكذا فى « بن » [٢١: ب] و قد ضرب عليه فى الأصل، و فى تهذيب التهذيب ٤٧/٩: بن بردزبه و قيل بزرويه و قيل ابن الأحنف.

و كان الزمخشري من مشايخ المعتزلة و جاور بمكة سنين كثيرة ، و كان يقف على باب الكعبة و يمسك حلقة بابها بيده و يقول : أنا الشويخ المعتزلي ! القرآن مخلوق ، هل من مُناظر - انتهى .

و كان الإمام أحمد بن حنبل حسن الوجه ربه ، يخطب بالحناة خضابا ليس بالقاني ، في لحيته شعرات سود ، أخذ عنه الحديث جماعة من الأماثل كالبخاري و مسلم . و توفي مسلم بن الحجاج المحدث بنيسابور سنة إحدى وستين و مائتين ، و كان من تلامذة الشافعي . و من تلامذة الشافعي أيضا من المصريين أبو يعقوب يوسف البويطي ، اختص بالشافعي في حياته و قام مقامه في التدريس و الفتوى بعد وفاته . و كان أبو جعفر هارون الواثق بالله بن المعتصم بالله يذهب مذاهب المأمون بن الرشيد ، و شغل نفسه بمحنة الناس في الدين فأفسد قلوبهم . و كان أبو يعقوب البويطي ممن امتنع من أن يقول بخلق القرآن ، و كان قد حمل في خلافة الواثق من مصر إلى بغداد في أيام المحنة و أريد على القول بخلق القرآن فامتنع من الإجابة لذلك ، و لم يزل في القيد و السجن حتى مات - رحمه الله !

١٥ و كان رجلا صالحا متنسكا عابدا ، و كان إذا سمع المؤذن يوم الجمعة وهو في السجن يغتسل و يلبس ثيابه و يمشي حتى يبلغ باب السجن

(١) في الهامش : الزمخشري .

(٢) في بن : مائة .

(٣) في بن : مذهب .

(٤) في بن : اشغل .

فيقول له السجان: أين تريد؟ فيقول: أجيّب داعي الله، فيقول له:  
ارجع - عافاك الله! فيقول البويطي: اللهم! إني قد أجبّت داعيك فمنعوني.  
قال الربيع بن سليمان: كنت عند الشافعي أنا و أبو يعقوب البويطي فقال  
للبيطي: أنت تموت في الحديد! فكان كذلك. وكان أبو مسهر عبد الأعلى  
الغساني الدمشقي عالم الشام و فقيهم و عابدهم، أخرج عنه البخاري،  
و روى عن الإمام مالك بن أنس و غيره من المسائل و الحديث الكثير،  
و من محتته رحمه الله قال موسى بن الحسن: سمعت أبا مسهر و قد وجه  
فيه أمير المؤمنين المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم من بغداد إلى دمشق فأحضر  
له إسحاق جماعة ليقر بكتاب المحنة الذي كتبه المأمون في خلق القرآن  
و نفي الرؤية و عذاب القبر و أن الميزان ليس له كفتان<sup>١٠</sup> و أن الجنة  
و النار ليستا بمخلوقتين، فلما قرأ الكتاب على أبي مسهر قال: أنا منكر  
لجميع ما في كتابكم [٣٦: ب] هذا، أ بعد مجالسة ابن أنس و سفيان  
الثوري و مشايخ العلم أكفر بالله تعالى بعد إحدى و تسعين سنة؟ لا أقول:  
القرآن مخلوق، و لا أنكر عذاب القبر و لا الموازين بأن ليس لها  
كفتان، و لا أن الله لا يرى في القيامة بل يرى فيها كما جاء في الحديث،  
و لا أن الله تعالى على عرشه و علمه قد أحاط بكل شيء؛ يدل بذلك  
القرآن و جاءت به الأخبار التي نقلها أهل العلم، فان كانوا متهمين بما  
نقلوا فهم متهمون في القرآن لأنهم الذين نقلوه و نقلوا الكثير عن النبي

(١) وقع في بروين: كفتين - كذا.

(٢) من بن، و في الأصل: الذي.

صلى الله عليه وسلم؛ فُجِرَ برجله لما قال ذلك و طرح في أضيق المحابس،  
فما أقام إلا يسيرا حتى توفى، فحضر جنازته من الخلق ما لا يحصيه  
إلا الله تعالى. ومن أصحاب الشافعي أبو إسحاق المزني - وقيل: أبو إبراهيم -  
و ستأني ترجمته عند ترجمة القاضي بكار إن شاء الله تعالى. و كان مولد  
الإمام الشافعي سنة خمسين و مائة، و كانت وفاته ليلة الجمعة، و صلى  
عليه يوم الجمعة، فلما فرغ من دفنه رثى هلال شعبان سنة أربع و مائتين،  
و لما مرض الشافعي قال له بعض زواره: كيف أصبحت يا إمام؟ قال:  
أصبحت عن الدنيا راحلا و خلإواني مفارقا و لسوء عملي قارفاً لكنى

(١) في هامش الأصل: المزني. و في بن [٢٢: الف و ب] زيد ما يلي: سؤال، في  
الصدقة على العالم نصيب أم لا؟ الجواب: قال مالك رحمه الله تعالى حدثني...  
قال حدثني الزهري عن كثير بن مرة عن حذيفة بن اليمان قال قالت عائشة  
أم المؤمنين: يا رسول الله - صلى الله عليه وسلم! لو كان العالم بالمغرب و الصدقة  
بالمشرق فهل يحمل للعالم أم لا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عائشة!  
و الذي بعثني بالحق بشيرا و نذيرا! لو كانت الصدقة بالمشرق و حامل القرآن  
بالمغرب لمشت إليه. فقالت: يا رسول الله! أ يحملها للعالم الفقير أم للعالم الغني؟  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: و الذي بعثني بالحق بشيرا و نذيرا! حملتها للعالم  
الغني و لو كانت معه مال قارون و لو كان يكتب بقلم من ذهب، أما علمت  
يا أم المؤمنين لو لا العلماء من بعدى لأشركت أمتي؟ أما علمت يا عائشة أن  
مداد العلماء خير من دم الشهداء؟ أما علمت يا عائشة أن علما واحدا أشد على  
إبليس من ألف عابد؟ أما علمت يا عائشة أن خير الدنيا و الآخرة للعالم و شر  
الدنيا و الآخرة للجاهل؟ أما علمت يا عائشة أن الدنيا لو كانت كلها قيعا و دما  
لكان للعالم فيها نصيب - انتهى. (٢) في بن [٢٢: ب]: نادما.

على رب كريم قادما' فليت شعري أروحي تصير إلى الجنة فأهنيها أم إلى النار فأعزّيها - ثم لبث بقية نهاره ومات ، وقبره بالقرافة من أرض مصر يزار ، وعلى قبره قبة كبيرة ، على رأسها صنعة شختور من نحاس ، فقال بعضهم فيه :

أتينا لقبر الشافعي نزوره وجدنا به فلكا وما عنده بحر  
قلنا تعالى الله هدى إشارة تدل بأن البحر قد ضمه القبر

روى عبد الله بن الحكم قال : رأيت الشافعي بعد وفاته في النوم فقلت له : ما فعل الله بك ؟ قال : رحمني وغفر لي وزقت في الجنة كما تزف العروس ، فقلت : بما بلغت هذه الحالة ؟ فقال لي قائل يقول لك : بما في كتاب الرسالة من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقلت : وكيف ذلك ؟ قال : وصلى الله على محمد عدد ما ذكره الذاكرون وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون ؛ قال : فلما أصبحت نظرت إلى الرسالة فرأيت الأمر كما رأيت .

وسأذكر ما قيل في الأربعة الأئمة من أرجوزة للسراج  
عبد اللطيف التكريتي نزيل ثغر الإسكندرية المحروس إن شاء الله تعالى : ١٥  
[٣٧: الف] فمالك و الشافعي إماما عدل ومن مثلهما يساما  
وأحمد يحي منار السنة وقامع البدعة عند المحنة  
والرابع الخبر أبو حنيفة ذو الفضل والمرتبة الشريفة

(١) كذا ، وفي بن : على باب كريم قائم .

(٢) في هامش الصفحة : أرجوزة في الأئمة الأربعة .

أربعة أئمة الإسلام شادوا مباني الدين في الإسلام  
 والله ما مالوا ولا استحالوا عن منهج الحق ولا استمالوا  
 وقال كل منهم إذ عابوا زخارف القول ولم يرتابوا  
 علم الكلام والمراء والجدل ليس من الدين ولا علم عمل  
 والشافعي فعلى الخصوص يوحهم ضربا على النصوص  
 وهو يرى الإشهار في الإشهاد لينتهي حاضرها والبادي  
 فالتزم الرشد وفه بالصدق فانه منهج أهل الحق  
 واسلك هداك الله مناهج السلف تنال في الدارين غاية الشرف  
 وجانب الخوض وعلم الجدل والحق بأهل الحق فالحق جلي  
 ولا تقل بالدور والتسلسل واهجر أبا التعطيل والمعتزل  
 عض على السنة بالنواجذ فالحق وضاح لكل آخذ

وأما الإمام أبو حنيفة فهو النعمان بن ثابت بن زوطى بن ماه، مولى  
 تيم الله بن ثعلبة، ولد سنة ثمانين، ومات ببغداد سنة خمسين ومائة  
 وهو ابن سبعين سنة. قال الشافعي: قيل لمالك: هل رأيت أبا حنيفة؟ قال:  
 رأيت رجلا لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهابا لقام بحجته - انتهى.  
 نعود لذكر فتح عمورية<sup>١</sup> كما تقدم ذكر فتح القسطنطينية - وذلك  
 أن أمير المؤمنين المعتصم<sup>٢</sup> بن الرشيد فتحها في خلافته، وهي من أعظم

(١) زيد في الأنساب للسمعاني ٦/٦٤: بن النعمان بن المرزبان.

(٢) انظر ١٣٦: الف، ٢٣١: الف في فتح عمورية.

(٣) المعتصم بالله أبو إسحاق محمد وحكمه ٢١٨ - ٢٢٧ هـ / ٨٣٣ - ٨٤٢ م.

مدائن الروم . فقتل و سبي و خرب ما قدر على خرابه فيها و فيما مر من قراها ، و كان فتحه لها سنة ثلاث و عشرين و مائتين .

و سيأتي ذكر ترجمته إن شاء الله تعالى . و قد تشعب بنا القول و تسلسل إلى أن أخرجنا عما كنا فيه من ملحمة الباجري ، فلنرجع إليها ، قال رحمه الله :

يا وقتين و بالأجفار نأثها<sup>١</sup> من بعد وقعة ترك القوم في الزمن

قال المؤلف غفر الله له و للسلبين أجمعين : و قفت على نسخة كتاب

القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني وزير السلطان صلاح الدين يوسف [٣٧ : ب]

ابن أيوب فرأيت فيه ذكر فيه وقعة الصقلي<sup>٢</sup> بالإسكندرية ، و جرت أيضا

وقعة القبرسي بعدها بسنين كثيرة ، فكانت وقعة الصقلي في آخر سنة تسع

وستين<sup>٣</sup> و خمسمائة و وقعة القبرسي في أول سنة سبع و ستين و سبعمائة ،

فكان ما بين الوقعتين مائة سنة و سبع<sup>٤</sup> و تسعون سنة .

و سأذكر ما ذكره القاضي الفاضل في كتابه في صفة الوقعة المذكورة ،

(١) في بن : نأثها .

(٢) في الهامش : وقعة الصقلي بالإسكندرية - راجع في هذا الموضوع موسوعة

مؤرخي الحروب الصليبية :

Recueil des Historiens des Croisades : Historiens Orientaux

ابن الأثير في المجلد الأول ص ٦١١ و ما يتلوها ، و ابوشامة في المجلد الرابع

ص ١٦٤ و ما يتلوها . و يسجل الأخير ( ص ١٧٧ ) تحت سنة ٥٦٩ هـ أن

القاضي الفاضل ذكر هذه الوقعة في رسالة بعث بها إلى الأتابكة في سوريا .

(٣) في بن : خمسين (٤) في الأصل : سبعة ، و في بن مطموس .

وأذكر أيضا وقعة الفرنسيس بدمياط ، ثم أذكر بعدها وقعة القبرسى بالإسكندرية .

قوله - أعنى الباجريقي : يا وقعتين ، يعنى بهما و الله أعلم وقعة الصقلي و وقعة القبرسى . و قوله : و بالأجفار ثالثها ، لعلاها الوقعة التى كانت عند الباب الأخضر<sup>١</sup> بميناء الإسكندرية الغربية مع سنجوان دمرف بن ريوك<sup>٢</sup> القبرسى المتقدم ذكره فى صدر هذا الكتاب ، و سيأتى ذكرها مفصلة فى آخره إن شاء الله تعالى . و الأجفار لعلاها أجفار القصارين<sup>٣</sup> المجاورين

(١) الباب الأخضر، انظر ٩٥ : الف ، ٩٧ : الف ، ١٠٢ : الف ، ١٠٣ : الف ، ١٠٩ : ب ، ١٨٦ : ب ، ١٨٧ : الف و ب ، خبر عن حريق و تشديد و تجديد هذا الباب قريبا من الميناء الغربية .

(٢) راجع عليه ٢ : ب و الحواشى فى ضبط الأسماء .

(٣) فيما يتعلق بتحديد مكان « اجفار القصارين » ذكر ابن رُشيد الأندلسى عند ما زار الإسكندرية سنة ٦٨٤ هـ انه توجد مقابر دفن بها عدد من مشاهير شيوخ الإسلام ، و ان قبر عبد الرحمن بن هرمز الأعرج يقع على مقربة من الأجفار الغربية . و بما أنه يذكر أيضا أن ذاك القبر واقع بين قبر الحافظ أبوطاهر السلفى داخل سور المدينة بجانب الباب الأخضر و قبر أبى بكر الطرطوشى فى قبور و علة جنوب الباب المذكور ، فيستنتج من ذلك أن اجفار القصارين كانت و لا بد واقعة فى هذا الموضع ( راجع ابن رُشيد : ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة فى الرحلة الى مكة و طيبة - مخطوط الاسكوريال رقم ١٧٣٩ ورقة ١٩ : ب ) - ( انظر أيضا عن قبور و علة : انبين كومب Et . Combe فى مجلة الجمعية الملكية لآثار الإسكندرية ، عدد رقم ٣٤ ص ٩٥ و ما يتلوها ) . و يحتمل أيضا ان تكون اجفار القصارين واقعة بقرب الميناء الشرقية اذا راجعنا فى ذلك كتاب الف ليلة و ليلة ( طبعة برسلاوج . ١ ص ٣٥٤ - ٣٥٥ تحت ليلة =

للباب الأخضر - والله أعلم .

أما قول القاضي الفاضل عبد الرحيم في كتابه فهو هذا : الكتاب مرسل القاضي الفاضل عن ' السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف إلى السلطان إسماعيل بن محمود بن زنكي يذكر وصول الأسطول المخذول و عوده منهزما مكسورا وذلك في أواخر سنة تسع وستين ٥ و خمسمائة وهي وفاة نور الدين محمود و أيام ابنه الصالح بدمشق فقال فيه : أجد ما أشيع ذكره بين البوادي والحواضر ، وتحدث فيه بنعم الله التي بالحديث بها كل ذاكر شاكر، ما كان السرور به لأهل الإسلام جامعا ، والنصر فيه لألويته رافعا ، لاسيما ظفرا استفتحت به أيامه ، و خفقت به أعلامه ، وذلك أنه لما كان يوم الأحد السادس والعشرين ١٠ من ذي الحجة سنة تسع وستين و خمسمائة ، وصل العدو المخذول الصقلي إلى الإسكندرية في وقت الظهر ، ثم لم يزل متواصلا متكاملا إلى وقت العصر ، وكان ذلك على حين غفلة من المتوكلين بالنظر لا على حين خفاء من الخبر ؛ فان هذا الأسطول توالى به الأخبار ، وعظمت الشناعات عنه في الآفاق والأقطار ، وروى به ابن عبد المؤمن في البلاد ١٥ المغربية ، وهدد به في الجزائر الرومية صاحب القسطنطينية ، فشوه في

( = ١٥٢ ) عند ما قاربت السفينة الميناء « رأوا (أي ركا بها) أعلامها (أي المدينة)

المأدنة المسماة بعامود الصواري فلما وصلوا إلى الميناء نزل نور الدين من وقته وساعته في تلك الحرارة وربطها في حجر من الأحجار بتوع القصارين » .

(١) في الأصل : عز ، وفي بن [ ٢٣ : الف ] : مرسل الفاضل من .

الثغر من وفور<sup>١</sup> عدته وكثرة عدده ، [ ٣٨ : الف ] وعظم الهمة به ، وفرط الاستكثار منه ، ما ملأ البحر ، واشتد به الأمر ، وناوش<sup>٢</sup> من فيه القتال للثغر وبات الفريقان<sup>٣</sup> على القتال ، وحى عليه البحر عن النزول وعن النزال ، وكان عسكر الوالى غائبا عنه ولم يحضر فى ذلك اليوم إلا العدد القليل وأصبحوا فى يوم الاثنين الذى يليه على ما هم عليه من انتشار رجال الثغر من أهله ، وكثرة العدو الذى يجب الاحتراز على<sup>٤</sup> مثله ، فأشارت جماعة من عقلاء الأتراك بأن يرد الناس من المكان البعيد ، ويقفوا من السور بالمكان القريب ، نخلى البر ، وأمكن الأسطول الصقلى الأمر ، واستنزلوا خيولهم من الطرائد وراجلهم من المراكب ، فأما الخيل فعدتها على ما حققته أخبار الأسارى على الاتفراد ، وعلم بالارجاف المتقدم إلى البلاد ، ألف وخمسة فارس ، منها راحة ألف وتركبية خمسة إلا أنها عدد راتعة وأسلحة محلاة وسروج مذهبة ومسامير<sup>٥</sup> مستحسنة وكانت عدة رجالهم فى كل شينى مائة وخمسين راجلا ، فتكون ثلاثين ألف مقاتل عن مائتى شينى وكانت عدة الطرائدستا ١٥ و ثلاثين طريدة تحمل الخيل ، وكانت عدة السفن التى تحمل آلات الحرب والحصار من الأخشاب الكبار<sup>٦</sup> وغيرها ست سفن ، وكانت

(١) فى الأصل : وفود ، وصحته فى « بن » .

(٢) فى بن : تناوش .

(٣) فى الأصل و بن : الفريقين .

(٤) فى بن : عن .

(٥) فى بن : تشاهير - كذا .

(٦) كذا فى الأصل و بن ؛ وفى مسودة المصحح : والكبارى .

المراكب الحمالة برسم الأزواد و الرجال أربعين مركبا، و فيها من الرجال المتفرقة و غلمان الخيالة و صنّاع المراكب و أبراج الزحف و دباباته و المنجنيقة<sup>١</sup> ما يتم خمسين ألف راجل . و لما تكاملوا على البر و خارجين على البحر حملوا على المسلمين حملة لم يكن حاضرها من أصحابنا سوى محمود بن البصار<sup>٢</sup> فاستشهد<sup>٣</sup> في سبيل الله ، و استتمت الحملة على المسلمين إلى أن أوصلتهم إلى السور و شغل أصحاب ابن البصار<sup>٤</sup> به لأن استشهاده كان بسهم جرح ، و حذفت<sup>٥</sup> مراكب الفرنج داخل المينا . كانت به<sup>٦</sup> من مراكبنا مراكب مقاتلة و مراكب مسافرة ، فسبقتهم أصحابنا إليها فحرقوها ، و غلبوهم على أخذها ، و أحرقوا<sup>٧</sup> ما احترق منها ، و فقد من أهل الثغر وقت الحملة مائتا نفر و سبعة<sup>٨</sup> نفر ، و استمر القتال ١٠ و دام الاشتعال إلى وقت العشاء من يوم الاثنين المذكور ، و نزلوا بخيامهم و ضربوها على البر ، و كانت عدنها ثلاثمائة خيمة ، و كثر الاهتمام بآلات الحصار و الدبابات الكبار ، فلما أصبحوا يوم الثلاثاء زحفوا

(١) في الأصل و بن : المنجنيقية .

(٢) في بن : عن .

(٣) في الأصل و بن : البصاروا .

(٤) في بن : فاشتد .

(٥) كذا .

(٦) في بن : معه .

(٧) في بن : واحترقوا .

(٨) في الأصل و بن : سبع - كذا .

و قاتلوا و ضايقوا و تقدّموا و نصبوا ثلاث [ ٣٨ : ب ] دبابات بكباشها  
و ثلاث مجانيق كبار المقادير تضرب بحجارة استصحبوها من صقلية،  
و تعجب الناس من شدة أثرها و عظم حجرها ، و أما الدبابات فأنها تشبه  
الأبراج من جفاء أخشابها و ارتفاعها ، و كثرة مقاتلتها و اتساعها، و زحفوا إلى  
٥ أن قاربت السور ، و لحوا في القتال عامة النهار المذكور ، و وردنا الخمر  
إلى منزلة العساكر إلى الثغرين إسكندرية و دمياط احترازا عليهما و احتياطا  
في أمرهما و خوفا من مخالطة العدو لها ، و كان الأمير بدر الدين بن أيوب  
و فارس الدين تترك أحد الماليك قد سبقا<sup>١</sup> إلى الإسكندرية برجالهما ،  
و انضاف إليهما من كان في أقطاعه بالبحيرة المجاورة للإسكندرية من  
١٠ المغاربة<sup>٢</sup> و غيرهم في يوم الثلاثاء و الأربعاء ، و عاد بعض عسكر تقي الدين  
من برقة يوم الأربعاء و استمر القتال و قدّمت الدبابات و ضربت المنجنيقات  
و زاحمت السور إلى أن صارت منه بمقدار اماج ، فاتفق أصحابنا على أن  
يفتحوا أبوابا قبالتها من السور و يتركوها مغلقة بالقش ، و اجتمع هناك  
من الأتراك و الأكراد و الكنانين و أهل الثغر ، و فتحوا الأبواب على  
١٥ غرة<sup>٣</sup> ، و ركب من هناك من الأمراء الخيل و خرجوا غائرين من الأبواب  
و تكاثر صائح أهل الثغر من كل الجهات ، فأحرقوا الدبابات المنصوبة

(١) في بن : استحضروها .

(٢) من بن ، و في الأصل : سبقا .

(٣) في بروين [ ٢٤ : الف ] . المغاريد . و القراءة الصحيحة هي : المغاربة .

(٤) في بن : شدة .

و صدقوا عندها القتال ، و أنزل الله على المسلمين النصر و على الكفار الخذلان و القهر ، و ما زالت المكافحة بالسيوف و المصالحة و المضاربة من الأيدي المتقاربة إلى وقت العصر من يوم الأربعاء و قد ظهر فشل الإفرنج و رعبهم و قصرت عزائمهم و قهر حربهم و أحرقت آلات قتالهم و استجرهم القتل و الجراح في رجالهم ، و دخل المسلمون الثغر لقضاء هـ فريضة الصلاة و أخذ ما [ به - ' ] يقوم قيام الحياة ، و هم على نية المباكرة و العدو على نية الهرب ، و كنا قد سيرنا أحد المهالك و هو أقوش فركب فرما و جنب فرسين فأوقف الثلاثة طاردا و أخذ الرابع من ضيعة و دخل الثغر بعد العصر بعد أن علم كل من لقيه من الأتراك و غيرهم أنه قد فارقنا على المعديّة<sup>١</sup> و سبق من بين أيدينا بالبشارة، فارتفعت الضجة<sup>١٠</sup> و علت ، و خرجت الخلائق التي كانت للصلاة و العشاء<sup>٢</sup> دخلت ، و ثابت<sup>٣</sup> إليها عزائمها بعد الكلال<sup>٤</sup> ، و تداعت رجالنا و قبائل [ ٣٩ : الف ] الثغر إلى القتال ، و أوقع الله في قلوب المسلمين و صدورهم و أنا<sup>٥</sup> في أواسطهم

(١) « به » ساقط من الأصول .

(٢) « المعديّة » يعني فم أو أشتوم ( اليوناني ستوما στομα ) في بحيرة ادكو

بين أبي قير و رشيد ؛ انظر مجلة الجمعية الجغرافية الملكية المصرية ج ١٦ ( سنة ١٩٢٨ ) ص ١١٤ - ١٥١ ، و مجلة الجمعية الملكية لآثار الإسكندرية

بالعدد رقم ٣٦ ص ١٢٣ - ١٢٥ ( بحثان من قلم اتين كومب ) .

(٣-٣) في الأصل : و دخلت ، و في بن : و خرجت و ثابت .

(٤) في بن : انحلال .

(٥) في الأصل : أنا ، و قد تكون صحته بواو العطف في « بن » [ ٢٤ : الف ] =

و بين ظهورهم ، و صار الجارج من بيته يروم أن يتسرع ليجاهد بين  
أيدينا ، و لنرى أثره الذي كان يرجو أن يصل إلينا ، و قضى الأمر ،  
و نزل النصر ، و أوقفوا الفرنج في الخيام ، و هاجمهم و قد كاد يختلط  
الظلام ، و تسلّم أهل الثغر الخيام بما فيها من الهمم العالية ، و بتجملاتهم  
ه الهائلة ، و فكوا في الرجالة أعظم فتك و أوجاه ، و لم ينبج منهم إلا من  
تعرض دونه أجله فتجاه ، و تسلّم أصحابنا الخيالة فلم يسلم إلا من نزع  
لبسه ، و رمى [ في - ١ ] البحر نفسه ، و تفرقت مراكب العدو لتلتقط من طلبها  
عائما من أصحابها ، و نجا نحوها هاربا من طلابها ، فتفتح أصحابنا البحر على  
بعض المراكب فحسفوها و أتلفوها فتولت بقيّة المراكب هاربة ، و جاءت  
١٠ أحكام الله الغالبة ، و بقي العدو بين قتل و غرق ، و أسر و فرق ، و احتفى  
منهم ثلاثمائة فارس على رأس تلّ ، و أخذت خيلهم . بات أصحابنا يقاتلونهم  
إلى بكرة و تماسكوا إلى أن تضاحى النهار على أن يعاطوا أمانا ، فغلب  
أهل البلد عليهم قتلوا ، و بمن أسر منهم رجل كبير صاحب حال مشهور  
الأمر كان قد عمّر من الشوانى خمسين تينيا ، و أما المأخوذ من اليرك<sup>٢</sup>  
١٥ و المتاع و المصاغ و الآلات فذكر لنا أنه بما لا مثل له ، لا يعرف نظيره ،  
= و الجملة بها : و أنا بين ظهورهم و في اوساطهم .

(١) زيد من بن .

(٢) انظر فيما بعد ١٠١ : ب ، ١٠٣ : الف و فيها إشارة إلى كيان مدينة الإسكندرية .

(٣) كذا في الأصل ، و في « بن » [ ٢٤ : الف ] : البرك ، و جائز أن يكون هذا هو الصواب .

ولا يوجد لفرنج الشام أسره ، وأما الخيل فإنها أكاديش و فحول كلها ،  
 ولم يعد معهم فرس واحد منها إلا من كانت له عدة فاقتصر في النزول  
 على أخذها . و أقلع هذا الأسطول عن الثغر يوم الخميس سلخ ذى الحجة  
 ولا يعلم أين يقصد من البلاد و الأعمال ، على أنه لا بقية فيه لقتال  
 و لاجرب ، وكان عدوا ثقيلا ، وكان خطبه جليلا ، إلا أن أصحابنا ه  
 ذكروا أن مكيدتهم في اللقاء ضعيفة ، و طمعتهم في البلاد قوية . و عند  
 الانتهاء إلى هذا الحد حضر من عقلاء خيالتهم المأسورين ، استخبروا  
 مرتين<sup>١</sup> من يصدق فيما يخبر ، فذكروا أن النفقة كانت في الفارس خمسة أشهر  
 و هم ألف فارس ، منهم سبعمائة ، من ثلاثين دينارا إلى خمسة و عشرين  
 مشاهرة ، أقل من فيهم من له خمسون<sup>٢</sup> مثقالا و فيهم من له مائة مثقال<sup>١٠</sup>  
 من مشاهيرهم مضافا إلى المؤونة الإقطاعية ثلاثمائة رجل ، و إلى التركيبية  
 خمسمائة لكل منهم خمسة [ ٣٩ : ب ] دنانير و مؤوته على ملكهم على  
 أن له فرسا لا يموت ، و منهم من له عشرة دنانير و للقائد و الرأس  
 عشرون<sup>٣</sup> دينارا السفره طاللت أم قصرت مع المؤونة . و لهم نفقات على  
 البلاد و أن العدد يناهز أربعين ألف رجل خارجا عن جرخية<sup>٤</sup> و سرخندية<sup>١٥</sup>  
 عدتهم خمسة آلاف رجل و صناع و لهم نفقات تطرح على البلاد التي<sup>٥</sup>

(١) في الأصل و بن : مرتان - كذا .

(٢) في الأصل و بن : خمسين - كذا .

(٣) في الأصل و بن : عشرين - كذا .

(٤) في بن : سرخية .

(٥) من بن ، وفي الأصل : الذي .

يخرجون منها وعلى الملك مؤوتهم و حقوقاً ، عدد المراكب مائتا شينى  
 و اثنان و ثمانون طريدة و غيرها و أن الخيل ألف و خمسمائة فرس ،  
 و معهم من المجانيق عشرة و من الدبابات عشره و معهم من الحديد  
 و الخشب ما يكفى عشرة أبراج و أن مقدميهم ثلاثة : أحدهم ابن عم  
 ملك صقلية و هو المقدم على جميع عساكره ، و الحمد لله الذى رفع بالنصر  
 للإسلام علما ، و أحلهم مع الصيانة حرما ، و جعل أشهرهم بالأمن حرما ،  
 ” و ما رميت اذ رميت و لكن الله رمى “ أنهى ذلك و رأى أعلى -  
 هذا ما ذكره القاضى الفاضل عبد الرحيم فى وقعة الصقلي و كان مولده  
 سنة ست و عشرين و خمسمائة و وفاته سنة ست و تسعين و خمسمائة .  
 ١٠ و أما وقعة دمياط فان الفرنسيس أتى إليها على ما قيل فى سنة

(١) فى الأصل و بن : يخرجوا .

(٢) من بن ، و فى الأصل : حقق .

(٣) فى الأصل و بن : مائى .

(٤ - ٤) فى الأصل و بن : و اثنين و ثمانين .

(٥) فى الأصل و بن : عشرة .

(٦) زيد فى بن : و كانت خيامهم ثلاثمائة خيمة اخذتها بما فيها .

(٧) من بن ، و فى الأصل : الملك .

(٨) الجملة من « انهى » الى « أعلى » ساقطة من « بن » و هى كذا فى « بر » .

(٩) زيد فى بن : اليسانى .

(١٠) زيد فى بن : بالاسكندرية .

(١١) على هامش الصفحة : وقعة دمياط . و فى « بن » [ ٢٤ : ب ] الجملة : و أما

واقعة دمياط فرنسيس أتى إليها .

ست عشرة و ستائة ، و كان سور دمياط يمشى عليه خمسة من الخيل  
 يعرض حائطه ، فحاصرها الملعون بنصف جيشه ، و النصف الثاني يقاتل  
 من يأتى من مصر ، فلم يقدر عليها إلا بهلاك أهلها بالجوع و الحمى  
 و الرد بسبب طول الحصار حتى قيل : إن الفريج لم يجدوا فيها من أهلها  
 غير ثمانمائة نفس أحياء و الباقي موتى ، ثم إن الفريج زحفت بخيلها ٥  
 و رجلها إلى جهة بلد المنصورة القرية من أشمون الرمان ، فقاتلتهم  
 جيوش مصر قتالا شديدا فصارت عوام المسلمين و الحرافيش يسرون  
 عليهم فى الليل فى معسكرهم معهم خناجرهم يخلسون أسلحتهم و أمتعتهم  
 و يذبحون حتى أنه بلغ كل سيف من سيوفهم الذين اختلسوها منهم بدرهم  
 واحد لكثرة ما أخذوا منها ، فأمر السلطان بحفر بحر المحلة فحفر و دخلت ١٠  
 فيه الحاراريق كمنت لهم فيه ، فصارت الفريج تآتى بالميرة من دمياط  
 قاصدين بها أصحابهم الفريج فيقطع المسلمون عليهم الطريق و يذبحونهم  
 و يأخذون ميرتهم ، و الميرة الطعام<sup>٢</sup> . فجاعت الفريج المقاتلة بسبب قطعها  
 عنهم ، فلما علت الفريج المقاتلة أن الميرة انقطعت عنهم ، و رجالهم  
 فى الليل تذبح [ ٤٠ : الف ] و سلاحهم يسرق ، خندقوا على أنفسهم ١٥  
 ثلاث خنادق لأن المسلمين حثروهم وقت راحتهم فى الليل من تعب  
 القتال بالنهار ثم أن خولة الجسور قالوا للسلطان<sup>٣</sup> : هذا العدو الثقيل

(١) فى الأصل و بن : درهم - كذا . (٢) فى الأصل و بن : متقطع .

(٣) زيد هنا فى « بن » [ ٢٥ الف ] : مثل البقساط و الكعك و ما يؤكل من  
 الأدوية التى جلبوها معهم من بلادهم فجاعت - الخ .

(٤) زيد فى بن : الملك الكامل .

ليس له دفع و كسر و خذلان إلا بالغرق فقال: وكيف ذلك؟ قالوا:  
نكسر عليهم الجسور في الليل يغرقون<sup>١</sup> سريعا و يهلكون<sup>٢</sup> جميعا، فقال<sup>٣</sup>:  
افعلوا<sup>٤</sup>، فلما كان الليل كسروها فسال الماء فينما الفرج رقاد داخل تلك  
الخنادق الثلاثة و قد كلت أبدانهم<sup>٥</sup> من القتال مع قلة الزاد الذي يقتاتون  
به و إذا بماء النيل ساح عليهم فصار الواحد منهم يركب فرسه لينجو  
من الغرق فيقع به فرسه في الخنادق التي احتفروها بأيديهم و المحيطة  
عليهم المملوءة ماء، فكان هلاكهم فيما فعلته أيديهم، فانتقضت المسجون  
عليهم<sup>٦</sup> تقتلهم و تأسرهم، فكثرت من الفرج الصباح و العياط، و ما نجا منهم  
إلا من كان مقبلا بدمياط مع من كان له في أجله فسحة، فسلم من الغرق  
١٠ و قلبه بما شاهد من الغرقى في فرق، فأسر<sup>٧</sup> المسلمون منهم المحتشم  
و الخسيس، حتى سلطانهم الفرنسيس، فلما علم من في دمياط أن طائفتهم  
كسرت، و جيوشهم بماء النيل غرقت و أسرت، طلبوا الصلح بأن  
يسلموا دمياط للمسلمين، يقدوا<sup>٨</sup> بها أصحابهم المأسورين<sup>٩</sup>، فصالحهم السلطان

(١) في بن: فيغرفوا .

(٢) في بن يهلكوا .

(٣) زيد في بن: لهم .

(٤) زيد في بن: ذلك .

(٥) في بن: أيديهم .

(٦) في: حينئذ على الناحين من الغرق .

(٧) في الأصل و بن: فأسرت .

(٨) في بن: يقدوا .

(٩) زيد في بن، و كانت عدتهم سبعين الفا .

عليها فتسلمها<sup>١</sup> المسلمون منهم من غير قتال، ولا حرب ولا نزال، فحينئذ  
 رسم السلطان يهدم سورها فهدم و تردى، و لا صار للفرنج فيها طمع<sup>٢</sup>  
 أبدا، لأنهم لا يؤويهم فيها غير السور، و إذا لم يكن سور لا يحصنهم  
 غير المراكب في البحر المسجور<sup>٣</sup>، فان هجموها لا يجدوا فيها غير الدور  
 و الشوارع و الجرذان و اليرابيع<sup>٤</sup>، و ذلك لان أهلها إذا رأوا افروطة<sup>٥</sup>  
 قادمة إليهم جمعوا أموالهم<sup>٦</sup> و خرجوا منها سريعا<sup>٧</sup> فيسلموا<sup>٨</sup> من معرفة الفرنج  
 فلا تجد الفرنج فيها ما تأخذه و لا سورا يمتنعون به، و كان الملك الفرنسي  
 الرجس الحسيس لما استشر قييد<sup>٩</sup> و سجن بدار ابن لقمان<sup>١٠</sup> و كمل به طواشيا<sup>١١</sup>  
 يدعى صيحا<sup>١٢</sup> فصار صييح يضربه فيستغيث و يصيح و يقول: "ما هذه  
 الذلة التي أوقعتني في هذه الوحلة و أورتني بعد العزّ الذلة فينقض<sup>١٣</sup>  
 الخادم عليه كالعقاب، و يديقه ألم العذاب، فصار معه الفرنسي في  
 ضيق و حصر و الخادم يقول له: أنت كلب و الكلب لا يقدر على أخذ

(١) في الأصل و بن: فتسلمتها - كذا.

(٢) في الأصل و بن: طمعا - كذا.

(٣) في بن [٢٥: الف]: البحر الملح.

(٤-٤) في بن: قائمة و وقع في الأصل: اليرابع - مكان: اليرابع - كذا.

(٥) انظر الحاشية السابقة على الورقة ٢٧: الف.

(٦-٦) في بن: واثاتهم منها جميعا سريعا ويركبون في شخاتير الصيادين التي

لا يقدر مراكب الفرنج تدخلها . . . .

(٧) من بن، وفي الأصل: فيسلموا.

(٨) زيد من بن.

(٩) كذا في الأصل و بن.

(١٠) زيد في بن: عبوسا لا فصيحيا.

(١١) زيد في بن: من شدة الألم.

مصر و صار كلها ضربه صبيح [ ١٠ : ب ] يقول : أخطأت ، لا أعود إن أطلقت<sup>١</sup> من هذه القيود . ثم ان الفرنسيس أطلق بعد أن قرّر عليه جزية يحملها في كل سنة لسلطان مصر ، فقال : بل أحملها على سبيل الهدية لئلا تعتقني بارسال الجزية نصارى الرومانية لما فيها من الذلة<sup>٢</sup> و إخراف سياج المملكة النصرانية ، فلما انطلق الفرنسيس من وثاقه<sup>٣</sup> ، و مضى إلى بلاده منع ذلك<sup>٤</sup> بنفاقه<sup>٥</sup> ، و داخله الوسواس<sup>٦</sup> و خطر بياله العودة إلى مصر في غير زيادة النيل ليسلم من هذه المكيدة التي لم تكن له في حساب و لا خطرت له على نال و هي كسر الجسور<sup>٧</sup> عليه في ذلك الأوان<sup>٨</sup> ، حتى<sup>٩</sup> حل<sup>١٠</sup> بدار ابن لقمان في أسر صبيح غير مستريح فأتى الخبر لمصر بذلك فأمر السلطان بأن يكتب له كتابا يعرفه فيه بأسره في سالف الزمان ، و يحمله بدار ابن لقمان و القيد رجليه<sup>١١</sup> ، و صبيح يضربه و يبصق عليه ، فكتب له كتابا يتضمن ما اتفق له بمصر و فيه أبيات<sup>١٢</sup> من الشعر و هي<sup>١٣</sup> :

(١) من بن ، وفي الأصل : انطلقت - كذا .

(٢) زيد في بن : المنكبة .

(٣) زيد في بن : بكفره .

(٤) زيد في بن : الخناس .

(٥-٥) في بن : التي غرق ... عند ذلك الا بان .

(٦) زيد في بن : أسر و قيد .

(٧) في بن : وجعل .

(٨) من بن ، وفي الأصل : ابياتا - كذا .

(٩) هذه قصيدة طويلة شهيرة ومؤلفها الصاحب جمال الدين يحيى بن مطروح - راجع في ذلك كتاب السلوك للقريزي ( ص ٣٦٣ - ٣٦٤ ) ، أو ابن شاکر =

قُلْ لِلْفِرْنَسِيْسِ إِذَا جَسَّهْ      مَقَالَ صَدَقَ عَن لِسَانِ فَصِيْحٍ  
 أَخْزَاكَ اللهُ عَلَى مَا جَرَى      مَن قَتَلَ عُجْبَادِ يَسُوعَ الْمَسِيْحِ  
 أَتَيْتَ مِصْرَا تَبْتَغِي مَلِكَهَا      حَسِبْتَ أَنَّ الزَّمْرَ يَا طِبْلَ رِيحِ  
 فَسَاقَكَ الْحَيْنَ عَلَى أَدَمِ      ضَاقَ بِهِ عَن سَاعِدِيهِ الْفَسِيْحُ  
 تَسْعُونَ أَلْفَا لَا يَرِي مِنْهُمْ      إِلَّا غَرِيْقَا أَوْ قَتِيْلَا طَرِيْحِ ٥  
 إِنْ كَانَ بَابَاكُمْ بَذَا رَاضِيَا      فَرَبَّ غَشَّ قَدْ آتَى مَن نَصِيْحِ  
 قُلْ لَهُمْ أَنْ اضْمُرُوا عَوْدَةَ      لِأَخْذِ ثَارٍ أَوْ لِقْصِدِ قَيْسِحِ  
 دَارِ ابْنِ لَقْمَانَ عَلَى حَالِهَا      وَالْقَيْدِ بَاقٍ ٢ وَالطَّوَاشِي صَبِيْحِ

فلما وقف عليها الفرنسيس تذكر ما جرى عليه من اللجاجة فارتعب  
 و قال : ما<sup>١</sup> لنا بدار ابن لقمان من حاجة . ثم لحقه لتذكرة الدار<sup>٤</sup> الطيش<sup>١٠</sup>  
 فانقل عنه<sup>٥</sup> الجيش ، فقال : إقامتي بمملكتي خير لي من غزوتي<sup>٦</sup> .

= الكتبي في فوات الوفيات ( ج ١ ص ٨٣ - ٨٤ / ١٠٦ - ١٠٨ ) .

(١) من بن ، و في الأصل : اجر ك .

(٢) في الأصل و بن : باق - كذا .

(٣) في بن : ليس .

(٤) في بن : للدار .

(٥) في بن : منه .

(٦) زيد على هذا القول في بن [ ٢٥ : ب ] : « الرأي الصحيح المعاصر

لصحيح - انتهى » . و سقوط العبارة من برأصح و لكن ورد هنا في بن

[ ٢٥ : ب - ٢٦ : انف ] ما لم يرد في بن من مستطردات المؤلف ما يلي :

« فلنذكر الآن ما جاء في فضل الرابطة بدمياط ... الرابطة بدمياط فيها فضل =

و أما وقعة القبرسي<sup>١</sup> فسيأتي ذكرها مفصلا إن شاء الله تعالى . فلنرجع إلى ملحمة الباجريقي :

حتى بنى أصفر قد قام قائمها يا ويح شام من الأوجال و المحن  
قال أبو عبيد القرطبي في كتاب المسالك و الممالك : إن بنى الأصفر من  
الأصفر بن قرايم بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام .  
و ولد لعيصو ثلاثون ولدا منهم الأصفر فنسل الأصفر<sup>٢</sup> فصاروا بنو الأصفر

كبير ، عن ابن عباس رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم  
ليلة الجن : عليكم السلام و رحمة الله و بركاته قال قلنا يا رسول الله على من  
تسلم ؟ قال على من تحصن من المرابطين بدمياط بلد لها قدر ، قال اللهم ارزقهم بركة  
عن يمينهم و شمالهم في أمن من الدنيا ليس لهم عدو إلا عالج أو علجة ، قال قلنا :  
يا رسول الله أيهما أفضل الرباط بعسقلان ( أم ) بالاسكندرية أم بدمياط قال  
اتدرى يا ابن عباس لم سميت دمياط ، قلنا الله و رسوله اعلم ، قال . . . عليه  
الصحف كان اول ما انزل عليه فيها إنا لله ذوابجروت انا مدبر المدبرين  
بأمر . . . العذب و الملح و الثاج و النار كل ذلك بعلمى ليم بذلك الدال و الميم  
و الطاء : قال ابو الحسن دمط بالسريانية دمط معناه قدرتى . و عن انس بن مالك  
قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم ان الله عز و جل سيفتح لكم ثغرا هو بلد  
القدرة يسكن فيه الأوابون من امتى رباط ليلة فيه كعبادة الف شهر هو بلد  
القدرة للمحتسب فيه نفسه . قال و ما بلد القدرة يا رسول الله ، قال بلد الدال  
و الميم و الطاء . و سيأتي خبر فتحها بسيوف الصحابة إن شاء الله تعالى . و سيأتي  
ايضا ما جاء في فضل الرابطة بالاسكندرية ان شاء الله تعالى .

(١) في بن [ ٢٦ : الف ] : و اما وقعة الإسكندرية فيأتي ذكرها .

(٢) « فنسل الأصفر » ساقطة من بن .

ملوك [ ٤١ : الف ] الروم ومنهم الإسكندر في قول بعضهم . ومن عجيب ما ذكر في نسب الإسكندر أنه من ولد دارا الأكبر فهو أخو دارا الأصغر ، وذلك أن دارا الأكبر تزوج بنت ملك الزنج هلاني ، فلما حملت إليه استخبت ريحها فأمر أن يجتال لذلك ، فكانت تغتسل بماء ألسندروس فأذهب ذلك كثيرا من ذفرها ، ثم عافها وردّها إلى أهلها . وقد علقته منه بالإسكندر فقيل له : الإسكندروس ؛ وقد اختلف في مدته ، فذكر الخوارزمي في تاريخه أنه قبل الهجرة النبوية بتسعمائة سنة و ثلاث و ثلاثين سنة . و ذكر ابن قتيبة في كتابه المعارف أن بينه و بين الهجرة أربعمائة سنة . و كان ملكه تسع سنين قبل قتله لدارا و تسع سنين بعد قتله لدارا ، و ملك و هو ابن إحدى و عشرين سنة . و ذلك بمقدونية و هي مصر . و مات و هو ابن ست و ثلاثين سنة ، و سيأتي في رواية أخرى أنه ملك و هو ابن تسع سنين - انتهى .

(١) في بن : زفرها .

(٢) زيد هنا في بن [ ٢٦ : الف ] : و ملك من ابن العيص ملك يقال له طبراناس بن بكلاكون بلاد الروم جميعا و كان اول من بنى بيته في بلاد رومية الكبرى و فتحت له المطالب و اثر في الأرض العجائب و انه دعه نفسه بفتح جميع الأرض لكثرة الأموال التي وجدها فأنتهى فتحه الى بلبقية (!!) و سرقسية و كان له ولد اسمه اسطنبول فقال لأبيه طبراناس اريد ابني ههنا مدينة اذكر بها فقال افعل و امدد بالأموال و الرجال فبناها و عمل دور سورها مست فراسخ و سماها باسمه ثم ملك . . . . . ولدا اسمه قسطنطين فكل بناءها فسميت باسمين احدهما اسطنبول على اسم ابيه و اسم الآخر على اسم واده فقيل لها قسطنطينية - اسطنبول - انتهى .

نعود إلى خبر عيصو وكان منزل عيصو بالشام فكثرت ولده وصاروا إلى البحر و ناحية الإسكندرية و غلبوا الكنعانيين . و قيل : إن العيص سمي آدم لأدمته و صفرتة ، و لذلك سمي ولده بنى ' الأصفر . و قيل : إن زنجيا غلب على الروم في الزمن الأول فتكح فيهم فولد أولاده صفرا ' ه فسمى الروم بنى الأصفر . قال ابن الأنبارى : و إنما قيل للروم بنو ' الأصفر ، لأن حبشيا غلب على ناحيتهم في بعض الدهور فوطى ' نساء منهم فولدوا أولادا ' فيهن من يياض الروم و سواد الحبشة فنسب الروم إلى الأصفر لذلك .

و لما حضر أبو سفيان صخر بن حرب عند هرقل ملك الروم<sup>١</sup> و سأله عن النبي صلى الله عليه و سلم ، و ذكر أبو سفيان ما صدق فيه عنده<sup>٢</sup> ، فقال له هرقل : ذكرت أنه يأمركم بالصلاة و الصدق و العفاف ، فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين ! و قد كنت أعلم أنه خارج و لم أكن أظن أنه منكم ، فلو أعلم أنى أخلص منكم له لتجشمت

(١) في الأصل و بن : بنو .

(٢) زيد في بن : بسبب سواده و يياض الروميات .

(٣) من بن ، و في الأصل : بنى .

(٤) في الهامش : بنى الأصفر .

(٥) من بن ، و في الأصل : اولاد - كذا .

(٦) زيد هنا في بن [ ٢٦ : ب ] بأنطاكية .

(٧) زيد في بن : من خبر النبي صلى الله عليه و سلم .

لقاءه ١ ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه ! فقال أبو سفيان لأصحابه ١ بعد خروجهم من عند هرقل و كان إذ ذاك مشركا : لقد صار أمر [ ابن - ٢ ] أبي كبشة ٢ أنه يخافه ملك بني الأصفر ٣ . قال أبو الحسن النسابة في معنى نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي كبشة قال : إنما كان تدعوه العرب ٤ بذلك و تغير [ ٤١ : ب ] اسمه عداوة إذ لم يمكنهم ٥ الطعن ٥ في نسبه المهذب - صلوات الله عليه .

كان وهب بن عبد مناف بن زهرة أبو آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم يدعى أبا كبشة ، و كان عمرو بن زيد بن أسد أبو سلمي أم ٦ عبد المطلب بن هاشم يدعى أبا كبشة ، و كان ٧ أخوه من الرضاعة يدعى أبا كبشة و هو الحارث بن عبد العزى بن رفاعة السعدى . و قال ابن قتيبة : ١٠ إنما نسب النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي كبشة و هو ٨ بعض أجداده

(١) زيد في بن : من .

(٢) زيد من بن .

(٣) في الهامش : لم سمى عليه السلام ابن أبي كبشة .

(٤) زيد في بن : قال المؤلف رحمه الله وسأذكر الآن ما قيل في أبي كبشة .

(٥) من بن ، و في الأصل : المشركون .

(٦) في بن : لم يمكن .

(٧) في بن : ابن - كدا .

(٨) زيد في بن : في أجداده من قبل امه ابو كبشة و .

(٩) من بن ، و في الأصل : معه .

لأمة لأنه رجل عبد الشعري ولم تعرف العرب عبادة الشعري لأحد قبله  
و جعلوا فعله شذوذا في الدين، فلما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم  
بما لا يعرفونه في دينهم ولا دين آبائهم وشدّ عنهم في ترك عبادة  
الأوثان ودعا إلى دين الله تعالى ودين إبراهيم عليه السلام شبهوه بأبي  
هـ كيشة في عبادة الشعري - انتهى .

(١) زيد هنا في بن [٢٦: ب] ما يلي: ولما فتح (في بن: فتحت - كذا)  
المسلمون مدينة اعزاز من الشام قام مالك الأشتر فمسي في الحصن فتقدم فرأى  
مقدم الرأس داريس مقتولا فقال قتل هذا اللعين، قال لا ون ابنه قتله أنى لوطا  
وهو أكبر منى سنا، فأمر مالك بإحضاره وقال قتله... وما سمعنا وادما قط  
قتل أباه سواك، فقال حملتني على قتله محبة دين الإسلام وذلك أن [في] هذا المصر  
قسا من العمرين كنا نقرأ عليه الإنجيل يعلمنا بقلم الروم واني في بعض الأيام [كنت  
عنده]... ليس عنده سواى فقلت له يا أما المندر ألا ترى الى بلاد الشام كيف  
استولت عليها العرب المسلمون الحجازيون وملكوا أكثرها وهزموا جيوش  
الملك هرقل وما كنا نظن أن العرب [تقدر] على ذلك لأنه ليس في الأمم أضعف  
منهم وأن الله تعالى نصرهم على ضعفهم فهل قرأت في كتب الروم اليونانيين  
شيئا، فقال يا بنى نعم قرأت ذلك ولقد أخبرنا الملك هرقل بذلك قبل وقوع  
هذا الأمر والبطارقة وغيرهم وأخبرهم أن العرب لا بد أن يملكوا ما تحت قدمي  
هاتين... نبي القوم أنه قال: زويت لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها...  
فقلت له يا أبانا فما تقول في نبي القوم فقال يا بنى في كتابنا ان الله تعالى يبعث  
نبيا من حجاز قد بشر به المسيح ولا ندري أهو هذا أم لا. فعلمت انه كتم على الأمر  
مخافة أن أديعه عنه فكتمت الأمر إلى البارحة فلما رأيت يوقنا صاحب قلعة حلب  
وأصحابه أسرى قلت ان يوقنا قتل أخاه يوحنا لما نصحه وأمره بالإسلام وعاند  
العرب وقتلهم ثم رجع إلى دينهم وما [٢٧: الف] ذلك الا انه علم الحق مع هؤلاء =

نعود - وقيل : سميت الروم بنى الأصفر لأن ملك الحبشة أهدى  
لقصر ملك الروم ابنته الحبشية وهى على سواد لونها من أجل النساء  
صورة و شكلا فى عصرها و زمانها ، فواقعها قصر فولدت له ولدا  
أصفر اللون فكبر و تزوج و نسل ، فأطلق على الروم هذا الاسم فقيل لهم :  
بنو الأصفر .

و سأذكر ما قيل فى أجناس النساء من الأشعار و غير ذلك :  
اعلم أن كل جنس من الجنوس لا يخلو من الجمال الفائق ، و الحسن  
البديع الرائق ؛ فى الحبشيات من هى فى طيب المخبر ، كنفحة المسك  
و العنبر ، و ذلك من السواد اللامع و الجسم الناعم ° و الريح الطيب °  
فتلك التى تشتهيها النفوس ، و يرغب فيها الرئيس و المرؤوس ، من بين ١٠  
سائر الجنوس ، و لله درّ القائل حيث يقول :

و بنى حبشية سلبت فوادى ففسى لا تميل إلى سواها

= العرب . قتل أقتل أبى و أخلص يوقنا من أسر أبى له بسبب اسلامه و أرجع  
إلى دين محمد ، فلها نام أبى و هو ثمل من الخمر قتله و أنا أقول أشهد ان لا اله الا الله  
و أشهد ان محمدا رسول الله . قال مالك الأشتر عند ذلك قبلك الله و وفقك للخير -  
انتهى . نعود و قيل سميت الروم - الخ .

(١) فى الهامش : مدح فى النساء .

(٢) فى الهامش : الحبوش .

(٣) فى بن : كنفح .

(٤) ريد فى بن : و ذلك كالشهد و السكر .

(٥ - ٥) فى بن : من سلامة النعمة و رخامة النسمة و نفحة الطيب و الكلام

المشابه (فى بن : المشابهة - كذا) لتغمة البلب و العندليب .

كَأَنَّ لَعُوطَهَا طَرَقَ ثَلَاثَ تَمِيلٍ<sup>١</sup> بِهِ النَّفُوسَ إِلَى هَوَاهَا  
و شَبَّهَ بَعْضُهُمْ امْرَأَةً سَمْرَاءَ بِالْهَلَالِ فَقَالَ:

مَا يَضُرُّ الْهَلَالَ فِي حَنْدَسِ اللَّيْلِ لِسُودِ السَّحَابِ وَهُوَ جَمِيلٌ  
و مَدَحَ بَعْضُهُمْ سَمْرَاءَ فَقَالَ:

٥ سَمْرَاءُ قَدْ أَزْرَتِ بِكُلِّ أَسْمَرٍ بِلَوْنِهَا وَ لَيْنِهَا وَ قَدَمَيْهَا  
أَنْفَاسَهَا دَخَانَ نَدَّ خَالَهَا وَ رَيْقَهَا مِنْ مَاءٍ وَرَدَ فِيهَا<sup>٢</sup>  
لَوْ كَتَبَ الْبَدْرُ إِلَى خِدْمَتِهَا مَلَطَفًا تَرْجَمُهُ بِعَبِيدِهَا  
و مَدَحَ بَعْضُهُمُ السَّمْرَ فَقَالَ [ ٤٢ : أَلْف ]:

و فِي السَّمْرِ مَعْنَى لَوْ عَلِمْتَ بِيَانَهُ لَمَا عَايَنْتِ عَيْنَاكَ بَيْضًا وَلَا حَمْرًا  
١٠ لِيَانَةَ أَعْطَافٍ وَ غُنْجٍ لَوْ أَحْظَ تَعَلَّمَ هَارِيَةَ الْكُهَانَةِ وَ السَّحْرَا  
و لَوْلَا سُودُ الْخَالِ فِي خَدِّ أَبِيضٍ لَمَا عَلِمَ الْعَشَّاقُ بَوْمًا لَهُ قَدْرًا  
و مَدَحَ بَعْضُهُمْ امْرَأَةً سُودَاءَ فَقَالَ:

لَا مِثْلَ الْعَوَازِلِ فِي سُودَاءَ فَاحِمَةٍ لَلْوَنِهَا بِسُودِ الْعَيْنِ تَمَثَّلُ  
و هَامَ بِالْخَالِ أَقْوَامٌ وَ مَا عَلِمُوا أَنَّى هُوِيَتْ غَزَالًا كُلَّهُ خَالٌ  
١٥ وَ لِبَعْضِهِمْ وَ كَانَ مَمْحُونًا بِامْرَأَةٍ سُودَاءَ:

أَحَبُّ لِحَبِّهَا السُّودَانُ حَتَّى أَحَبُّ لِحَبِّهَا سُودَ الْكِلَابِ

(١) فِي بِنِ : خَطُوطُهَا

(٢) فِي بِنِ : تَسِيرُ .

(٣) فِي بِنِ : خَدَّهَا .

(٤) فِي الْأَصْلِ : لَامُوا - كَذَا ، وَ فِي بِنِ مَطْمُوسٌ .

و لبعضهم في معناه:

وأحبها وأحب منزلها الذي تنزل به وأحب أهل المنزل  
 اشترى بعضهم جارية حبشية فلم تزل عنده إلى أن صار شيخا فكان  
 إذا خاصمها عيبرها بالسواد فقيره<sup>١</sup> أيضا بالشيخوخة<sup>٢</sup> فأنشأ يقول:  
 و جارية من بنات الحبو ش ذات جفون<sup>٣</sup> صحاح عراض<sup>٥</sup>  
 تعشقتها للتصابي فشبت غراما ولم أك بالشيب راضي  
 وكنت أعيبرها بالسواد فصارت تعيبرني بالبياض  
 وكان لبعض المشايخ الطاعنين في السن جارية حبشية فخاصمها يوما فقال  
 لها: غدا أشتري جارية بيضاء أحسن منك يا سوداء! فقالت له: أشتري قبلها  
 آلة شديدة<sup>٤</sup> ترضيها بها<sup>٤</sup> لئلا تعيرك كما أعلمه منك<sup>٦</sup> كم أريد أسرك وأنت  
 تأتي إلا فضيحة تفسك! ثم أنشدت تقول:

لو لم يكن السواد أعز ما في العباد  
 ما كان وسط الناظر وفي صميم الفؤاد

فكان كلامها<sup>٧</sup> مسكنا لجوابه ومع ذلك حيرته ووبخته ومدحت نفسها  
 وهجته فحجل منها وسكت .

١٥

(١) زيد في بن: هي .

(٢) في بن: بياض لحيته .

(٣) في بن: اجفان - كذا ولا يستقيم به الوزن .

(٤) زيد في بن: القوة .

(٥) من بن، وفي الأصل: به - كذا .

(٦) زيد في بن: ثم قالت .

(٧) زيد في بن: ذلك .

عن يحيى بن أكرم قال : تذاكروا الألوان عند الرشيد فقال بعضهم :  
أحسنها البياض ، وقال آخر : أحسنها الخضرة في لون الجنة ، وقال آخر :  
أحسنها لون الذهب ، و محمد بن الحسن ساكت فقال له الرشيد : فلم  
لم تتكلم ؟ فقال : لو كان صبغ أحسن من السواد لكتب به كتب الله المنزلة ،  
فاستحسن الرشيد قوله و وصله بصلة من بينهم .

و لبعضهم يذم رجلاً يهوى سوداء :

شكالي صديق حبّ سوداء أغريت بمص لسان لا تمل له وردا

[ب] فقلت له دعها تداوم مصه فماء لسان الثور ينفع للسودا

و هجا بعضهم محباً لسوداء فقال :

١٠ عجبت لمن في الحب قدهام في سودا و ما ذاك إلا أن يكون به السودا

خصائلها عند الكرام ذميمة و يشبه ابن الحر من بطنها العبادا

قوله : هام ، من الهيام و هو في الأصل داء يأخذ الإبل من العطش مشبه

بالجنون فهو كالهيام العارض أي عطش إلى لقاء المحبوب . و قيل لآسود :

ما اسمك ؟ قال : عنبر . قيل و ما صنعتك ؟ قال كناف ، قيل له : تصنع

١٥ الكنافة<sup>٢</sup> قال : لا ، بل أكنف المراحيض ، قيل له : كل شيء كسبته في

الاسم خسرتة في الصنعة . و هجا بعضهم رجلاً يحب سوداء و صنفها له<sup>٣</sup> فقال :

لصديق لنا صديقة سوء رحم الله من لحاه عليها

(١) كذا ، وقع في الأصل و بن : رجل .

(٢) سقط من بن ، و وقع في الأصل : محب - كذا .

(٣) في بن : الأكناف .

(٤) في بن : في هجوه .

يقبل الليل حين تقبل لولا  
شفتاها غليظتان ولكن  
ربّ فارٍ وخنفسا قد أثرا  
وصحيح مسلم صرعته  
وضح في سواد سالفيتها<sup>١</sup>  
جعل الانضمام في شفيها  
من خلال الشقاق في قدميها  
نفحات الصنان من إبطيها

تزوج رجل أسود اللون طبّال امرأة يضاء فقال بعضهم فيه<sup>٥</sup>  
أيها الطبّال طبل  
أي صبح تحت ذيل  
يا فتاة العاج يهني  
أي عرس و عروس  
ودجى فوق شمس  
ك فتى كالأبنوس

وقال كشاجم يهجو سوداء:

يا مشيها في فعله لونه  
خلقك من خلقك مستخرج  
لم تعد ما أوجبت القسمة  
والظلم مشتق من الظلمة

وقال بعضهم يهجو خادما:

قطعوا مذاكره بحد واجب  
لو أنهم تركوه فحلا قائما  
وما دروا برداوة في أصله  
ملا الوجود أراذلا من نسله  
وقد ذكر جالينوس: في الأسود عشر<sup>١٥</sup> خصال لا توجد في غيره  
واجتمعت فيه: تفلقل الشعر وخفة الحاجبين وانتشار المنخرين وغلظ  
الشفيتين وتحدد الأسنان وطول الذكر وكثرة الطرب، فكثرة طربه

(١) في بن: سالفيتها .

(٢-٢) في الأصل و بن: في خلاف .

(٣) في بن: فيها .

(٤) في الهامش: بهو في طواشي ، عشر خصال توجد في الأسود لا في غيره .

(٥) في الأصل و بن: عشرة .

لفساد دماغه فضعف لذلك عقله، ولما حى موضعه و منشؤه جذبت الرطوبات إلى أعلاه فأهدلت [ ٤٣ : الف ] شفته وقصرت أنفه وعظمته وأشالت رأسه، فخالف بذلك مزاج دماغه عن الاعتدال، فلم تقدر النفس على إظهار فعلها منه كاملا .

وقد كان طاروس اليباني لا يأكل ذبيحة الزبجي ويقول: هو عبد مشوه الخلق . وكان أمير المؤمنين الراضى بالله لا يتناول شيئا من أسود . وقد يكون أنف الأسود منتشرا، وقد يكون أيضا عاليا، وقد يكون مبوقا واسعا . قال الشاعر فى مأنوف:

مأذنة الجامع فى أنفه كالاصبع الناحل فى الخاتم  
لو دخل العالم فى أنفه أصبحت الدنيا بلا عالم  
١٠ وقال بعضهم فى محبة لسوداء:

قيل لى لم عشقت ظلبة ليل وتجنبت عن بدهر الشموس  
قلت قلبى يحب ألوان مسك وانضجاعى ما بين خز وسوس  
وثايا كلؤلؤ فى عقيق ونهود شيهة الأنوس  
و مدح بعضهم سوداء فقال:

١٥ أشبهك المسك وأشبهته فائمة فى لونه فاعدة  
لا شك إذ لونكما واحد إنكما من طينة واحدة - انتهى .

فلندكر البدويات وما قيل فىهن و العربان ذوى الكرم و الإحسان - أما

(١) فى بن: معنى ذلك .

(٢) فى بن: فلندكر ما قيل فى البدويات الزينات و العربيات الفاتنات وما قال

(فى بن: قالت - كدا) فىهن عاشقهن من غلبة الهوى والمنى والنوى، قال بعضهم .

البدويات قيهن الزينات قال الشاعر فيهن :

يا عيون البدويات التي حعلت بالهدب للخذ لثاما  
اجعليني دون صحي غرضا إن رمت أجفان عينيك السهاما  
وقال أيضا :

٥ عرب بعدها قد قتلتم فريقا وفريقا ما زلتم تهجرونا  
مات من هجركم سمير هواكم فاطلبوا اليوم سامرا تهجرونا  
وكان الشيخ أبو العباس المرسي كثيرا ما ينشد :

قد بقينا مذبتين حيارى نطلب الوصل ما إليه سبيل  
فدواعي الهوى تحفت علينا وخلاف الهوى علينا ثقل

١٠ وكان ينشد للسهروردي .

أبدا تحنّ إليكم الأرواح ووصالك ريحانها و الراح  
وقلوب أهل وداكم تشناقكم وإلى كمال جمالكم ترتاح  
[٤٣:ب] يا رحمة للعاشقين تحمّلوا ثقل المحبة والهوى فضاح  
بالسرّ إن باحوا تباح دماؤهم وكذا دماء البائحين تباح

١٥ ومن عادة العرب حمى النزيل قال الشاعر :

وللأعراب عادات عرس بها حمى النزيل إذا ما عزّ ناصره  
ومن عادة العرب أيضا إكرام نزيلهم قال الشاعر :

عرب متى حلّ النزيل بحبهم شملته منه خفارة و ذمام

(١ - ١) في بن : اجفانك .

(٢) في بن : دماؤكم .

ستوا المكارم للأكارم بالندا فلهم على نهج الهدى إقدام  
 ظفروا بأبكار العلا فبنوا بها فتمنّضت بالمجد وهي عقام  
 'و كان الهوى' غالبا على بنى عذرة و قد شاع فيهم حتى ذكرتهم الشعراء  
 في أشعارها فمن ذلك البوصيري في قصيدة البردة :  
 ٥ يا لأئمي في الهوى العذرى معذرة منى إليك و لو أنصفت لم تلم  
 وقيل : الهوى العذرى الذى يقبل عذر صاحبه لما نظر عليه من علام  
 الحب قال الشاعر :

و عذر الهوى العذرى بين جفونها إذا هي لامت عاشقيا يلومها  
 فكم مهج قد أصبحت تشتكى الهوى و قاضى الغرام الحاجرى غريمها  
 ١٠ و قال عبد اللطيف التكريتى :

يا دار عزة من اللواله الباكي بنسظرة يتملى من محياك  
 أضحي الخزام و نبت الأرض<sup>٢</sup> منه سرى به النسيم عيرا حين و افاك  
 كم ليلة بات طرفى ساهرا قلعا يرعى النجوم و ليس القصد إلاك  
 ما هب من أيمن الوادى نسيم صبا إلا و كان الهوى العذرى يملك  
 ١٥ قال عمران<sup>٣</sup> بن الحسن رحمه الله ركبت البحر الملح فى سفينة فانكسرت  
 فخرجت أنا و زوجتى على لوح واحد فأخذها الطلق فوضعت بنتا  
 ثم قالت : يا عمران ! إن العطش قد لحقنى و قتلنى ، فقلت لها : نحن فى حمى

(١) فى بن : فلندكر الآن ما قيل فى هوى الناس .

(٢) فى الهامش : الهوى العذرى .

(٣) « الأرض » ساقطة من الأصل .

(٤) فى الهامش : نكتة .

من يرانا ، قال فسمعت حسا فوقى فرفعت رأسي فاذا أنا برجل و هو متربع  
 في الهواء بين السماء و الأرض و بيده سلسلة من ذهب فيها كوز من  
 الياقوت معلق ، فقال لي : ها كما أشربا ، فشربتنا من ذلك الكوز ماء طيبا  
 عطرا ، فقلت له : يا هذا من الملائكة أنت ؟ قال : لا ، قلت : من الجن ؟ قال :  
 لا ، قلت : من الإنس ؟ قال : [ ٤ : الف ] نعم ، فقلت له : بم وصلت إلى ه  
 هذا المقام ؟ قال : أنا رجل تركت له الهوى فأجلسني في الهواء ، فقلت له :  
 انظر حالنا و ما نحن فيه ، فقال : أشربا بالسلامة ! فلم يزل اللوح يسير بنا  
 و الأمواج تضربه إلى أن وصلنا إلى الساحل . قال الشبلي : مررت براهب  
 فوجدته محيفا فقلت له : أنت عليل ؟ فقال : نعم . قلت : منكم ؟ قال : منذ  
 عرفت نفسي . قلت : فتداوى ؟ فقال : قد أعياني الدواء و قد عزمت على ١٠  
 السكى ، قلت : و ما السكى ؟ قال : مخالفة الهوى و أنشد :

إذا ما دعيتك النفس يوما لحاجة و كان عليها للخلاف طريق

فخالف هواها ما استطعت فإنما هواها عدو و الخلاف صديق

فالهوى ' بالقصر الحب و بالمد فهو النسيم النافع و اللوم العذل ، و قيل :

نسب الهوى العذرى إلى بى عذرة لرقة نفوسهم و عقبتهم . فقد قيل إنه ١٥

سئل رجل من بى عذرة : بمن أنت ؟ قال : من قوم اذا عشقوا ماتوا ،

فقيل : و لم ذلك ؟ فقال : لأن فى نساتنا صباحة و فى فتياتنا عفة ، فقيل :

يا أبا العرب ! فما الحب عندهم ؟ فقال : أعين تتلاحظ و ألسن تتلافظ

و عادات تقتضى و إشارات تدل على السخط و الرضى ، فقيل : أين أنت

ما قال الشاعر؟ فقال: وما قال؟ قال: قال:

رأيت الحب ليس له دواء سوى وضع البطون على البطون  
وطعن تدمع العينات منه وأخذ بالمناكب والقرون  
أى قرون الشعر، فقال: ذلك طلب الولد، إذا وقع فيه ما ذكرت فسد، وأنشد:  
٥ ما يعلم الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها  
أما سمعت قول مجنون ليلي:

أحبك يا ليلي على غير ريبة عليه جميع المصعبات تهون  
له عبرة تهمل ونيران قلبه وأجفانه تدرى الدموع عيون  
فيا ليت أن الموت يأتي معجلاً على أن عشق الغايات منون

١٠ و سيأتي فيما يرد من هذا الكتاب خبر 'المجنون' وما قاسى فى هوى ليلي  
من الفتون حتى سمي «المجنون» وكذا عروة بن حزام العذرى قاسى فى  
هوى عفراء من المحنة ما أورثه الفتنة وهو القائل فيها:

١٥ خليلي من عليا هلال بن عامر<sup>٢</sup> بصنعاء عوجا اليوم فانتظراني<sup>٣</sup>  
[٤٤:ب] ولا تزهدا فى الذخر عندي وأجملا فانكأ بي اليوم مبتليات  
ألم تعلمنا أن ليس بالمرج كله أخ و صديق صالح يكلان

(١) زيد فى بن: قيس .

(٢) فى بن: بالمجنون .

(٣) انظر الأغاني ( طبعة الساسى ) ج ٢٠ ص ١٥١ و ١٥٢ ، ١٥٥ وفيه أجزاء  
أخرى من القصيدة .

(٤) وفى الأغاني: وانتظراني، و وقع فى الأصل: فانتظران - كذا، ولم نظفر  
بالأبيات فى بن .

ألا فاحملاني بارك الله فيكما  
على أحد الأضلاب واهية الكلى  
ألما على عفراء إنكما غدا  
متى تضعا عنى القميص تبينا  
لقد تركت عفراء قلبي كأنه  
أكلف من عفراء ما ليس لي به  
و قد تركتني ما أعي لمحدث  
و إني لأهوى الحشر لو قيل إنني  
ولو أن عيني ذى هوى فاضتا دما  
فيا ليت كل اثنين بينهما هوى  
فيقضى محب من حبيب لبانة  
ألا يا غراي دمنة الدار بيننا  
فان كان حقا ما تقولان فانهضا  
و لا يعلمن الناس ما كان بيننا  
أناسية عفراء وصلي بعد ما  
أعفراء كم من عبرة أنت هجتها  
ألا لعن الله الوشاة و قولهم  
يكلفني عمى ثلاثين بكرة  
فيا ليت عمى يوم فرق بيننا  
إلى حاضر الزوراء ثم ذراني  
تقطع منها اليد بالوخدان  
بوشك النوى و البين معترقان  
بن السقم من عفراء يا قتيان  
جناح غراب دائم الخفقان  
ولا للجبال الراسيات يدان  
حديثا و لو ناجيته و دعاني  
و عفراء يوم الحشر نلتقيان  
لفاضت دما عيناى تبدران  
من الناس بعد اليأس يلتقيان  
و يكلاهما ربي فلا يريان  
أبالهجر من عفراء تتحبان  
بلحى إلى و كريكما فكلان  
و لا يطعمن الطير ما تذران  
تركت له ذكرا بكل مكان  
و أذريت دمع العين بالهملان  
فلانة أضحت خلة لفلان  
و ما لي يا عفراء غير ثمان  
وضج لوشك الفرقة الصردان

(١) وقع في الأصل: انى - كذا محرفا (٢) في الأصل: لها، وهو جائز أيضا.

ألا ليتنا عفراء من غير رية      بغيران رعى البهم مؤتلفان  
إذا ما وردنا منهلا صاح أهله      وقال بعيرا غرة جريان  
ألا ليتنا نجيا جميعا و ليتنا      إذا نحن متنا ضمنا كفنان

قوله: زعى البهم مؤتلفان، البهم صغار الضأن، قال قيس المبحنون:

٥      تعلقت ليلي وهي غر صغيرة      ولم يبد للآتراب من ثديها حجم  
صغيرين زعى البهم يا ليت أننا      إلى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم  
[٤٥: الف] وقال بعضهم في شكوى الهوى:

ألا من يطارحنى فى الهوى      فأشكو إليه ويشكو إلى  
ونذكر قصتنا فى الهوى      فأبكي عليه ويبكى على  
١٠      ويسعدنى بدما مقلتيه      وأسعده بدما مقلتى  
فقد طال حزنى ولا هؤنس      أناديه من شجى يا أخى  
تقضى زمانى فوا حسرتى      وما لى من داء قلبى دوى  
ألا هل معين إلا مسعد      إلا راحم لقتيل الهوى  
فأواه أواه من لوعتى      أموت وفى القلب ذاك الجوى  
١٥      فى صاحبي أندبا واندبا      قتيل المحبة يا صاحبي  
ونوحا على من مضى عمره      وما فاز من أهل بجد بشى  
فيا أهل ودّى إلا رحمة      إلا عطفة أهل ودّى على  
فهجركم قد أذاب الحشى      وقلى كواه الجفا أى كى  
أموت بـجـبكم حسرة      ولا تنظروا أهل ودّى إلى  
٢٠      فوا حسرتى أترى هل أرى      بعينى يوما دارا لى

(١) كذا وبه لا يستقيم الوزن - ولعله: ديارا.

وأصبح من بعد موت الجفا يبعث التواصل في الحى حتى

وقال عبد الرزاق العامري في مغازلة أجبانه:

غازلت غزلانكم يا أهل كاظمة  
شغلتم ناظري عن غيركم بكم  
وآفة العاشق الغزلان و الغزل  
وليس لي بسواكم غيركم شغل

وقال بعضهم في رحيل أحبته عنه:

أناخوا جمالا وحازوا جمالا  
أظن الأجنة راموا ارتحالا

وقد حملوا البدر في هودج  
على ظهر بكر و ساروا شمالا

ومن بقر الوحش أنسيّة  
على ظهر نهد تشوق الغزالا

فساروا على عجل إذ نأوا  
وخلتوا بقلبي حولا ثقالا

فصبر جميل على سيرهم  
غزال بعينه فاق الغزالا

وقال الملك شاهنشاه صاحب حماة في ديوانه المشهور:

أراها عن الجزع تبغى عدولا  
و كانت تمنى إليه الوصولا

وما ذاك إلا لأن سعا  
د<sup>٢</sup> قد أزمعت عن رباه مَحِيلًا

[٤٥:ب] أطعت الغواية في حبها  
غراما بها و عصيت العذولا

وماذا على سائق اليعملا  
ت لو عطف العيس نحوى قليلا

لعلى أخالسهما نظرة  
لتشقى فؤادا سقسيا عليلا

وانظر من بين مجف الحدو  
ج طرفا كحيفا و خدًا أسيلًا<sup>٤</sup>

(١) زيد بن: الأجد .

(٢) بن: العذولا .

(٣) بن: سعادا .

(٤) بن: صقيلا .

و لبعضهم :

ياراكب الوجناء في جنح الدجى      يطوى الفلاة و قصده أم القرى  
إياك أن ترد العذيب فدونه      حتى تباع به النفوس و تُشترى  
عربٌ تُخال إذا حلت بأرضهم      نيل المراد و دونه أسد الشرى<sup>١</sup>  
أتروم و وصل عُرب وادى المنحى      و يغرك<sup>٢</sup> الأطماع فيما لا يرى  
كم مُدع سلك الطريق إليهم      جهلا بمسلكه فعاد القهقرى  
يا عاذلى كفت الملام فان لي      قلبا يرى في حيتهم<sup>٣</sup> ما لا ترى  
من رام في شرع المحبة مطلبا      و رأى المنية مهلكا فقد افتدى  
و لبعضهم في بدوية :

١٠      ولما اجتمعنا و النوى و رقبنا  
فلم أر بدرا طالعا قبل وجهها  
و قال العفيف التلمساني :

عُرب الحمى<sup>٤</sup> قلبى فى هواكم      نزيل فى دياركم غريب  
رحلتم عن حمى الوادى سميرا      و سرتم و هو خلفكم جنيب  
١٥      و قال أيضا :

و بنجدٍ عرب نزول<sup>٥</sup> أضاعوا      للجبين حرمة النزلاء  
ضربوا خيمة المليحة فى الرو      ض و أجروا أنهارها من بكائى

(١) وقع فى بن : الثرى - كذا .

(٢) فى بن : يفر .

(٣) فى بن : وجهه .

(٤) فى بن : الحمى .

(٥) فى بن : نزلوا .

و دعوا للعقيق دمعى ومن أين لدمعى العقيق لو لا دمانى  
فهم لا عدمتهم أطلقوا الدمع و قلبي معهم من الأسراء  
و قال أيضا:

عندى لكم يا أهل كاظمة أسرار وجد حديثها عجب  
أرى بكم خاطرى يلاحظنى من أين هذا الإخاء والنسب  
واشرب الراح حين أشربها صرفا و أصحو بها فما السبب  
خمرتها من دمي و عاصرها ذاتى و من آدمعى لها الحبيب  
إن كنت أصحو بشرها فلقد يسكر قوما بها و ما شربوا  
هى النعيم المقيم فى كبدى وإن غدت فى الكؤوس تلتهب  
[٤٦: الف] فغن لى إن سقيت يا أملى باسم الذى على يحتجب ١٠

و سمي العاشق عاشقا لأنه يذبل من شدة الهوى كما تذبل العُشقة إذا قطعت .  
و العُشق بضم العين اللباب، الواحدة عُشقة . قال بعضهم فى الولوع بالعشق:

تولع بالعشق حتى عشق فلما استقل به لم يُطرق  
رأى لجة ظنها موجة فلما توسط فيها غرق

و قال بعضهم:

مساكين أهل العشق راحتهم عنا ولا حظ فى الدنيا لهم ولا جاها  
سألتك خلو البال لا تقرب الهوى ولا تغش حتى العامرية عماها  
تراق دماء العاشقين بدارها ومن طاف حول الدار يوشك يغشاها ١٥

(١) كذا، ولا يستقيم به الوزن .

(٢) فى بن: لبلاية .

(٣) زيد فى بن: و .

(٤) فى بن: به اراها .

(٥) زيد فى بن: ان .

وقال الشيخ أبو العباس المرسى :  
 ورأيتُ أسباب النى مقطوعة من دونها باليأس من أسبابها  
 إلا لمن أعطى الصابنة حقها و آتى بيوت الحى من أبوابها  
 رأيت فأرة جملا فأعجبها فحشقتة فسكت بزمامه فتبعها فلما وصلت  
 ٥ إلى باب بيتها دخلت و بقى الجمل واقفا فأخرجت رأسها و أشارت إليه  
 بالدخول ، فقال بلسان حاله : يا هذه ! إما أن تتخذى دارا تليق بمحبوبك  
 أو محبوبا يليق بدارك ، فاحترق قلبها بالنار لضيق الدار .

قال العتيبي : قلت لأعرابي : حدثني بأعجب ما رأيته ، قال : نعم ، بينما أنا  
 أسير فى بعض الفلوات و إذا أنا برجل قد نصب حباله فقلت له :  
 ١٠ ما أجلسك هنا؟ قال : أملكنى و أهلى الجوع فنصبت حبالى لأصيد لهم  
 شيئا و لنفسى ما يكفينى و يعصمنا يومنا هذا ، قلت : أرايت إن أقت  
 معك فأصبتا صيدا تجعل لى منه جزءا؟ قال : نعم ، فيما نحن كذلك  
 إذ وقعت ظيية فى الحباله فخرجنا نتبدر فبدرنى إليها فخلتها و أطلقها ، فقلت :  
 ما حملك على هذا؟ قال : دخلتنى لها رقة لشبهها بليلى ، و أنشد يقول :  
 ١٥ أيا شبه ليلى لا تراعى فانى لك اليوم من وحشية لصديق  
 أقول و قد أطلقتها من وثاقها فأنت لليلى ما حيت طليق  
 و قال صرّدر الشاعر :

يقول خليلى و الظباء سوانح أهذا الذى تهوى فقلت نظيرها

(١) فى الهامش : زكته .

(٢) فى بن : حبالتى .

٤٦: ب] لئن شابهت أجيادها و عيونها  
 فيا عجباً منها تصد أنيسها  
 وما ذاك إلا أن غزلان رامة  
 ألم يكفها ما قد جنته شمسها  
 أيا صاحبي استأذنا لي نخورها<sup>٥</sup>  
 هبها تجمفت عن خليل يروعها  
 وقد قلتما لي ليس في الأرض جنة  
 فلا تحسبا قلبي طليقا فاما  
 يعز على الهيم الجواميس وردها  
 أراك الحمي قل لي بأى وسيلة  
 و قال العفيف التلمساني:

لا تلم قلبا إليها قد صبا  
 تنفح العشاق منها نفحة  
 مبسم عذب و جفن ذابل  
 و قال قيس المجنون في ليلي العامرية:  
 أموت و مهجتي بالنار تصلي  
 لقد حرمتُ نومي في هواما  
 إنما اللوم على قلب صبر  
 كنسيم الورد بالماء اختمر  
 صحح الوجد به لما انكسر  
 و قال قيس المجنون في ليلي العامرية:  
 ولم السقاً إلى ليلي وصول<sup>١٥</sup>  
 و أجريت الدموع دما يسيل

(١) في بن: تساعدتها .

(٢) في بن: نحرها .

(٣) في الأصل: ألقى .

(٤) كذا: في الأصل .

سأصبر أو تذوب الروح مني ولا يشمت بحالتنا عذول  
وإن بالحب فاضت فيك روحي فصبري عنك يا ليلي جميل  
وقال ابن الفارض :

فأظهرني سقم به كنت خافيا له والهوى يأتي بكل عجيبة  
قال العفيف التلمساني : الآن من العجب أن يكون الظهور بما به كان الخفاء ،  
وفي هذا المعنى قال الشاعر :

أخفي هواه فيخفي الهوى سقما وذو الهوى كلما أخفاه أخفاه  
فالحبة الصادقة لا تظهر على المحب بلفظه وإنما تظهر بشئله ، ولا يفهم  
حقيقتها من المحب سوى المحبوب لموضع اقتراح الأسرار والقلوب ،  
١٠ كما قيل :

[٤٧: الف] يترجم طرفي عن لساني بسر كم وييدي الهوى مني الذي كنت أكرم  
تشير فأدرى ما تقول بطرفها ويطرف طرفي عند ذاك فتعلم  
تكلم منا في الوجوه قلوبنا فنحن سكوت والهوى يتكلم  
وقال بعض [في] الهوى :

١٥ على باب ليلي ما ألد تذلي وأعذب تسالي وأحلى تظلي  
مددت إليها كف ذلي لعزها وقلت لها ما شئت بالعبد فافعلي  
رمتي بسهم حين ودعت ركبها تزودته منها فلم يخط مقتلي  
ومن عجيبي أني جريح وكلمما رمتي بسهم إثر سهم يلد لي  
ولما اعتراني أنها لا تريدني وأن هواها لست عنه بمعزلي

(١-١) كذا ، ولعل العبارة تتعلق بشعر التلمساني ولم نظفر به .

(٢) في الأصل : عنها .

تمنيتُ أن تهوى سوى لعلها      تذوق مرارات الهوى فترقّ لي  
فما كان إلا عن قليل تولّعت      بحبّ غزال أهيف القد أكحل  
فعدّتها بالبعد والصدّ والجفا      وذوقها ما كان قلبي به بُلى  
فقلتُ لها هذا بذاك فأطرقت      حياءً وقالت كل من غير ابنتي

و لبعضهم :

يا صاح ما بال نسيم الصبا      قد بَّ بُرديه دموع الغمام  
وهام في الآفاق مُضنى فهل      هام بليلى فاعتراه السقام  
معاقبا أغصان بان الجحى      إذ اشبهت في اللين منها القوام  
كأنما الأغصان إذ هينمت      حيا وقد ردت عليه السلام

و كان قيس المجنون يحبّ ليلي العامرية حبا شديدا حتى جُنّ بسببها ،  
و كانت سلمى العامرية تحبّ المجنون حتى تولّعت من محبّته ، و المجنون  
لا يريد غير ليلي فقال منشدا :

جُننا بليلى وهي جُدت بغيرنا      و أخرى بنا مجنونة لا نريدها  
ولو علت ليلي بما في ضمائري      من الوجد و التبريح قلّ صدودها

و لبعضهم :

صل من هويت و دع مقالة حاسد      ليس الحسود على الهوى بمساعد  
لم يخلق الرحمن أحسن منظرا      من عاشقين على فراش واحد  
متعانقين عليهما لحف الهوى      متوسدين معصم و بساعد  
يا من يلوم على الهوى أهل الهوى      هل تستطيع صلاح قاب فاسد

فألهوى لذيد المطعم لكنه يؤذى صاحبه كما قال بعضهم:  
 [٤٧:ب] هوى يلدّ و يؤذيني لذاته كما يلدّ و يؤذى حكمة الجرب  
 قال بعضهم:

ان المرأة لا تريب ك جمال وجهك في صداها  
 ٥ وكذاك نفسك لا تريب ك قبيح فعلك في هواها

وقيل: إن ليلي العامرية دخلت بغداد بعد أن كبرت وصارت عجوزة  
 نحيفة قد دقّ عظمها و يبس جلدّها فقيل للخليفة: إن ليلي العامرية  
 قدمت بغداد، فقصد أن يراها، فأحضرت فلما وقع بصره عليها اشمأزها  
 و قال متعجبا: أنت ليلي التي صار بك قيس مفتوناً حتى سمي بالمجنون؟  
 ١٠ فقالت: أنا ليلي يا أمير المؤمنين! ولكن ليس بعينك رأيتني، ولا بقلبك  
 اشتهانى، و أنشدت قول المجنون فيها:

فيا ليت شعري هل أموتنّ حسرة بليلي و ليلي ساعة ما ترانينا  
 و إني لأخشى إن أموت صباة و في النفس حاجات بليلي كما هيا  
 على مثل ليلي يقتل المرء نفسه و إن بات من ليلي على اليأس طاويا

١٥ و بما قيل في المعنى:

توهمتّ قدما أن ليلي تبرقت و إن لتاما دونها يمنع الثما  
 فلاحت فلا والله ما كان حجها سوى أن طرفي كان في حسنها أعمى  
 و قيل: إن ليلي توفيت بعد وفاة المجنون بأيام قلائل كما سيأتي ذكر ذلك

(١) في الأصل: الذي - كذا.

(٢) كذا لرعاية القافية، وإلا فالظاهر: مفتونا.

في ترجمتها إن شاء الله تعالى . فلهوى ' لذع في العواد كذع النبال و ليس له دواء إلا الوصال . ' حكى أبو عبيدة معمر بن المثنى قال : حجَّ أمير المؤمنين عبد الملك و حجَّ معه خالد بن يزيد بن معاوية و كان من رجالات قريش المعدودين و علمائهم و كان عظيم القدر عند عبد الملك فينما هو يطوف بالبيت و إذا بامرأة مكية تطوف من أحسن النساء فسأل عنها ، فقيل : إنها رملة بنت الزبير بن العوام ، فعشقها عشقا شديدا و وقعت بقلبه . فوعا متمكنا ، فلما أراد عبد الملك القفول إلى الشام و همَّ خالد بالتخلف عنه فبعث إليه عبد الملك و سأله عن أمره و تخلفه عن السفر ، فقال : يا أمير المؤمنين ! حقيقة السر ما لا يظهر أبدا ! قال : لا بد أن تخبرني بخبرك ! فقال : يا أمير المؤمنين ! قال الشاعر :

١٠

و لها سر أرى في الضمير طويتها نسي الضمير بأنها في طيبه

[٤٨ : الف] فقال : الغالب على الضمير أن لا ينسى السر فأخبرني بخبرك ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين ! رملة بنت الزبير رأيتها تطوف بالبيت قد أذهلت عقلي ! و والله ما أبديت لك ما بي حتى عيل صبري ! و لقد عرضت النوم على عبي فلم تقبله و السُّلُو على قلبي فامتنع منه ، فأطال عبد الملك التعجب ١٥ من ذلك و قال : ما كنت أقول إن الهوى يستأسر مثلك ، قال : و أنا و الله أكثر تعجبا منك و كنت أقول إن الهوى لا يتمكن إلا من صنفين من الناس : الشعراء و الأعراب ، أما الشعراء فانهم ألزموا قلوبهم الفكر في النساء و الغزل فما ل طبعهم إلى النساء فضغفت قلوبهم عن دفع الهوى

(١) في الأصل : فلهوى (٢) في الهامش : حكاية .

فاستسلموا إليه منقادين؛ وأما الأعراب فإن أحدهم يخلو بامرأته فلا يكون  
الغالب عليه غير حُبِّه لها ولا يشغله شيء عنه فضعفوا عن دفع الهوى  
فتمكن منهم . وجملة القول: يا أمير المؤمنين! فما نظرت نظرة حالت بيني  
وبين الحزم وحسنت عندي ركوب الإثم مثل نظرتي هذه ، فتبسم  
عبد الملك وقال: أوكل هذا قد بلغ بك؟ قال: والله ما عرفت هذه  
البلية قبل وقتي هذا! فوجه عبد الملك إلى آل الزبير فخطب رملة على  
خالد فذكروا ذلك لها ، فقالت: لا والله أو يطلق نساءه امرأتين كاتنا  
عنده ، فطلقها وتزوج بها وظعن بها إلى الشام وأنشد:

أحبّ بنى العوام من أجل رملة و من أجلها أحببت أحوالها كلها  
١٠ - وهي أبيات؛ فلما وقف عليها عبد الملك نظم بيتا ودسه فيها ليكيد به  
خالداً ، لأن خالداً كان يروم الخلافة كأيّيه يزيد و جده معاوية ،  
فقال عبد الملك: يا خالد! أنت القائل:

فان تسلمى أسلم وإن تنصرى يحطّ رجال بين أعينهم صلبا  
فقال خالد: لعن الله قائل هذا البيت! ولم يعلم خالد قائله ، فحجل  
١٥ عبد الملك ، لام نفسه بنفسه . و لبعضهم في معنى محبة خالد بن يزيد لرملة  
وهي تطوف:

رب خود لقيتها في الطواف ذات حسن و بهجة و عفاف

قلت من أنت يا مليحة قالت أنا من حي آل عبد مناف

قلت أين المحل منك فقالت بالعقيقين منزلي و انصرافى

٢٠ [٤٨: ب] قلت جودى بقبلة منك قالت يععن الناس هكذا في الطواف

إن قضى الله حُجنا و انصرفنا ليس في الوصل بيتنا من خلاف  
و لبعضهم :

متى يا جيرة الشعب يسرّ بوصولكم قلبي  
و تجمع بيتنا دار  
أهبل الحسى و اعطشى  
و أيام بلا عتب  
إذا ذكرت لياليه تهيج لواعج الصب  
و يحيى قلب عاشقه حديث نسيمه الرطب

و اعلم أن الوفاء بالمحبة ذلّ المحبوب لمحبيه ، قال الشاعر :

من لم يذلّ لعز من بهواه لم يظفر و أى هوى بغير هوان<sup>١٠</sup>

فالهوى هو الهوان بعينه ولكن سُرقت نونه . قال بعض الأطباء لما سئل :  
ما دواء العشق ؟ فقال : دواؤه الوصال ، قيل : فان تعذر عليه الوصال ؟  
قال : يداوى نفسه بالتدبير المرطب بمنزلة الاستحمام<sup>٢</sup> بالماء العذب  
و الركوب و الرياضة المعتدلة و التمريخ<sup>٤</sup> بدهن البنفسج و شرب الشراب  
و النظر إلى البساتين و المزارع النضرة الزهرة و السماع الحسن و الأغاني<sup>١٥</sup>  
الطيبة و ضرب العيدان و الناي و المزامير<sup>٥</sup> و الرقص و الطرب ، كما قال  
الشاعر في راقصة و عوادة<sup>٦</sup> و زامرة و مدفقة :

(١) في الأصل : الكرام .

(٢-٢) كذا في الأصول ، و بذا لا يستقيم الوزن ، لعله : لم يظفر و ا هوى بغير  
هوان . و زيد فيه : ي .

(٣) من بن ، و في الأصل : استحمام - كذا .

(٤) وقع في الأصل : التمريخ - كذا بالجيم مصحفا .

(٥) في بن : مزامير القصب .

(٦) من بن ، و وقع في الأصل : عودية - كذا .

و راقصة لقطت رجلها حسابا به تقرت طارها

فهذي تعاقب 'عودا لها' و تلك تقبّل مزمارها

قال بعضهم - لغز في ناي .

و أسود في كف<sup>٢</sup> مجدولة زرى له خلقة منكروه

إذا استمسكت سرها عنده فأحسن ما فيه أن يُظهره

يرد على اللحن أمثاله بغير اسان و لا حنجره

و لبعضهم في الناي أيضا :

ينطق بالصوت قبل يأتي كأن في نايها لسانا انتهى

نعود إلى قول<sup>٢</sup> الطبيب أيضا : و يشعل العاشق أيضا أفكاره

١٠ بالأحاديث و الأسمار و أخبار الزهاد<sup>٤</sup> و يشتغل بالأشغال<sup>٥</sup> و الأعمال

و التصرف فان الأشغال تلهي الأفكار عن المعشوق<sup>٦</sup> فانه إذا طال ذلك

بالعشاق سلوا عن معشوقهم ، و أيضا فان الجماع<sup>٧</sup> لغير المعشوق فانه إذا

طال ذلك بالعشاق ، ما ينقص عن العشق و يزيل<sup>٨</sup> الفكر فيه و التباعد عن

المعشوق ، قال [ ٤٩ : الف ] الشاعر على لسان حال العشاق :

(١-١) وقع في الأصل : عود لها ، و في بن : عودها .

(٢) من بن ، و وقع في الأصل : كفه .

(٣) في بن : مقالة .

(٤) زيد في بن : الأخيار .

(٥) من بن ، و وقع في الأصل : بلاشتغال .

(٦) في بن : العشق .

(٧) وقع في بن : الإجماع .

(٨) وقع في بن : يزيد - كذا مصحفا .

يا معشر العشاق قوموا بنا نبيكي عسى يرخمنا الله  
 و نطلب الهجر بأنفاسنا ' فان وجدناه قتلناه  
 فان وجدنا عاشقاً مثلنا مات من العشق دفناه  
 قال بعضهم: و قد يكون المعشوق سمياً و يعشق، كما قال الشاعر:  
 و كم في الناس من حسن و لكن أذ العيش ما تهوى القلوب  
 و قيل: العاشق يزيد الوصال غراماً لزيادة الجمال، و كل ما زاد الجمال  
 زاد الكشف عن ترقى الجمال في عين العاشق بحسب زيادة غرامه دائماً.  
 (١) في بن: بأنفسنا.

(٢) زيد هنا على النص في «بن» [٣١: ب - ٣٢: ب] حكاية يزدجرد كما يلي:  
 حكى أن يزدجرد أحد ملوك فارس كان يوماً على فراشه حالاً لشربه و ندماًؤه  
 حوله، فانتبض فنهض كل من كان بحضرته من ندمائه و سماره، و كانت تلك  
 عادة ملوك الفرس اذا عبس الملك منهم أو أطرق لم يبق بحضرته أحد الا استوى  
 قائماً على حال خشية و سكون، و كان يزدجرد مضحك ظريف اللسان لطيف الفطنة  
 حسن الهيئة جيداً... حاو النادرة فحضر ذلك المقام، فبينما هو كذلك اذ رفع الملك  
 رأسه إلى الضحك فنظر إليه كأنه يحركه أن يصنع شيئاً فيه سلوة فسجد المضحك  
 ثم جثا على ركبتيه و قال إن المملوك الدليل يستأذن الملك الجليل أن يخبره عن  
 نفسه بخبر عجيب، فنظر إليه كالإذن له، فقال المضحك إن المملوك كان في حداثة  
 سنه كلفاً بالنساء مفرط الشبق إليهن الا كان ملولاً لا يثبت على محبة من أحب  
 منهن، و كان قد عشق امرأة هام بها و تهالك في حبها، و ان المملوك سافر إلى  
 بلاد السند، فبينما هو يطوف ببعض مدنهم رأى امرأة لم ير قبلاً مثلها في حسن  
 الصورة، و امتداد القامة، و رشاقة الحركات، و لبادة الإشارات، و سحر  
 الكلام و تأنق الظرف، فتبعها المملوك و هو لا يرى مواطئ قدميه من الدهش =

= حتى بلغت منزلاً فدخلت، ولزم المملوك بابها ليلاً ونهاراً، فأرسلت إليه تستعفيه من لزوم بابها، وتحذره سطوة أهلها، فشكا المملوك إلى رسولها ما يلقاه من الحب لها، والشغف بها، وأنه لا معدل له عن بابها، وأنها تمنعت عن المملوك مدة، ثم أعادت رسولها إلى المملوك فرددت إليها بمثل كلامي الأول، فأرسلت تقول إني أظن بك الهلك والغدر ولو لا ذلك لأسرت إلى مساعدتك وإلى تزوجك بشرط الوفاء فان غدرت أهدكتك بعد أن انكلك بك نكلاً يضرب به المثل، فان التزمت هذا الشرط فاقدم والا فانج بنفسك قبل أن يتعذر عليك الخلاص، وكان يقال من أوضح وبين، فقد نصح وزين، ومن حذر وبصر، فأعذر ولا قصر. قال المضحك: فالتزم المملوك الشرط وأعطى من نفسه المواعيق على الوفاء، فتزوجتها وبلغت منها الأمنية وابتث معها مدة فرارها واحدة من أقاربها فلمحتها فأعجبته ومالت نفسي إليها فتبعته إلى منزلها وجعلت أرسلها وأتردد إلى بابها فتبرمت من ذلك وشكته إلى امرأتي فرجرتني ونهتني عن ذلك وذكرته اليهود والمواثيق، فلم يزدني ذلك إلا حبا وبلحاجا، فلما رأته ذلك مني سحرتني، فصرت أسود اللون مسود الوجه وجعلت تستخدمني في كل مهنة، فإني أنا فيه عن أن هويت أمة سوداء فجعلت اتبعها وأتعلق بها، فلما كثر ذلك على الأمة شكته إلى امرأتي، فلما بلغها ذلك اشتد غضبها على فسحرتني، فصرت حمارة فجعلت تكريه لمن يكلفني في أشق الأعمال، ويحملني أثقل الأحمال، فلبثت على ذلك مدة مديدة، فلم يشغلني ما أنا فيه من البلاء عن أن هويت حمارة، فاشتد شغفي وصرت كلما رأيتها انهق وأطلبها أشد الطلب، وأرد عنها بالضرب، ففقت من ذلك ألماً شديداً، فاتفق أن امرأة المملوك زارت ابنة ملك تلك المدينة فكانت معها في قصرها تشرف منه على ما حوله، وكان المملوك في ذلك اليوم قد استأجره شيخ ضعيف البدن، كبير السن، فاحتمل عليه أواني فخار في جواني ومر بي على القصر فرأيت عند ذلك القصر تلك الحمارة التي كنت أعوها، فاملكت نفسي أن بهقت وقصدتها وفعلت ما يفعله الحمير .. =

و سأذكر أياتنا يسيرة من القصيدة الموسومة بسلسلة الرمل و أذكر عروضها لبعضهم :

يا سلسلة الرمل من لوى بيت<sup>١</sup> خال هل آذن قومي إلى الغوير بترحال<sup>٢</sup>  
أشتاقك و العملات دونك قود من ذوى<sup>٣</sup> هوج<sup>٤</sup> سابل و أتلع ذيال

= على ذلك الإحليل ، و جعل الناس يضربونني من كل جانب و الفخار يتساقط عن ظهري و الشيخ يستغيث و يستنجد بالناس ، و جعل الصبيان و الناس يعطفون من كل جانب و جهة و الحماره فارة بين يدي ترمح و أنا طالبها على تلك الحالة و ابنة الملك تنظر إلى ذلك كله فأعجبها و أضحكها ، فقالت امرأة المملوك التي سحرته : يا بنت ! ألا أخبرك بأعجب ما رأيت من هذا الحمار ؟ قالت لها : بلى . . . و قصت عليها القصة من أولها إلى آخرها ، فاشتد تعجبها مما سمعت ، ثم أمرتها . . . فأجابتها إلى ذلك و أبطلت السحر عن المملوك فعدت بشرا سويا و لم يكن لى دأب إلا الفرار ( !! ) . . . فلما انتهى المضحك من حديثه إلى هذا المبلغ سكت و كان ملك يزدجرد قد اشتد ضحكه . . . المضحك و لما شاهده من حركاته في وقت حديثه ، فلما سكن ضحكه و عاوده الوقار و الأبهة أقبل على المضحك و قد اكفهر له و قال : ويحك ! ما حملك على أن تكذب هذه الكذبة الشنعاء كأنك ما علمت أنا نحصى ( !! ) الكذب على رعيتنا ، فقال المضحك : أيها الملك ! السعيد ! ان هذا مثل تضمن من الحكم ما يعود بمصلحة المرتاض به . و لما رأيتك قد غضبت في مجلس انسك ، أردت بحديثي هذا زوال غضبك ، و انشراح صدرك ، فوصاله يزدجرد بصلته و رضى عنه - انتهى .

( ١ ) في الأصل . ييب - و صحته في « بن » [ ٣٢ : ب ] . و الأبيات هنا غامضة معقدة حاولنا نسخها من الأصول بقدر الاستطاعة و بغير تصرف .

( ٢ ) كدا ، و نعل الأبيات من الموشحات .

( ٣ ) في الأصل : ذى .

( ٤ ) في بن : عوج .

كم كان لنا منك من أغن غزيراً<sup>١</sup> يطفي علل القلب للعزائم حلال  
من ذوى<sup>٢</sup> ترفدين المعاطف خشف أو خرعة فعمة<sup>٣</sup> الروادف معطال<sup>٤</sup>  
تلقاك وقد أسفرت فروج نقاب<sup>٥</sup> مثل عيون المها و صورة تمثال  
وهي طويلة و المها بقر الوحش و قد عارضها بعضهم فقال :

٥ يا مائة العطف غصن قدك مبال يا كاملة الحسن ما لحسنتك تمثال  
أجفانك ترمى قلوبنا بنبال و الهدب لها الرش و المقوس نبال  
من علم عينك سحر بابل حتى هيجن بقلبي من البلايل بلبال  
الظبي له منك لفته و عيون و الغصن له الميل و القوام إذا مال  
من قاس محياك بالغزالة جهلا من أين لها مثل خدك و الخال  
١٠ المحيا الوجه<sup>٦</sup> ، و الغزالة اسم الشمس، و الخال الشامة السوداء على الخد  
الأحمر، قال الشاعر :

انظر إلى الخال على خدها و لونه الأسود و الحمرة  
كطابع من عنبر حطه مبخر في وسط الجمرة  
أو قطعة من بين مسك علت طايفة في رائق الخمة

١٥ عرضت على الرشيد جارية فجعل يقرب طرفه و يديم التأمل إليها [٤٩: ب]:

(١) كذا في الأصل ، وفي « بن » : غزير .

(٢) في الأصل : ذى .

(٣) كذا في الأصل ، وفي « بن » أيضا .

(٤) في بن : معال .

(٥) في « بن » : قروح تقات ! ( كذا ) .

(٦) الوجه مكرر في الأصل .

ثم قال: ما أحستها لو لا خنس بأنفها وخال بجذها! وكانت شاعرة  
أدبية فقالت: يا أمير المؤمنين

ما حسد الظبي على جيده      كلا ولا البدر الذي يوصف  
الا وما أنكره فيها      هذا الإمام العادل المنصف  
الظبي فيه خنس بيّن      والبدر فيه نكتة تعرف  
فاستمع الرشيد قولها واشتراها .

وقال الشاعر يمدح الخال فقال في مليح أسود:

يكون الخال في وجه قبيح      فيكسوه الملاحه والجمالا  
فكيف يلام من يهوى مليحا      يراه كنه في العين خالا  
والخال من الزمان الماضي ، و الخال اللواء ، و الخال الخيلاء ، و الخال  
قاطع الخلاء وهو نبات الأرض ، و الخال ضرب من البرود ، و الخال  
السحاب ، و سيف خال أى قاطع - انتهى .

نعود إلى بقية الآيات :

في ثغرك در و لؤلؤ و عقيق      في بحر مدام و سلسيل و سلسال  
يا مكسفة الشمس<sup>١</sup> في بروج سماء      يا منجلة البدر في تمام و إكمال<sup>١٥</sup>  
الناس يحلو بعسجد و لجنين      والشمس من البدر لك السوار و خلخال  
أقسمت بعينك أنت قرة عيني      يا ساكنة القلب ما لحبك ترحال  
وجدى وجدى كما الغرام غريمى      والعهد كما تعهدى و حالى ما حال  
رقى لمحب متيم بك مضنى      لا أحرفه اللوم عن هواك ولا مال

(١) من بن ، و في الأصل : الوجه .

(٢) في « بن » : اعرفه .

لو تقبلي الروح في الوصال و ما لي أعطيتك روحى و ما ملكت من المال  
 بالوصل عديني لعل يطمع قلبي بالوعد لأن العطاش تقنع بالآل  
 الآل السراب الذى يرى في البرية يحسبه الظمان ماء و ليس بماء .  
 جادت بمزار و أنعمت بوصول في كيد و شاة و حاسدين و عذال  
 ٥ ضميت و قبلت مبسما و قواما عللت بمعسول و اعتقلت بعسال  
 ما أسرع ما أصبح الصباح علينا ويحك يا وصل ما ليلك ما طال  
 كأن قصد هذا المحب لو طال الليل ليطيل له الوصل كما قال بعضهم :  
 هذه الليلة لا أصبح لها مثل يوم الحشر لا ليل له  
 و للقاضى عبد الوهاب المالكي في الغزل :

١٠ [٥٠: ألف] إذا ملت للتقيل مالت تدللا و قالت و ما تخشى و أنت إمام  
 فلا تحسبن الريق منى محطلا فريقي مُدام و المدام حرام  
 ادو بيت<sup>١</sup> في معناه :

صيرت فمى لفيه باللم لثام عمدا<sup>٢</sup> و رشفت من ثناباه مدام  
 فازور<sup>٣</sup> و قال أنت في الفقه إمام ريبقى خمر و عندك الخمر حرام  
 ١٥<sup>٤</sup> و للقاضى عبد الوهاب<sup>٥</sup> :

ينبت دُرا ناضرا ناظرى في و حنة<sup>٦</sup> كالقمر الطالع  
 فلم منعتم شفتى قطفها<sup>٧</sup> و الحكم أن الزرع للزارع

(١-١) في بن : و مما قيل .

(٢) في بن : عدا - كدا .

(٣-٣) في بن : و لبعض الفقهاء .

(٤) في الأصل و بن : و جنته .

(٥) من بن ، و في الأصل : قطعها .

و لأبي الطيب المتنبي يمدح البدويات و يفضلهن على الحضريات :  
 من الجآذر في زىّ الأعراب مَحْر الحلى و المطايا و الجلايب  
 ما أوجه الحضرمستحسنت به كأوجه البدييات الرعايب  
 أفدى ظباء فلاة ما عرفن بها مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب  
 ولا برزن من الحمام مائلة<sup>٥</sup> أوراكهن صقيلات العراقيب ه  
 حسن الحضارة مجلوب بتطرية و في البداوة حسن غير مجلوب  
 و من هوى كل من ليست بموهة و تركت<sup>٢</sup> لون مشيبي غير مخضوب  
<sup>٤</sup> و كان أبو بكر الخوارزمي يقول: أمير الشعراء أبو الطيب المتنبي  
 و أمير شعره قصيدته التي أولها: من الجآذر في زى الأعراب ، و أمير  
 هذه القصيدة<sup>٥</sup> :

١٠

أزورهم و ظلام الليل يشفع لي و أنتى و ضياء الصبح يغرى بي  
 و كان المتنبي في حدائثه منه كذبوا عليه و وشوا<sup>٦</sup> به إلى السلطان و زعموا  
 أنه قد ادعى النبوة و أن قوما قد أجابوه و أنه يريد الخروج على  
 السلطان ، فحبسه السلطان و ضيق عليه ؛ فكتب إليه من الحبس يقول :  
 وكن فارقا بين دعوى أردت و دعوى فعلت بشأ و بعيد<sup>١٥</sup>

(١) في بن : عرفت .

(٢) في بعض المنشور من شعره : مائلة .

(٣) من ديوانه ، و في الأصل : تركن .

(٤) بهامش الأصل : المتنبي .

(٥) زيد في بن : قوله .

(٦) في بن : وشى .

فأطلقه من السجن<sup>١</sup> و صار هذا اللقب علما عليه لا يعرف إلا بالمتنبى .  
 و سأذكر الآن سؤال فقراء العرب و فصاحتهم في سؤالهم - إن شاء الله  
 تعالى؛ قال الأصمعي: رأيت أعرابية ذات جمال بارع بمنى تسأل الحاج  
 فقالت: يا أمة الله! تسألين ولك مثل هذا الجمال<sup>٢</sup>! قالت: قدر الله فما أصنع؟  
 ٥ قلت: فمن أين معاشكم؟ قالت: هذا الحاج تقمهم و تغسل ثيابهم، [٥٠: ب]  
 قلت: فاذا ذهب الحاج فمن أين تعيشون؟ فنظرت إلى و قالت: لو كنا  
 نعيش من حيث نعلم ما عشنا - ثم قالت:

لا تعجلن فليس الرزق بالعجل الرزق في اللوح مكتوب مع الأجل  
 فلو صبرنا لكان الرزق يتبعنا وإنما خلق الإنسان من عجل  
 ١٠ و لبعضهم في معناه:

جرى قلم القضاء بما يكون فسيان التحرك و السكون  
 جنون منك أن تسعى لرزق و يرزق في غشاوته الجنين  
 قال الشيخ عبد العزيز<sup>٣</sup> الحراني: كنت مرة بقلوب و بين يدي صبرة  
 قمح فجاء رنبور فأخذ واحدة ثم جاء فأخذ أخرى و فعل ذلك أربع  
 ١٥ مرات، فذهبت فاتبعته فاذا هو يضع حبة<sup>٤</sup> القمح في فم عصفور أعمى  
 فوق غصن من أغصان تلك الأشجار التي هناك! فسبحان المدبر الحكيم!

(١) في بن: الحبس .

(٢) زيد في بن « البارع » .

(٣) في الهامش: نكتة، بمعنى حكاية .

(٤) في بن: عبد الرحمن .

(٥) في الأصل و بن: الحبة .

(٦) في بن: نقلت سبحان .

وقال بعضهم: حججت سنة من السنين فترلنا واديا فيينا<sup>١</sup> نحن جلوس  
إذ وقعت علينا جارية على وجهها برقع فقالت: يا معاشر الحجيج! تفر  
من هديل<sup>٢</sup> ذهب تنعمهم وتمرست بهم الأيام فمن يراقب فيهم الدار  
الآخرة تجزي خيرا! وأنشأت تقول:

- ٥ كفت الزمان توسدتنا عنوة شلت أناملها عن الأعراب  
قوم إذا حل العفاة يبابهم ألقوا نوافلهم<sup>٣</sup> بغير حساب  
فقلت لها: لو متعتني<sup>٤</sup> بالنظر إلى وجهك! فكشفت البرقع عن وجه  
لا تهدي العقول إلى وصفه، فلما رأتنا قد بهتا نظر إليها<sup>٥</sup> أنشأت تقول:  
الدهر أبدأ صفحة قد صانها أبوأي عند تمرس الأيام  
١٠ فتمتعوا بعيونكم في حسنها وانها جوارحكم عن الآثام  
قال: فجمعنا من بيننا رفقا ودفنناه لها وانصرفت<sup>٦</sup>. ولعل الشيباني يسلم

(١) في بن: فيينا.

(٢) كذا، ولعله: هذيل - بالذال المعجمة.

(٣) في بن: نوافلهم.

(٤) في بن: متعتينا.

(٥) من بن، وفي الأصل: إليه.

(٦) زيد في بن: وقال الأصمعي: مررت بالحديبية فاذا اعرابي يسأل على باب  
عجوز... عليه: بورك فيك! فأنشأ يقول:

رب عجوز عرّس زبون سريعة الردّ على المسكين

تظن أن بورك يكفيني وقد غدوت باسطا يميني

قال الأصمعي: فأخذت بيده فأتيت به المنزل فوضعت... الأكل فجعل يتفر  
فقلت: ألا تستوفى أكلك؟ فبقي على ركبتيه فقال: إني على ما كان من هواني  
وقلة اللحم على أوصالي أجثو على الركبة وأعظم اللقمة فان كان كريما اسره =

على بدوية تسمى « زينب » و يتشوق لها و لامثالها:  
 ياراكب الوجناء من خزاعة يرفلها طورا و طورا خيا  
 حتى آيت اللعن حتى زينبا إن جزت بالربع و حتى زينبا  
 ما أنصفت زينب لما أن نأت و خلفتني دنفا معدبا  
 ه أسامر النجم إذا جنّ الدجى شوقا إلى غيد كأمثال الظبا  
 يرض حسان خرد كواعب إذا رنوا محجبا رأيت عجبا  
 [٥١: الف] يسفرن عن مثل الشمس أوجها و يختلبن القانت المهديبا  
 القانت: العابدة و قوله: آيت اللعن، معناه أى آيت شيئا تلتعن به . و اعلم أن  
 نساء العرب هن اختيار فى سكنى البرارى و الفيافي و الفلوات و يفضلنها  
 = و إن كان لثما غصه الله بكذا وكذا - يصرح و لا يكفى . و قال الأصمعى:  
 توضع أعرابي فبدأ بوجهه و رجليه ثم استنجى ، فقيل له : اخطأت السنة ! فقال:  
 لم اكن أبدا بالخبيثة قبل جوارحى . و دخل أعرابي مسجدا بعد الفجر فوجد  
 الإمام يصلى سورة البقرة و أطال الوقوف حتى ضجر . فلما صلى الإمام الركعة  
 الثانية قرأ الإمام فيها « الم تركيب فعل ربك باصحب الفيل » فقطع الصلاة و خرج  
 من المسجد و هو يقول : الفيل أكبر من البقرة و متى يفرغ منه ؟ ولى  
 منصورفا . و قال الأصمعى : صلى أعرابي خلف إمام فقرأ الإمام السجدة ، فلما  
 انتهى إلى موضع السجدة خر ساجدا من غير ركوع و سجد القوم معه ، ففرغ  
 الأعرابي و خرج هاربا و هو يقول : إنا لله و إنا إليه راجعون ، الحمد لله على السلامة !  
 فقلنا له : ما دهاك ؟ فقال : صعب أهل المسجد و نجاني الله عز و جل من بينهم . و اعلم  
 أن العرب هن اختيار - الخ .

(١) وقع فى الأصل : زينبا - كدا .

(٢) وقع فى الأصل : زينب - كدا .

على سكنى الحاضرة<sup>١</sup> و الأبيات . أخبرني موسى البدوي السالمي أحد بني سالم النازل في بيوت - الشعر بأرض تروجة قال : دخلت الإسكندرية مستصحبا معي والدتي عجوزا<sup>٢</sup> كبيرة لبعض السبب ولم تكن أبدا دخلت بلدا ، فلما حصلت بالإسكندرية قالت : يا ولدي ! أخرجني من هذا البلد العفن الذي ضيق رؤيته أنفاسي و جلب الغم على إحساسي ، قال : فبادرت<sup>٣</sup> و أخرجتها إلى البر ، فعند ذلك قالت : ذهب الآن عني الهم و الغم . و كانت أم يزيد بن أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان امرأة بدوية لم تر الحاضرة قط ، فلما تزوجها معاوية نقلها من البادية إلى القصور العالية بدمشق و كانت تسمى ميسون بنت بجدل ، فاشتقت إلى وطنها بالبر فأنشدت تقول :

١٠ لبيت تخفق الأرياح<sup>٤</sup> فيه أحب إلى من قصر منيف<sup>٥</sup>  
 و كلب ينبح الطراق عني أحب إلى من ققط ألوف  
 و لبس عباية و تقر عيني أحب إلى من لبس الشفوف  
 و خرق من بني عم نجيف أحب إلى من عالج عنيف<sup>٥</sup>

فلما سمع معاوية الأبيات قال : صيرتني البدوية علجا ، فطلقها و ردّها إلى

(١) في بن : الدور .

(٢) وقع في الأصل : عجوز - كدا .

(٣) من بن ، وفي الأصل : الارواح .

(٤) قصيدة مشهورة و فيها أبيات أخرى :

و أكل كسيرة في كسر بيني أحب إلى من أكل الرغيف

و أصوات الرياح بكل فج أحب إلى من تقر الدفوف

(٥) و في بعض النسخ : عجل عليف .

أهلها و حمل على قلبه من كلامها ، و صار كما قال الشاعر :

و قد يرجى لجرح السيف براء و لا براء لما جرح اللسان

فالبدوية أبدا لا تحب غير وطنها و مرباها الذي ربيت به<sup>١</sup> و نشأت فيه<sup>٢</sup>.

قال زيد بن عمرو الثعلبي : كان فينا رجل له ابنة جميلة و كان له ابن أخ

يهواها و تهواه ، فمكثا على ذلك دهرا ، ثم ان الجارية خطبها بعض

الأشراف يرتحل بها من البادية إلى الحاضرة و أرغب في المهر فأنعم

أبوها و اجتمع القوم للخطبة ، فقالت الجارية لأمها : يا أمه ! ما يمنع أبي

أن يزوجني من ابن عمي و يتركني بأرضي مكان إني و موطني<sup>٣</sup> ؟ قالت :

أمرا كان مقضيا ، قالت : و الله ما أحسن رباة صغيرا ثم يدعه كبيرا !

ثم قالت : [ ب : ٥١ ] أي أمه ! إني و الله منه حامل فاكتمي إن شئت

أو بوحى ! فأرسلت الأم إلى الأب فأخبرته<sup>٤</sup> الخبر ، فقال : اكتمي<sup>٥</sup> هذا

الأمر<sup>٦</sup> ، ثم خرج إلى القوم فقال : يا هؤلاء ! إني قد أجبتم و إنه قد حدث

(١) في الأصل و بن : التي .

(٢) في بن : فيه .

(٣) زيد هنا في « بن » [ الف : ٢٤ ] قال بعض الحكماء يداوى كل عليل . . . .  
لبقرات ما بال الإنسان يضطرب بدنه كثيرا اذا شرب دواء ، قال : مثل البيت  
أكثر ما يكون فيه كنس . و قال الشاعر في حب الوطن :و حب لأوطان الرجال إليهم مآرب قضاها الشباب هنالكا  
( في بن : اوطان - كدا و لا يستقيم به الوزن )إذا ذكروا اوطانهم ذكرتهم عهد الصبي فيها يحنو لذلك  
(٤) في بن : تمنع .

(٥) في بن : وطني .

(٦) في بن : تخبره .

(٧-٧) في بن : الخبر .

أمر رجوت فيه الأجر' و إني أشهدكم أني قد زوجت ابنتي فلانة من ابن أخي فلان! فلما انقضى ذلك قال أبوها: أدخلوها عليه، فقالت الجارية: هي 'بالرحمن كافرة' إني دخل عليها سنة أو تبين حملها! فما دخل عليها إلا بعد سنة، فلم أهلها أنها احتالت على أيها حتى زوجها به و أقامت بمكان مرباهما<sup>٢</sup>، قال بعضهم يمدح العيون في براقها: ٥

عيون الغواني من حواشي البراق أحد من البيض الرقاق القواطع  
إذا غضبت ذل الشجاع و أصبحت محاجرهم مقروحة بالمدامع  
و قال بعضهم:

من لاحظ الأعين المراض ضحوة<sup>٣</sup> وعين الحور الفتان والدعجا  
يرجو حياة فلا والله ما فتكت تلك اللواحق في قلب امرئ فتجا ١٠  
و قال ابن الفارض:

و من يتحرش بالجمال إلى الردى أرى نفسه من أنف العيش ردت

(١) في بن: الأمر .

(٢-٢) في بن: الكافرة .

(٣) زيد هنا في « بن » [ ٣٤ : ب ] قال بعضهم:

لا تغرب عن وطن واحذر تصاريف النوى

أما ترى العنن إذا فارقه الأصل زوى

(في بن: فارق - كذا ولا يستقيم به الوزن)

سؤال في الحلوان الذي تأخذه العرب في تزويج بناتهن وأخوانهن لأنفسهم .

الجواب: لا يحل للولى أخذه ولا أكله، ومن أكله لا يجوز شهادته (في بن:

شهادة) ولا يجوز عليه صدقة - الخ .

(٤) في الأصل وبن: ضحى - كذا ولا يستقيم به الوزن .

و نفسى ترى فى الحبِّ ألا ترى عنا متى ما تصدت للصباية صدت  
و أين الصفا هيئات من عيش عاشق و جنة عدن بالمكاره حُفَّت  
و قال ابن عطاء الله :

و ما لاقى الأحبة مثل بُعد تفتت منه حبات القلوب  
و من يعشق معزرة شرودا فلا يسأم مُقاساة الكروب

و لبعضهم فى العيون و فضلها على السيوف و الرماح :

إنَّ العيون السود أقوى مَضربا من كل خطى و كل يمان  
فضل العيون على السيوف لآنها جرحت و لم تبرز من الأجفان

الخطى : الرماح ، و اليمان : السيف ، و الأجفان أجفان العيون ، و جفير السيف

١٠ يقال له : جفن ، و المركب التى يبحر الملح يقال لها : جفن ، و الجمع أجفان .

و العيان تثنى عين ، و هى الحاسة الباصرة ، و هى مؤنثة ، و الجمع

عيون و أعين و أعيان ، و التصغير عيينة ، و العين تطلق على أشياء بالوضع :

فالعين [ ٥٢ : ألف ] الباصرة ، و العين عين الماء ، و العين عين الركبة ،

و عين الشمس ، و عين الشهر أوله ، و عين السنة أولها ، و العين الأخ ،

١٥ و العين العبد ، و العين الشاهد ، و العين إحدى حروف المعجم ، و العين

الجاسوس ؛ يقال : إن ملوك العجم كانوا إذا أرسلوا رسولا إلى الملوك

أرسلوا معه جاسوسا ليكتب جميع ما قاله و سمعه ، فاذا عاد الرسول

قابلوا كلامه بالنسخة التى كتبها الجاسوس فان صحَّ مقاله علموا أنه صادق

فيرسلوه بعد ذلك إلى الأعداء . و الذى يؤثت من جسد الإنسان

(١) بهامش الأصل : العين .

(٢) بهامش الأصل : و المؤثت من جسد الإنسان .

و لا يذكر فهي العين و الأذن و الكبد و الكرش و الورك و الساق  
و القدم و العقب و العضد و الاصبع و الضلع و اليد و الرجل و الكف  
و العجز و اليمين و الشمال .<sup>١</sup> و الذي يذكر من الأعضاء و لا يجوز  
تأنيته فهو الرأس و الجبين و الخد و الفم و الأنف و المنخر و الشعر  
و الناب و الذقن و البطن .<sup>٢</sup> و الذي يذكر و يؤنث من أعضاء الحيوان  
فهو العنق و اللسان و الإبط و الذراع و المثن و العاتق و القفا و الضرس .  
<sup>٣</sup> قال المأمون لبعض الأعراب : كم في بدن الإنسان من كاف ؟ قال أتممت عشرة  
فلك عشرة آلاف درهم ! فقال : نعم يا أمير المؤمنين ! في بدن الإنسان  
كف و كوع و كرسوع و كاهل و كبد و كتف و كفل و كلوة و كرش ،  
فقال له المأمون : لا أم لك ! أخطأت ، لا كرش لابن آدم ، فأطرق ثم رفع  
رأسه فقال : يا أمير المؤمنين ! إنما أجلتك و أبدلت الكمرة بالكرش فهي  
تمام العشرة ، فقال : قاتلك الله ! وددت أني ما عثرت عليك - و أعطاه المال .  
و سأذكر ما قيل في التركيات القفجقيات و غيرها من النساء الفاتنات  
بالأعين القاتلات - إن شاء الله تعالى . أما التركيات فالحسنة منهن كالدرة  
التيمة التي ليس لها لانفرادها بالحسن قيمة ، قال الشاعر :

١٥

مرت بنا هيفاء مجدولة تركية تنمي لتركي  
ترنو بطرف فآن فآسر أضعف من حجة نحوى

(١) بهامش الأصل : الذي يذكر من الأعضاء و لا يجوز تأنيته .

(٢) بهامش الأصل : الذي يذكر و يؤنث .

(٣) بهامش الأصل : كم في بدن الإنسان كاف .

اعلم أن علم النحو مستنبط من كلام العرب بالقياس ، لأنهم استقروا  
 الفاعل وجدوه مرفوعا و المفعول منصوبا فمقاسوا البقايا على هذا  
 الحكم بالاستنباط ، لأن الحجّة إن لم تقم من القرآن و دليله قاطع  
 أو من السنة [ ٥٢ : ب ] أو من الإجماع و القياس الذي رد فرعا  
 إلى أصل و إلا فحجّة النحاة إذا ضعيفة ، لأنهم يستندون إلى قول الأصمعي  
 و أبي عبيدة و غيرهما من العرب الذين لا تعرف عدالتهم ، و دليلهم  
 واضح صحيح ، لكنه ما نقل عن الثقات كاشتراط العدالة في الحديث - والله  
 أعلم . و قال الشاعر في جارية قفجقية ثلاثة أبيات جميلة :

عجنا بعجم أدلجوا و تدلجوا      يرجون جيرون و جنة جلق  
 ١٠ جاءوا بجمارية جمال جينها      كالمهرجان بنجل جنس قفجق  
 زجاء دججا ضربت و جناتها      ضجت ليهجتها جنود الجوسق  
 و لبعضهم :

الله ما صنعت بنا      تلك المهاجر في المهاجر  
 أقضى و أمضى في النفو      س من الخناجر في الخناجر  
 ١٥ و لقد تعبت بينكم      تعب المهاجر في الهواجر  
 و لبعضهم في الحب :

(١) من بن ، و في الأصل : مقايسات - كذا .

(٢) في الأصل و بن : يستندوا - كذا .

(٣) في الأصل و بن : التي .

(٤) في بن : لكن .

(٥) في بن : الخوق .

الحبّ أوّل ما يكون ولع فإذا تمكّن في الفؤاد صرّع

ويلى من الحبّ بما قد شفى ماذا على من الهموم جمع

و لبعضهم :

خود بسود الحواجب احتجبت عنا وبيض المعاصم اعتصمت

لو رأت الشمس وهى طالعة كانت لأقدام رجلها ثمت ه

و للبغادرة شعر ملحون يسمى "قوما" فمته :

نبل الحور و الفتور بين الكلل و الستور ترمى بقوس الحواجب

وهو بلا موتور و الفاحم الديجور دائم علينا يجور

يواصل الخصر و أنا من شقوتى مهجور كيف لا تهيج الصدور

فى حب ييض النحور و قد تجلّت علينا أغصان تحمل بدور ١٠

قالوا محبتك زور تبخل و تطلب تزور ذا حر نار المحبسه

ما ينطفى بالزور إن ردت تحظى بحور اجعل كوقوفك بحور

أو لا فلا تتعشق قد وودنا والنحور

و لأبى الفضل قاسم القصار :

و مليحة كل الملاحه قد حوت تسي و تفتك<sup>٢</sup> فى الورى لمحاتها ١٥

هندية لحظاتها خطية خطراتها مسكية نفحاتها

قيل : أمر قوم امرأة ذات حسن و جمال أن تتعرض للريع بن خيثم

فلعلها تفتته و جعلوا لها إن هى فعلت ألف درهم ، فلبست أحسن ما

(١) فى الأصل : ما .

(٢) فى بن : تفتك .

قدّرت عليه من الثياب و تطيّبت بأطيب ما قدّرت عليه ثمّ تعرّضت له حين [ ٥٣ : الف ] خرج من مسجده ، فنظر إليها في تلك الحال فراعها و جمالها ، ثمّ أقبلت عليه بعد أن سمرت له عن وجهه كالقمر حسنا و جمالا ، فقال لها الربيع : يا هذه ! استرى وجهك و لا تتبرجى ، كيف بك لو نزلت الحمى بجسمك فغيرت ما أرى من نورك و بهجتك ٥ أو كيف بك لو نزل بك الموت فقطع منك جبل الوتين ، أم كيف بك لو قد سألك منكر و نكير ؟ فلما سمعت المرأة مقالته صرخت صرخة عظيمة خرّت مغشيا عليها ثمّ أفاق ، و بلغت من عبادتها أنها يوم ماتت كانت كأنها جذع محترق - انتهى .

١٠ و سأذكر ما قيل في الروميات اللواتي بالحسن موصوفات ، أما الروميات فهن الناعمات ذوات الأجسام الشبيهة للفضيات فالحسنة منهن لا يعادلها شيء من لين بشرتها و ضياء بهجتها :

قال بعضهم في رومية جميلة :

و رومية الجنس من قدّها تغار العصور إذا ما اثنت

١٥ بطرف كحيل و خد أسيل لها كل عين رأتها رنت

و للثني بيت من آيات جمع فيه أربعة أوصاف في امرأة و هو :

(١) في بن : اسمرت .

(٢) في بن : استرى .

(٣) في الأصل : سائلك ، و في بن مطموس .

(٤) زيد من بن .

بدت قمرًا و ماست نُحوط بانٍ و فاحت عنبرًا و رنت غزالًا  
و قال ابن الفارض :

و بالحدق استغنيت عن قدحى و من شمائلها لا من شمولى نشوتى  
أشار إلى أن نشوته إنما كانت لرؤية شيء من المحبوب ظاهرًا كالشمائل،  
و الحدق ههنا تستعمل للناظر و المنظور مواضع الفتن و مواضع المحن،  
و هى من الناظر أسباب الموت بالحب و أسباب الحياة بالحب كقول الذائق:

ترنو فتخطف مهجتى و أرى فيخطفها البصر  
فتميتنى بنواظر و أعودٌ أحيى بالنظر

و المخطوف المهجة، و كلانا خاطفان؛ و المقلة وسط الحدقة - انتهى .

و كان لبعضهم جارية رومية عجمية اللسان كاملة الحسن جميلة ١٠  
الوصف تسمى مريم و قد شغف بمحبتها فطلبت منه للبيع نخاف أن  
تؤخذ منه قهرا فأعتقها و تزوج بها و قال فيها:

إذا ما دعوتك يا مريم أذوب اشتياقا و لا أعلم  
و ما لى أنس سوى ذكرها و هذا هو الألم المؤلم

١٥ [٥٣: ب] فتاة من الروم خصاصة تسمى إذا دُعيت مريم

(١) فى ديوانه : شمائله .

(٢) زيد من بن .

(٣) فى بن : اعوذ .

(٤) من بن ، و فى الأصل : نخافت .

(٥) من بن ، و فى الأصل : فعتقها .

(٦) فى بن : اموت .

فان اللسان به عجمة وقد تفهم العرب الأعجم  
 وحق جمالك يا مريم لقد شاقني ذلك المبسم  
 لأن غاب شخصك عن ناظري لقد أنت في خلدي تنعم  
 وإن اللسان به ناطق وإن الفؤاد به مغرم  
 تحكم في القلب سلطانها وحكم الهوى هو ما تحكم  
 فيا حسنها بين أترابها هلال تحف به الأنجم  
 و لبعضهم في جارية من بنات العجم:

جارية من بنات بهرام لباسها سندس و ديباج  
 إذا تمشت يكاد يجذبها ردف لها كالكتيب رجراج

١٠ قيل: كان للحجاج بن يوسف الثقفي جارية من خواص جواريه رومية  
 فوفد عليه بعض بني عمه فرأى الجارية عنده فأعجبه ، و فطن به الحجاج  
 فوهبها له فانصرف بها ، و أصبح الفتى و قد فقد الجارية ، فصار إلى الحجاج  
 فأعلمه خبرها ، فتودى براءة الذمة عن رأى جارية من صفتها و أمرها  
 فلم يلبث أن أتى بها ، فقال لها : ويلك ! ما حملك على الهرب ؟ قالت :  
 ١٥ اسمع قصتي و افعل ما بدا لك ، قال : هات ، قالت : كنت 'لفلان الأمير' كما  
 تعلم و كان بي معجبا 'فاحتاج إلى ثمن' فحملني إلى الكوفة فلما نزلنا قريبا  
 منها دنا مني فوقع علي فلم يلبث أن سمع زئير أسد فوثب عنى إليه و عاد  
 برأسه إلى و عاودني فقضى حاجته مني ، و ابن عمك هذا لما أظلم الليل

(١) في بن : عند فلان التاجر .

(٢) في بن : فاختر بيبي .

قام إلى فانه على صدرى إذ وقعت عليه فأرة من السقف فصرط ثم  
 وقع مغشيا عليه، فكثت طويلا أقبه و أرش عليه الماء وهو لا يتحرك  
 فحفت أن يقال قتلته الجارية فهربت من القتل، فما ملك الحجاج نفسه  
 ضحكا و قال لها: ويلك! لا تذكرى هذا لأحد فانها لفضيحة<sup>٢</sup>، قالت: على  
 شرط! قال: وما هو الشرط؟ قالت: على أن لا تردني إليه، فقال: لك ذلك،<sup>٥</sup>  
 و ردّها إلى داره<sup>٢</sup>.

و قال بعضهم: كانت لى جارية رومية كظية من الغزلان فى خدها  
 ورد و موسان، بضم ميم، و عتق ريم، و ذوائب شعر كالليل البهيم؛  
 فتمكن حبها من قلبى و أكبادى، حتى سلبت [ ٥٤: الف ] عقلى و قوادى،  
 و غربتنى عن أهلى و بلادى، وهى كما قال فى مثلها الشاعر:<sup>١٠</sup>

تطيب لنا الدنيا إذا ما تبسمت      كأن تثير المسك من ثغرها هبا  
 ولو تفلت فى البحر و البحر مالح      لأصبح ماء البحر من ريقها عذبا  
 ولو أنها للشركين تعرضت      لكانت لهم من دون أصنامهم ربا  
 ولو أنها فى الغرب تبدو لراهب      لخلى سبيل الشرق و اتبع الغربا

(١) فى بن: فكث .

(٢) فى بن: الفضيحة .

(٣) زيد هنا على النص فى « بن » [ ٣٦: ب - ٣٧. الف ] بعض القصص عن  
 الأصمعى وما ذكره فى أمر الأعراب و الجوارى، من ذلك قصة أبى مهدية الذى  
 اشترى جارية بمائة و خمسين درهما هبة من ابن زيادة الشيبانى، و قصص أخرى  
 فى نصها بياض و فى أشعارها نقص و تكسير لا يتيسر معه نسخها كاملة .

قال : فينا أنا كذلك إذ تيقنت أنى مدتف هالك فقصدت<sup>١</sup> إلى وطنى  
 ومستقرى و سكنى ، فركبت جوادا أبلق مليح الحدق ، أبيضه ساطع  
 وأسوده<sup>٢</sup> لامع ، وهو فى مشيه<sup>٣</sup> كالغزال الرائع ، فأخذت الجارية على  
 متن جوادى ، وأعددت للسير إعدادى ، فينا أنا فى بعض الطريق ، بمقربة  
 ٥ من المضيق ، انقضت على عفريتان عظيمان صلصلة أصنامهما كالصواعق ،  
 ودوى أصواتهما كالرعد الناطق ، يهشمان الأحجار ، ويخرج من  
 أفواههما لهب النار ، وفيهما عفريت أبتى فأرسل على برق عينيه ، وقد  
 سال<sup>٤</sup> لعابه على شذقيه ، فحمل على لأن يأخذ الجارية من بين يدي ،  
 فقلت : هذا عفريت عنيد ، وشيطان مرید ، فلا ينجنى منه إلا الضرب  
 ١٠ بالحديد ، من ساعد<sup>٥</sup> شديد ، ولا يقطع الحديد إلا الحديد ، فما زلت أكافه<sup>٦</sup>  
 حتى قتلته ، فلما عاين العفريت الآخر ما حل<sup>٧</sup> بصاحبه تركه و هرب ، فخذيت<sup>٨</sup>  
 السفر بالجارية إلى أن وصلت<sup>٩</sup> بلدى فأعتقت<sup>٩</sup>ها ، وتزوجت بها ، فحصل لى  
 بعثتها الأجور ، وبتزوجها السرور .

(١) زيد فى بن : حملها .

(٢) فى بن : سواده .

(٣) فى بن : مشيته .

(٤-٤) فى بن : لعابه .

(٥) فى بن : مساعد .

(٦) زيد فى بن : واحمله .

(٧) فى الأصل وبن : فخذيت .

(٨) زيد فى بن : الى .

(٩) من بن ، وفى الأصل : فعتقتها .

تذاكروا في حاضرة أمير المؤمنين الرشيد الشعر فذكروا أبياتا

في جارية حسناء وهي :

بيضاء خالصة البياض كأنها قمر توّسط جنح ليل أسود  
 موسومة بالحسن ذات حواسد إن الحسان مظنة للحسد  
 وترى مدامعها تدور بمقالة حوراء ترغّب عن سواد الأمد  
 لم يطغها شرح الشباب ولم تخن يوما معاهدة الفصيح المرشد  
 وتبرجت لك فاستبتك بواضح صلت وأسود في الخمار مجعد  
 وكان طعم سلافة معلولة بالريق في أثر السواك الأملد

فطرب الرشيد و قال : والله هذا هو الشعر لا ما كنا فيه ! و طلب الجوارى  
 من النّخاسين ، فأحضروا له منهن جوارى حسانا<sup>٢</sup> فعرضوا عليه [٥٤ : ب] ١٠  
 فرأى فيهن جارية شبيهة بما قيل في الشعر المذكور ، فاشتراها وأحضر  
 القاضي أبو يوسف يعقوب فقال له : قد اشتريت جارية<sup>٣</sup> في هذا اليوم  
 ولا وجدت لي صبوا عنها إلى حين أستبريها فماذا أصنع ؟ قال : أعتقها  
 وتزوج بها واخل بها ، فأعتقها الرشيد وتزوجها<sup>٤</sup> و خلا بها الرشيد  
 من ساعته .

١٥

(١) زيد في بن : حينئذ .

(٢) في الأصل و بن : حسان .

(٣) في بن : هذه الجارية .

(٤) من بن ، وفي الأصل : فعتقها .

(٥) من بن ، وفي الأصل : تزوج بها .

وسأذكر ما تسمى به الجوارى اللواتى كالأقمار من ذلك ، فاضحة  
الجمال ، شمس الأكاليل ، مشرقة الجمال ، ذات الأقمار ، فائضة الجمال ،  
بدر الأفلاك ، صنم المها<sup>١</sup> ، بدر المباسم<sup>٢</sup> ، ذات الأنجم ، الدجاء ، عسجدة ،  
زبرجدة ، لؤلؤة ، جوهرة ، ذات الكواكب ، ذات المحاسن ، باهرة الجمال ،  
هـ مرجانة الهند ، جوهرة الملوك ، شجر الدر ، نظم الشذور ، نثر اللآلى ،  
روضة الحسن ، زهرة البستان ، روضة الأنس ، قوت القلوب ، بهجة الأنس ،  
مهجة القلب ، مالكة المهج ، قوت النفس ، سرور القلب ، أطلس ، دياجة<sup>٤</sup> .  
وسأذكر هنا ما قيل فى عتق السراى والتزويج بهن إن شاء الله  
تعالى - قال العلماء : من أعتق جاريته<sup>٥</sup> وتزوج بها كان له أجران للحديث  
١٠ المروى عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو أنه قال : من كانت له جارية  
فعلها وأحسن إليها تم أعتقها وتزوجها كان له أجران ، قيل : فيه أجر  
التأديب والتعليم وأجر التزويج لله وأن الله تعالى قد ضاعف له<sup>٦</sup> أجره  
بالنكاح<sup>٧</sup> والتعليم وجعله كمثل أجر العتق ، وفيه الحوض<sup>٨</sup> على العتق  
وعلى نكاح المعتق وعلى التواضع وترك العلو فى الدنيا وأخذ  
١٥ القصد والبلغة منها ، وأن من تواضع لله فى منكحه وهو يقدر على

(١) من بن ، وفى الأصل : الجوار .

(٢) زيد فى بن : حكم الهوى بلغ المنى .

(٣) زيد فى بن : ساحرة الأجفان .

(٤) زيد هنا فى « بن » [ ٣٨ : الف ] جاء هنا ، بستان ، رياض .

(٥) فى بن : جارية .

(٦ - ٦) فى بن : اجر النكاح .

نكاح أهل الشرف و الحسب و المال يرجو به جزيل الثواب، و العتق من أفضل القربات، قال الله تعالى "فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ" و قرئت "فك رقبه" و في الصحيح<sup>١</sup> من حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها عضواً من أعضائه<sup>٢</sup> من النار حتى<sup>٣</sup> فرجه بفرجه<sup>٤</sup> . ٥  
فان قيل: لما ذا خصص الفرج بالذكر دون سائر الأعضاء؟ ولما ذا لم يقل: الوجه بالوجه و اليد باليد؟ و كذا في قوله: أعتق<sup>٥</sup> الله منه بكل عضو عضواً<sup>٦</sup>، فدخل الفرج في الأعضاء فأى شيء أكد [ ٥٥ : الف ] بالفرج دون سائر الأعضاء؟ و ما ذا إلا لفائدة . قيل: لأن في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: من كفاه الله ما بين لحييه و بين رجليه - يعنى اللسان ١٠ و الفرج - دخل الجنة . و الفرج<sup>٧</sup> هو محل الخطيئة، لأن العين تزنى و اليد تزنى و يصدق ذلك الفرج، فجعل محل المغفرة في الفرج لأنه محل الخطيئة فأكد به .

وسأذكر ما قالته العلماء في الإمام و غيرهن إن شاء الله تعالى، قالوا:

- (١) قرآن كريم ٩٠ : ١٢ .
- (٢) في بن: الصحيحين .
- (٣-٣) في بن: منه .
- (٤-٤) في بن: الفرج بالفرج .
- (٥) من بن، و في الأصل: عتق .
- (٦) من بن، و في الأصل: عضو .
- (٧) في بن: قالفرج .

إن الزعر في اللغة قلة شعر العانة ، فمن اشترى أمة فوجدها زعراء العانة فهو عيب في وطئها ، لأن الشعر يشد الفرج ، فإذا لم يكن استرخى .  
والخصاء عيب في العبيد إلا أن الخصاء يزيد في الثمن لكن بمعنى غير شرعي فلا يعتبر ، كزيادة ثمن الجارية المغنية . وقد اختلف فيمن غصب عبدا فخصاه فزاد ثمنه ما الواجب فيه - انتهى .

وإذا علمت الأمة بعثتها في أثناء الصلاة وهي عريانة الرأس هل تقطع وتستتر وتأخذ الخمار أو تتماذى على صلاتها؟ في ذلك قولان: القول الواحد تقطع وتستتر<sup>١</sup> وتصلي<sup>٢</sup>، والقول الثاني إنها لا تقطع ، لأنها دخلت في الصلاة بوجه مشروع فلا تقطع وتتماذى ١٠ على صلاتها لقوله تعالى « وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ<sup>٣</sup> » ، وكذلك العريان إذا وجد في أثناء الصلاة ما يستتر به فهل يستتر أو يقطع ويتبدى الصلاة؟ في ذلك قولان . وكذا إذا تذكر المصلّي وهو في أثناء الصلاة أن ثوبه نجس فهل يتماذى على صلاته أو يقطع أو ينزعه ويصلي بما بقي عليه من الثياب الطاهرة؟ في ذلك خلاف . وكذلك ١٥ المتيمّم إذا وجد الماء في أثناء الصلاة فهل يقطع الصلاة ويتوضأ أو يتماذى على صلاته بتميمه؟ قيل: يقطع، وقيل: يتماذى على صلاته لأنه دخل في الصلاة بوجه مشروع . وكذلك من أحرم بالصلاة بنية السفر

(١) زيد في بن: شعرا .

(٢) زيد في بن: وتأخذ الخمار .

(٣) قرآن كريم ٤٧ : ٣٣ .

ثم نوى الإقامة هل يكمل الصلاة أو يتمّ صلاته على ما دخل فيه؟  
و كذلك إذا أحرم بنية الإقامة ونوى السفر هل يكمل صلاته أو يصلي  
ركعتي السفر؟ و كذلك ثبت عند الإمام بعد أن صلى ركعة من الجمعة  
عزله عن الإمامة هل ينبي الإمام المتولى الثاني على صلاة المعزول  
أو يتدنى الصلاة؟ في ذلك خلاف بين أهل العلم . و كذلك إذا أنكره  
السيد وطى أمته لا يتوجه عليه اليمين إذا [ ٥٥ : ب ] ادعت عليه  
ذلك لأنها من دعوى العتق و هي غير موجبة لليمين، و إن ادعى استبراء  
لم يظاً بعده بحيضة أو بثلاث حيض لم يلحق بالسيد ما جاءت به من ولد،  
و اختلف هل عليه يمين أم لا ، فقيل : عليه يمين ، قال القاضي عبد الوهاب:  
لأنه اتقى من حمل كانت له فراشا ، و قال ابن القاسم : لا يمين عليه لأن ١٠  
اليمين التي تخرجه عن ذلك هو اللعان فاذا لم يلزمه لعان فلا يمين عليه .  
و قال مالك في رجل زوج أمته عبده أو أجنبيا ثم وطئها السيد فأنت  
بولد فالولد لاحق بالزوج ، إلا أن يكون الزوج معزولا عنها في مثلها  
براءة الرحم فانه يلحق بالسيد و لا يُحد لأنها أمته ، و لو ادعى السيد  
استبراء لم يظاً بعده لم يلحقه الولد و لم يحلف إذا لا يُعلم إلا من جهته ١٥  
و لا يندفع بدعوى العزل و لا بالإتيان في الدبر و بين الفخذين مع الإنزال  
لأن الماء قد يغلبه و لو اليسير منه ، و الولد يلحق بالأب في الإماء  
إذا أقرّ بالوطى و لم يدع استبراء، و يلحق بالأب في نكاح الحرائر  
بالعقد و تصدق و ليس له دفعه إلا باللعان لأن الحرائر مأمونات  
(١-١) من بن ، و في الأصل : لم يدعى . (٢) زيد في بن : على .

فروجهن . و عند أبي حنيفة إذا عقد له و كيله على امرأة و أتت بولد  
لمقدار ما يحمل فيه النساء و لو كان هو بالمشرق و هي بالمغرب لحق به ،  
لأن عنده الدنيا خطوة مؤمن ، و قد يكون من أهل الخطوة فيلحق به  
الولد . و عند مالك إذا أمكن الوصول إليها في مدة يمكن حملها منه  
يلحق به - و الله أعلم . قال العلماء في الأب إذا وطئ أمة ابنه فإنه  
يملكها بذلك و لا يريدون إذا وطئها بتكاح خاصة لما له في مال ولده  
من التصرف و شبهة الملك . قال في المدونة : و من وطئ أمة ابنه الصغير  
أو الكبير درى عنه الحد ، و قومت عليه يوم الوطئ ، حملت أو لم تحمل ،  
كان مليا أو معدما ، و يتم ملكه لها من غير شبهة ، فيحل له وطؤها  
١٠ بعد أن يستبرئها من مائه الفاسد بسبب الوطئ المتقدم ، و له أيضا  
بيعها ممن أراد ، و لذلك يجوز للولد أن يأخذ من أبيه فيما لزم الأب  
قيمتها إذا اتفقا على ذلك ، فإن حملت من الأب فهي أم ولد فلا يحل له  
نقل ملكه عنها فضلا عن أخذ ولده لها في القيمة أو غيرها ، فإن لم تحمل  
فقولان : مذهب ابن القاسم أنه لا بد من تقويمها على الأب ، و قال  
١٥ عبد الملك و ابن عبد الحكم : الابن مخير في [ ٥٦ : الف ] ذلك ، و بالتامسك بها  
في عدم الأب و يسره ، و هو أظهر لأن سبب تضمن الأب إنما هو العيب  
الذي أحدث على ولده منها بتحريم و طئ الولد لها ، و ذلك لا يوجب  
إلا تخير الولد المتعدى عليه . لا إخراج ملكه من يده بغير اختيار ، فإن  
كان الابن قد وطئها و استولدها أحدهما حرمت عليها فتعق أي أمة  
(١) في الأصل و بن : و .

الولد التي وطئها أبوه ، فصل من هذا أنها موطوءة لهما معا ، لأن وطئها  
 معا سبب لتحريمها على كل واحد منهما ، لأن أحدهما وطئها بالملك  
 والآخر وطئها بالشبهة ، فهي من حلائل الأبناء بالنسبة إلى الأب ، و ما  
 نكحه الأب بالنسبة إلى الابن فتعق ، لأنها أم ولد حرمت على سيدها  
 تحريماً موقداً ، و كل ما هذا وصفه من أمهات الأولاد يجعل عتقه لعدم  
 المنفعة فيه في الحال و المآل ، إذ لا منفعة في أم الولد إلا الاستمتاع بها ؛  
 فإذا قلنا تعق فيكون العتق على من فيها ؟ قيل : يكون العتق على  
 الابن إن كان أولدها<sup>١</sup> قبل وطئ والده و الأب قد أتلفها عليه بوطئه  
 فيغرم قيمة أم ولد و تعق على الولد لآثاناً إن أعتقناها على الأب كنا  
 ناقلين و لا أم الولد عن<sup>٢</sup> استولدها ، فإن كان الابن وطئها ولم تحمل منه  
 ثم وطئها أبوه فحملت منه غرم قيمتها أمة و عتقت عليه ، و إن وطئها  
 الابن بعد وطئ الأب فانها تسقط القيمة عن الأب بمصاب الابن و تباع  
 على الابن لأنه شرط على الابن جواز بقائها بيده أمانة عليها ، و قد ثبتت  
 خيانتة بوطئه لها . قال أبو عمرو بن الحاجب<sup>٣</sup> : و لا يبطل استخدام الأمة  
 بالتزويج - يعني أن حق السيد في الأمة استخدامهما لا يبطل بتزويجها ،  
 لأن حق الزوج إنما هو الاستمتاع بها ، و حق السيد بعد التزويج في  
 الخدمة فلا يعارض فيها ، و لكل واحد من السيد و الزوج القدر الذي

(١) في بن : تحريمها .

(٢) في بن : وطئها .

(٣) في بن : على من .

(٤) زيد في بن : للمالكي في مختصره في الفروج .

يخصه . قال ابن الماجشون : وترسل الأمة إلى زوجها ليلة بعد ثلاث ، فتكون عنده تلك الليلة و يأتيها زوجها عند أهلها فيما بين ذلك ، و للسيد السفر بها ، و لا يمنع الزوج من صحبتها ، و نفقتها يلزم زوجها سواء كانت مقيمة أو مسافرة ، و لا يكون نفقتها على سيدها ، لأن التي تأخذ الأمة من زوجها عوضاً عن الاستمتاع بها ، و كما أن نفقة الابنة على أبيها فإذا زوجها انتقلت عنه إلى زوجها ، فكذلك إذا زوج السيد الأمة [ ٥٦ : ب ] انتقلت عنه إلى زوجها ؛ و هذا كله إن كان الزوج حراً ، فإن كان زوج الأمة عبداً ففي وجوب النفقة عليه أو على السيد أربعة أقوال : إنها في مال العبد و كانت تبيت عنده أو عند أهلها كالمهر ، أي كما أن المهر الذي هو عوض عن أول الاستمتاع على الزوج فكذلك تكون النفقة عليه هو عوض عن تمام الاستمتاع - و الله أعلم . القول الثاني مقابله إنه لا نفقة على زوجة العبد ، و هو محكى عن مالك و أشهب . و القول الثالث الفرق بين أن تبتوا معه بيتاً أو لا ، فالأول تلزمه نفقتها ، و الثاني لا تلزمه إلا بشرط في عقدة النكاح .

١٥ و القول الرابع الفرق بين أن تبيت عنده أو عند أهلها ، فإن كانت باتت عند زوجها أتفق عليها ، و إن باتت عندهم أتفقوا عليها . قال ابن القاسم في كتاب محمد فيمن قيل له في عبده : مَنْ رَبُّ هَذَا الْعَبْدِ؟ فقال : ما له رب إلا الله تعالى ، أو قيل له : مَلُوكُكَ هُوَ؟ قال : لا . أو قيل له : أَلَيْكَ هُوَ؟ فقال : ما هو لي ، فلا شيء عليه في ذلك كله ، كمن قيل له : أَلَيْكَ

(١) في بن : سيده . (٢) من بن ، و في الأصل : قيل .

امرأة - أو هذه امرأتك؟ فقال: لا، فلا شيء عليه إن لم يرد طلاقاً ولا يمين عليه. و في المدونة: و إذا كان عبد بين رجلين فقال أحدهما: إن كان دخل المسجد أمس فهو حر، و قال الآخر: إن لم يكن دخل هو المسجد فهو حرّ، فإن ادعى علم ما حلفا عليه دُينا في ذلك، و إن قالا: ما نوقن أ دخل أم لا و إنما حلفنا ظنا، فليعتقا بغير قضاء، و قال غيره: بل يجبران ه على عتقه. و لو كان لرجل امرأتان فرأى طائراً فقال: إن كان هذا غراباً<sup>١</sup> فزئب طالق و إن لم يكن غراباً فعزة طالق، و التبس عليه الأمر و تعذر التحقيق طلقنا عليه؛ و كان ذلك كاختلاط الميتة بالمدبوحة. إذا قام الرجل شاهداً على رجل أنه زوجه ابنته البكر و أنكر الأب حلف الأب، فإن أبي سُجن حتى يحلف<sup>٢</sup>، و لا مقالة للابنة في ذلك و لو كانت ثيباً. من ادعى نكاح امرأة و أنكرت فلا يمين له عليها و إن أقام شاهداً، و لا يثبت نكاح إلا بشاهدين. و إن ادعت امرأة أن زوجها طلقها و لم يحلف الزوج مُنع منها حتى يحلف. قال مالك: و إن نكل عن اليمين طلقت عليه مكانه و عدتها من يوم الحكم، و روى و خلى بينه [٥٧: الف] و بينها و لم تطلق عليه، و إن لم يحلف الزوجة المقرّة ١٥ بصحة النكاح تدعى أنّ زوجها طلقها البتة ثم يموت عنها فلها تكذيب نفسها و ترثه لأنها قد تقول كرهت البقاء معه، و ينبغي أن تحلف على

(١) في بن: طلاقها. (٢) في بن: غراب.

(٣) زيد في بن: و ليس له ان يزوجه في السجن من رجل آخر حتى يحلف.

(٤) في بن: المقام.

ما ادّعت . ذلك ' إذا أرخى الزوج على الزوجة الستر و ادّعت أنه وطئها  
فالقول قولها ، و لو كان ذلك في نهار رمضان الذي لا يحل الوطئ فيه لأن  
الغالب مبادرة الزوج مع إرخاء الستر عليها إلى وطئها ' .

و قد تغلغل بنا الكلام و تشعب و تسلسل إلى أن خرجنا عن  
ملحمة الباجريقي فلنرجع إلى قوله فيها <sup>٢</sup> :

يا وريح جلق<sup>١</sup> ما ذا حلّ ساحتها و أحرقوا<sup>٢</sup> جامعاً لله<sup>٣</sup> كيف عني  
يا للبرايا أما للدين متصر قوموا إلى الشام من سهل و من حزن  
عرب الفرات و مصر و الصعيد أتوا دمشق و الكفر فيها عن مرتكن  
يا ويلهم كم غزوا في الدين كم قتلوا و كم دم سفكوا من عالي و دنى  
١٠ و ألكون مقتم<sup>٤</sup> و الأرجاء<sup>٥</sup> مظلمة حتى حائمها ناحت على فن

(١) في بن : و .

(٢) زيد هنا في « بن » [ ٣٩ : ب ] ققرة « و إذا ادعى أحد الزوجين على صاحبه  
داء العضط ( و في بن : العطط - كذا ) وهو حدث الغائط عند الجماع . . . .  
وقد وقع مثل هذا في أيام أحمد بن نصر . . . سحنون فأفتى بأنه يطعم أحدهما تينا  
و الآخر نقوسا » ثم تحدث بعدئذ حديثاً فيه بياض غير مكتمل عن الجذام والبرص  
و داء الفرج مشروطاً « السلامة فيما تقدم ذكره » .

(٣) انظر ما قبله في النص . ٤ : ب .

(٤) انظر مقدمة ابن خلدون ( طبعة باريس ) ج ٢ ص ٢٣٧ حيث استخرج  
أبيات هذه الملحمة من تاريخ ابن كثير .

(٥ - ٥) في بن : جامعها .

(٦) في بن : مقيم .

(٧) من بن ، و في الأصل : الأدجاء .

قيل إن الشام كان اسمه في الزمن الأول السام - بالسين المهملة ، و السام في لغة العرب الموت ، فكرهت العرب هذا الاسم فأبدلوا السين المهملة بالسين المعجمة . و قيل : سمي الشام شاما لشامات سود و بيض في أرضه و ذلك لاختلاف الترب و البقاع . و جلق موضع بدمشق ، و يقال : إن جيرون الرومي دخل دمشق فصر مصرها و جمع عمد الرخام و المرمر إليها و شيّد بناءها و سماها " ارم ذات العباد " و قيل : إنه كان فيها أربعمائة ألف عمود ، و بقيت هذا البناء في هذا الوقت بدمشق يعرف ببناء جيرون ، قال التلعفري في أول قصيدة له :

سلمت علي جيران جيرون يا صاح من مستهام القلب محزوني  
و حتى جامعها عني فكم جمعت أهل العلوم الذي كانوا يفيدوني  
و منها :

في يوم سبت ترى الوفرات جائلة علي الروادف أشباه الثعابين  
و ذلك أن أهلها في يوم السبت مبطلون لفرجهم في غياضهم ، و نزههم في بساينهم و رياضهم . و صيانتها يعانون الوفرات المظفورة وراء ظهورهم ، و علي رؤوسهم أقباغ من الحرير الأحمر الطويلة الأتران . ١٥

(١) زيد في بن : فيه .

(٢) في الأصل : غياضهم ، و في بن [ ٤٠ : الف ] : غيطانهم .

(٣) في الأصل و بن : يعانوا .

(٤) في بن : المظفرات الرخاة .

(٥) كذا في الأصل ، و في بن : الأتران . - و زاد هنا فيها عن أحمد بن أبي المحاسن =

وَأَشْدَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ الْمُقَرَّبِيُّ<sup>١</sup> بِشَعْرِ الْإِسْكَندَرِيَّةِ الْمُحْرُوسِ قَصِيدَةً لَهُ  
فِي دِمَشْقٍ مِنْهَا [٥٧ : ب] :

سَلَّمَ سَلِمَتَ عَلَى جِيرَانِ جِيْرُونَ      سَلَامٌ مَضَى كَثِيبَ الْقَلْبِ مَحْزُونٌ  
وَإِنْ أَتَيْتَ الْحَمَى وَهَنَا فَحَىَّ بِهَا<sup>٢</sup>      قَوْمًا أَقَامُوا بِجَرْمَانَا<sup>٣</sup> وَجَسْرِينَ  
وَأَنْتَ يَا بَرْقَ حَىَّ النَّيِّرِينَ<sup>٤</sup> بِهَا      وَاسْقُ تَرْبَتَهَا سَحًّا كَسِيحُونَ  
لَمْ أُنْسِ أَنْسَى بَوَادِيهَا وَنَزْهَتَهُ      وَالْمَاءُ يَجْرِي عَلَى خَضِرِ الرِّيَاحِينَ  
وَالدُّوْحُ يَجْلِي كَمَا تَجْلِي عَرَائِسُهَا      وَالغَيْدُ يَلْعَبُ فِي ظِلِّ الْبِسَاتِينَ  
يَخِيلُ الشُّوقُ أَنَّ الْبَرْقَ حِينَ سَرَى      ثَنَى مَسَامِ تِلْكَ الْخَرْدِ الْعَيْنِ  
أَهَا عَالِي زَمَنِ وَلِيَّ بَقَرِيهِمْ      لَوْ أَنَّهَ فِي الْكُرَى وَافِي لِمَسْكِينِ  
بَسَطَتْ خَدِّي أَرْضًا فِي مَحَبَّتِهِ      لَعَلَّه بَعْدَ هَذَا الْبَعْدِ يَدْنِينِي

= نَنقُلُهَا عَلَى عِلَالَتِهَا :

حَمَى بِبِوَاقِيَتِ اللَّيْلِ فِي شَعْرِهِ      وَغَشَى بِجَلْبَابِ الدَّبَجِيِّ ضَوْءَ بَحْرِهِ  
( فِي بِن : دَرَّة )

وَأَشْعَلَ نِيرَانَ الْخُدُودِ فَفَقَدَتْ      ذَوَائِبَ مَسْكَ اسْبِيَاتِ خَلْفِ ظَهْرِهِ  
( وَفِي بِن : : سِبْلَانِ مِنْ )

غَدَا شَعْرَهُ قَيْدَ الْقُلُوبِ بِأَسْرَهَا      فَلَا قَلْبَ إِلَّا وَهُوَ فِي حَكْمِ أَثَرِهِ  
وَكَيفَ عِلَاجِي مِنْ جَنُونِي لِحَبِّهِ      وَأَصْلُ حَنُونِي مِنْ سَلْسَلِ شَعْرِهِ .

(١) قَدْ يُمْكِنُ قِرَاءَتُهَا فِي الْأَصْلِ : الْمَعْرَى ، وَهُوَ جَائِزٌ وَإِنْ كَانَ الْغَالِبُ فِي  
قِرَاءَتِهَا كَذَلِكَ وَهِيَ فِي بِن [ ٤٠ : الْف ] : الْمَعْرَى .

(٢) مِنْ بِن ، وَفِي الْأَصْلِ : بِهِ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : بِجَرْمَانِيَا ، وَصَحَّتْهَا فِي بِن .      (٤) فِي الْأَصْلِ : النَّيِّرُ بَيْن .

قم نغتم لذة الدنيا بلا كسل و نطرد الهم من حين إلى حين  
 و نهب العمر و الأيام مقبلة في جلق و كفاف العيش يكفيني  
 أسعى إليه فيعنيني تطلبه فان قعدت فرزقي ليس<sup>١</sup> يعنيني  
 يزيد زاد غرامى في محبته و بيت لها عن الأوطان يلهيني<sup>٢</sup>  
 و ما تخيلت واديتها و نزهته ألا تذكرت و التذكار يؤذيني<sup>٥</sup>  
 قوله: « يزيد زاد غرامى في محبته »، يصف نهر.....<sup>٢</sup> يزيد بن معاوية  
 الذى احتفراه في خلافته، و قوله: « واديتها »، يعنى به وادى الربوة الذى  
 يخترق دور دمشق و حماماتها و بسايتها، و قوله: « جرمانا<sup>٤</sup> و جسرين و بيت  
 لها »، هى قرى بظاهر دمشق بها بسايتين و رياض نزهة .

<sup>٥</sup> و مدينة دمشق محدثة، و إنما كان القديم من موضعها موضعا  
 يسمى الجاية و ذلك فى أيام الجاهلية، و بنيت دمشق عليها<sup>٦</sup>، و لدمشق  
 أبواب منها باب الجاية و باب توما و باب السلامة و باب النصر و الباب  
 الصغير و باب الفراديس و ديرمران يقابله، و أرضها يقال لها: الغوطة،  
 و للنحاس الشاعر قصيدة أولها:

(١) فى الأصل: لا، و لا يستقيم بها الوزن .

(٢) فى الأصل: تلهينى .

(٣) بياض فى الأصل، و الغالب انه نهر يزيد و هو كذلك فى بن [٤٠: ب] .

(٤) فى الأصل: حرمايا، و صححتها فى بن كما ذكرنا .

(٥) فى الهامش: مدينة دمشق .

(٦) زيد فى بن: قيل بناها رجل يسمى دماشق بن يحوط بن كنعان فسميت باسمه

من غير الف قبيل: دمشق .

عرج على الغوطة بالعيس و اجعل على النيرب تعريس  
 و اعبى على قصر ابن شواش فى هطلع الفجر بتغليس  
 لتتظر الحور إذا جزن فى الجنة<sup>٢</sup> من باب الفراديس  
 علقت منهن فتاة غدت كأنها دمية قسيس  
 ٥ و هى طوية مكتوبة بديوانه . و جلق موضع بدمشق ، قال الشاعر فيه :  
 [٥٨: الف] بجلق نزلوا حيث السرور بها بجمع و هو بالآفاق منتشر  
 فكل عين بها موسى يفجرها و كل نهر على حافاته الخضر  
 و قيل جيرون هو ابن سعد بن عاد ، و قيل : إن دمشق سميت باسم  
 بانها و هو دماشق بن عرط بن كنعان ، و قيل : بانها دمشق بن فائد  
 ١٠ ابن مالك بن أرغشيد بن سام بن نوح . و الغوطة<sup>٣</sup> موضع خصيب بخارج  
 دمشق ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سيفتح عليكم الشام فعليكم  
 بمدينة يقال لها دمشق هى خير مدائن الإسلام و فسطاط المسلمين  
 بأرض منها يقال لها : الغوطة . قال الأصمعي : أحسن أنهار الدنيا ثلاثة :  
 نهر الأبله و هو قريب من البصرة<sup>٤</sup> ، و غوطة دمشق ، و صغد<sup>٥</sup> سمرقند .  
 ١٥ قال يعقوبى : مدينة دمشق جليلة قديمة و هى مدينة الشام فى الجاهلية

(١) فى الأصل و بن : مطالع - كذا ، و لا يستقيم به الوزن .

(٢) فى بن : من .

(٣) راجع فى موضوع « الغوطة » لاسيما فى التاريخ الحديث :

R. Tresse, *L'irrigation dans la Ghoute de Damas*,—in Rev. des E'tudes  
 Islam. (1929), pp. 459-73.

(٤) فى الأصل : صغد ، و هى ساقطة من بن .

و الإسلام ، و ليس لها نظير في جميع بلاد الشام في أنهارها و مبانيها و كثرة عمارتها ، و افتحت<sup>١</sup> في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ستة أربع عشرة للهجرة . و قال ابن جبير<sup>٢</sup> : مدينة دمشق هي جنة المشرق و مطلع حسنه المؤنق و عروس المدن ، قد تحلت بأزاهير الرياحين ، و تجللت في حلل سندسية من البساتين ، و حلت من موضع الحسن هـ بمكان مكير ، و تجللت في منصبها بأحسن تزيين ، و تشرفت بأن أدنى الله المسيح و أمه مريم إلى ربوة ذات قرار و معين ، ظل ظليل ، و ماء يسيل ، و رياض تحيي النفوس بنسيمها العليل ، تبرج لناظرها بمجلاء<sup>٣</sup> صقيل ، و تناديهم هلثموا إلى معرّش للحسن و مقيل ، قال بعضهم : المعرّش الكرم ، قال أشاعر :

١٠

ولا ظلّ إلا ظل كرم مُعَرَّشٍ تغنيك من قطريه ورق الحمام - انتهى .

نعود - و قد سئمت أرضها كثرة الماء حتى اشتاقت إلى الظمأ فتكاد

تناديك بها الصم الصلاب : اركض برجلك هذا معتسل بارد و شراب ،

قد أحذقت البساتين بها إحداق الهالة بالقمر ، و اكتنفتها اكتاف الكأم

للزهر ، و امتدت بشرقيها غوطتها الخضراء امتداد البصر ، و كل موقع ١٥

لحظة جهاتها الأربع نضرتة اليانعة قيد البصر ، و لقد صدق القائلون

(١) في بن : فتحت .

(٢) انظر ابن جبير ( طبعة دي خويه في ليدن ) ص ٢٦٠ - ٢٩٨ و قد نقل عنه

النويري في مواضع كثيرة و ضافية .

(٣) كذا .

عنها: إن كانت الجنة في الأرض فدمشق لا شك فيها، وإن كانت في السماء فهي بحيث تساميتها. وقال البُحْثَرِيُّ فيها:

[٥٨:ب] إذا أردت ملاء الطرف من بلد مستحسن و زمان يشبه البلدا  
يمشي السحاب على أجيالها فرقا و الطير ينشد في صحرائها غردا  
كأنما القيظ ولى بعد وقده أو الريح دنا من بعد ما بعدا - انتهى.

(١) زيد هنا في بن [٤١: الف]: وقال أحمد بن أبي المحاسن... يتشوق إلى دمشق و يمدح جمال الدين بن رزق الله (وهي أبيات نقلها على علاتها):

سلام على ساكني جلق سلام محب لهم مشيق  
(في بن: سلام محب لهم مشيق)

سلام على دار أحبابنا سلام على ربعها المؤنق  
سلام كنفحة أشجارها يفوح بعطر لستنشق  
سلام كصفوة أنهارها ورقة سلساها الأزرق

سلام كنغمة أطيّارها على غصن قد [بها] مورق  
(وكلمة «بها» ليست في بن)

سلام كلطف ميادينها وما لليادين من رونق  
سلام كحسن بساينها وما في البساتين من جوسق  
سلام كطيب رياحينها تحال تراها بمسك سقى  
سلام على ربوة معريا وزهر الرياض من المشرق  
سلام على النهم والنيرين وروض بأكنافها محرق  
سلام على غوطة كسيت بسندس زهر و استبرق  
سلام على الشرفين اللذين يشرف ذكرهما منطقي  
سلام على مائها جاريا مسلسلة العذب بالطلق

=

نعود - فالبا جريقي ' يشير في ملحمة إلى أن الكفار يأتون إلى

= ( في بن : ما اجاريا ، مكان : ماثها جاريا )

سلام على الطعام المحلى على البرج و السرور و الخندق

و ميدانها الأخضر . . . . .

سلام على الجامع المزدهى و بهجة بنيانه المؤنق

بصحن كصحن جبين إذا ما جاء غيها . . . . .

قسي رواقاته شبهت حواجب مقرونة تلتقى

وضاهت سهام . . . . .

وقبة نشر حكت شامة معنبرة فوق خد نقي

كان شرار . . . . .

وباب البريد بغزلانه يمج فم شاء فليعشق

منازل تجلى . . . . .

أجيران جيرون جاد النوى وشاب افرقتكم مفرق

ألا ليت شعرى من . . . . .

وأشكو سقامى إلى ممرضى ويطفى نارى لقا محرق

والحق ينولى ( كذا ) . . . . .

جمال تجمل دين الهوى وفتح باب الندى المغلق

محض بفضل ( كذا ) . . . . .

على البعد سارت بشكوى له قواف قوافل كالمسقى ( كذا )

وما هي إلا بكهده . . . . . انتهى .

( و القصيدة كما يرى القارئ مليئة بالعيوب والكسر و فيها بياض كثير ،

و لكن موضوعها لا يجيز التجاوز عنها في حواشى الكتاب ) .

(١) انظر الورقة ٥٧ : الف .

دمشق يكون بها مقتلة عظيمة و يحرقون<sup>١</sup> جامعها المنسوب لبنى أمية المجاور لباب جيرون ، ثم ينتصر<sup>٢</sup> المسلمون<sup>٣</sup> بعد ذلك كما قال :

يا مسلمين اغنموا المال فاض و كنز بالفرات و عند الرستن الشتن<sup>٤</sup> و سأذكر الآن ما قيل في صفة الجامع المذكور<sup>٥</sup> و بانيه و غير ذلك

٥ إن شاء الله تعالى . اعلم أن جامع دمشق المنسوب لبنى أمية بناه أمير المؤمنين

الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم سنة ثمان و ثمانين للهجرة ، و كان

مكانه كنيسة جيرون فجعل أرضه رخاما ، و معاهد رؤوس أساطينه مذهبة ،

و محرابه مذهبا ، و سائر حيطانه مرصعة بأشباه الجواهر ، و دور السقف كله

مكتبا كما يدور بترايع جدر<sup>٦</sup> المسجد بأحسن صنعة و أبدع تنميق ،

١٠ و جعل أعلى السقف حُصر رصاص محكمة التأليف و ثقبة الصنعة تمنع<sup>٧</sup>

المطر عن سقفه لأن سقفه جملونات ، و الماء يصل إلى صحن الجامع في

قنوات رصاص فتى احتاج ذلك إلى الغسل فتح إليه الماء و غسل جميع

صحنه بأهون سعى ، و يقال : إن الوليد بن عبد الملك أتفق في إتقان هذا

الجامع خراج الشام كله سنتين ، و له وقوفات كثيرة ، قيل : إن مكاتيبها

(١) في الأصل و بن : يحرقوا .

(٢) في الأصل و بن : تنتصر .

(٣) زيد في بن : عليهم .

(٤) في الهامش : جامع دمشق .

(٥) زيد في بن : المنسوب لبنى أمية .

(٦) في بن : جدار .

(٧) زيد في بن : عنه .

بالقبة المركبة على الأعمدة بصحنه . و قال يعقوبى : جامع دمشق ليس  
 فى الإسلام أحسن منه ، بناه الوليد بن عبد الملك فى خلافته بالرخام  
 و الذهب سنة ثمان و ثمانين للهجرة ، مفروش بالرخام الأبيض المحتم  
 باللازورد و سقفه لا خشب فيه إلا و هو مذهب كله من أعلاه إلى  
 أسفله ، و ذكر ابن جبير فى وصف هذا الجامع و وصف دمشق غرائب ه  
 فلنذكر الآن بعض ما وصف فى هذا الجامع إن شاء الله تعالى ، قال :  
 هذا الجامع من أشهر جوامع الإسلام حسنا و إتقان بناء و غرابة صنعة  
 و احتفال تميق و تزيين ، و من عجائب شأنه أنه لا تنسج [ فيه - ' ] عنكبوت  
 و لا تدخله ، و لا تلم به الطير المعروف [ ٥٩ : الف ] بالخطاف ؛ اتدب  
 لبنائه الوليد و وجه إلى ملك الروم بالقسطنطينية فأمر بأشخاص اثني عشر ١٠  
 ألف صانع من جميع بلاده و تقدم إليه بالوعيد فى ذلك إن توقف ،  
 فامثل أمره مدعنا ، فشرع فى بنائه و بلغت الغاية فى التأق فيه ،  
 و نزلت جدره كلها بفصوص الذهب المعروفة بالفُيسفا ، و اختلطت به  
 أنواع من الأصباغ الغريبة قد مثلت أشجارا و فرعت غصونا منظومة  
 بالفصوص بيدى الصنعة المعجزة وصف كل و اصف ، فجاء يعشى العيون ١٥  
 و مبيضا و بصيصا ؛ و بلغت النفقة فيه أحد عشر ألف ألف دينار .  
 و كان أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه لما دخل دمشق صالح النصارى  
 بأن أخذ نصف الكنييسة الشرقية فصيره مسجدا ، و بقى فى النصف

(١) من بن .

(٢) موضوع تقسيم الكنييسة و الجامع كان محل نقاش بين المؤرخين ، و فيما يلى =

العربي للنصارى، فأخذه الوليد و أدخله في الجامع بعد أن رغب أن يعرضهم عنه فأبوا فأخذه قسرا، و كانوا يزعمون أن من يهدم كنيستهم يُجَنّ، فبادر الوليد و قال: أنا أول من يجنّ في الله! و بدأ الهدم بيده، فبادر المسلمون فأكلوا هدمها و لم يجنّ واحد منهم، ثم أرضاهم أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز في خلافته عن الكنيسة بمال عظيم. و سأذكر ما قيل في طول هذا الجامع الأموي و ذرعه و تكسيره و مقاصيره و أسماء أبوابه و وصفه إن شاء الله تعالى، اعلم أن طول هذا الجامع الذي عمره الوليد بن عبد الملك من الشرق إلى الغرب مائتا خطوة و هما ثلاثمائة ذراع، و ذرعه في السعة من القبلة إلى الشمال مائة و خمس<sup>١</sup> و ثلاثون خطوة و هي مائتا ذراع، و تكسيره بالمرجع الغربي أربعة<sup>٢</sup> و عشرون مرجعا و هو تكسير مسجد النبي صلى الله عليه و سلم، غير أن طوله من القبلة إلى الشمال و بلاطاته المتصلة بالقبلة ثلاث<sup>٣</sup> مستطيلة من الشرق إلى الغرب، و سعة كل بلاط منها عشر<sup>٤</sup> خطوة و قامت البلاط على ثمانية و ستين عمودا، منها ثلاث<sup>٥</sup> أرجل تتخللها و اثنتان<sup>٥</sup> مرتخمة ملصقة في الجدار الذي

= اهم بحثين في هذا الصدد :

i—R. Dussand, *Le temple de Jupiter Damascenien et ses transformations aux e'poques chretienne et musulmane*, in "Syria,"

iii—1922, pp. 219-250 (pl. et fig.).

ii—H. Lammens, *Le calife Walīd et le pre'tendu partage de la mosquee des Omayyadesa' Damas*, in B I F A O, xxvi, 1925 pp 21-48

(١) وقع في بن: خمسة - كذا (٢) في بن: اربع (٣) في الأصل و بن: ثلاثة .

(٤) في الأصل و بن: عشرة (٥) في بن: اثنان .

- بلى الصحن ، و أربعة محاريب و أشكالاً غريبة قامت في البلاط الوسط ،  
 دور كل رجل منها اثنان و سبعون شبراً ، و يستدير بالصحن بلاط من  
 ثلاث جهاته 'سبع عشرة خطي' ، عدد قوائمه سبع وأربعون منها [ب : ٥٩]  
 ٢ أربع عشرة أرجلا و الباقي سوار ، و سقف الجامع كله من خارج ألواح  
 رصاص على جملونات ٢ ، و أعظم ما فيه قبة الرصاص المتصلة بالمحراب ، و هي ٥  
 سامية في الهواء عظيمة الاستدارة ، و قد استقل بها هيكل عظيم ، و هو  
 عمود لها ' يتصل من المحراب إلى الصحن ، و القبة قد أغصت في الهواء  
 فاذا استقبلتها أبصرت أمراً عظيماً هائلاً ، و من أي جهة استقبلت البلد  
 ترى القبة في الهواء كأنها مقلعة من الجور ، و عدد شماساتها الزجاجية  
 المذهبة الملونة أربع و سبعون ، فاذا قابلتها الشمس و اتصل شعاعها انعكس ١٠  
 الشعاع إلى كل لون منها و اتصل ذلك بالجدار القبلي ، و يتصل بالابصار  
 منها أشعة ملونة هائلة لا تبلغ العبارة بعض صورها ، و محرابه من أغرب  
 المحاريب الإسلامية حسناً و غرابة صنعة يتقد ذهباً كله ، قد قامت في وسطه  
 محاريب صغار متصلة بجداره يحفظها سويريات ° مقتولات قتل° الأسورة
- (١-١) من بن ، غير ان فيه : سبعة عشر خطأ - كدا ، و وقع في الأصل : سعة  
 خطأ (!) و لا يستقيم بها المعنى .
- (٢-٢) في الأصل و بن : اربعة عشر .
- (٣) زيد في بن : يمنع الأمطار أن يقف بل يتحدر سرعة الى صحن الجامع بمعنى  
 في البلايع المصنوعة لذلك - كدا .
- (٤) في بن : بها . (٥-٥) من بن ، و في الأصل : مقتولات قتل .

كانها مخروطة بعضها حر كأنها المرجان ولم يُرَ شيءٌ أجمل منها،  
 وفيه ثلاث مقاصير: مقصورة معاوية وهي أول مقصورة وضعت في  
 الإسلام، طولها أربعة وأربعون شبراً وعرضها نصف الطول، ويليها  
 لجهة الغرب المقصورة التي أحدثت عند زيادة الكنيسة وهي أكبر،  
 ٥ والثالثة بالجانب الغربي تجتمع فقهاء الحنفية فيها للتدريس. وله أربعة  
 أبواب: باب قبلي يعرف باب الزيادة، و باب شرقي يعرف باب جيرون،  
 و باب شمالي يعرف باب الناظرين، و باب غربي يعرف باب البريد،  
 و الباب الشرقي المعروف باب جيرون وهو أعظمها، وله وللغربي  
 دهاليز متصلة يفضي كل دهليز منها إلى باب عظيم، وكانت كلها مداخل  
 ١٠ الكنيسة فبقيت على حالها - ثم ذكر فيه عجائب من الأبنية والقباب  
 والصوامع الثلاث والمياه المديرة فيه ما يطول، و صفة اختصار ذلك  
 أن قيل في صحته إنه من أجمل المناظر وأحسنها، وفيه مجمع أهل دمشق  
 و متفرجهم و منزهم كل عشية تراهم فيه ذاهبين و راجعين من باب  
 جيرون إلى باب البريد، لا يزالون على هذا الحال إلى انقضاء صلاة العشاء  
 ١٥ الآخرة، منهم من يتحدث مع صاحبه و منهم من يقرأ، فهذا دأبهم  
 بالعادة و العشي<sup>١</sup> و الأحفل بالعشي<sup>٢</sup>، و للجامع أربع مياضي<sup>٣</sup> [٦٠: الف]  
 مياضة في كل جهة، و أعظمها مياضة جيرون، و ذكر أن حول باب  
 جيرون من الأبنية الغربية ما يطول وصفه، و باب جيرون يخرج من

(١) في الأصل و بن: شيئاً.

(٢-٢) كذاني الأصل، و ليس في بن.

(٣) وقع في الأصل: مياضي - مكررة.

دهليزه إلى بلاط طويل عريض له خمسة أبواب منقوشة لها ستة أعمدة ، في  
 جهة اليسار منه مشهد كبير لأنه كان فيه رأس الحسين بن عليّ من أي طالب  
 قبل أن ينقل الرأس المذكور إلى القاهرة ؛ و سيأتي فيما يرد من هذا الكتاب  
 ذكر مقتل الحسين و سبب قتله و في أي مكان <sup>مُ</sup>قتل و من قتله  
 إن شاء الله تعالى . و بازاء المشهد المذكور مسجد صغير لعمر بن عبد العزيز . ٥  
 و قد اتظمت أمام البلاط أدراج ينحدر عليها [المطر - ' ] إلى الدهليز  
 و هي كالخندق العظيم متصل إلى باب عظيم الارتفاع يتحير الطرف دونه  
 سموًا قد حفته أعمدة قامت عليها شوارع مستديرة<sup>٢</sup> ، فيها الحجر و البيوت ،  
 و في وسط الحوض أنبوب نحاس يرفع الماء بقوة ويرتفع إلى الهواء أزيد  
 من القامة تسميها الدماشقة " فوّارة " و حولها أنابيب صغار<sup>٣</sup> ترمي الماء ١٠  
 علوًا و يخرج منها ماء كقضبان الفضة فكانها أغصان تلك الدوحة المائية ؛  
 و منظرها أبداع من أن يوصف ، قال بعضهم في فوّارة تورية :

فوّارة تشبه في علوّها سيكة من فضة خالصة

تلهيك بأحسن فقد أصبحت جارية ملهية راقصة

ثم عن يمين الخارج من باب جيرون في جدار البلاط الذي أمامه شبه ١٥  
 غرفة لها هيئة طاق كبير مستدير في طبقان من نحاس ، و قد فتحت  
 أبواب صغار<sup>٤</sup> على عدد ساعات النهار و دُبّرت تديرها هندسيا ، فعد

(١) زيد من بن ، و قد سقط من الأصل .

(٢) زيد في بن : بها . (٣) زيد في بن : ثم .

(٤ - ٤) في الأصل و بن : ابواب صغارا .

انقضاء ساعة من النهار تسقط بندقتان من نحاس قائمتان<sup>١</sup> على طاستين من نحاس مشقوبتين، فيصير البازيان<sup>٢</sup> يمدان أعناقهما بالبندقتين إلى الطاستين ويقذفانها بسرعة تدير عجيب تتخيله الأذهان سحرا، فعند فروعها يسمع صما دوى، فيعودان من الأثواب إلى داخل الجدار إلى الغرفة،<sup>٥</sup> و ينغلق الباب تلك الساعة إلى حين بلوح نحاس؛ فلا يزال كذلك حتى تنقضى الساعات فتغلق الأبواب كلها ثم تعود إلى حالتها الأولى، ولها في الليل تدير آخر و ذلك أن القوس المنعطف على الطيقان المذكورة<sup>٣</sup> اثنتي عشرة<sup>٤</sup> دائرة من النحاس مخرمة، في كل دائرة [ ٦٠ : ب ] زجاجة و خلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على تدير مقدار الساعة، فإذا انقضت عمّ الزجاجة ضوء المصباح و فاض على الدائرة شعاع و لاحت دائرة محمّرة، ثم تنتقل إلى الأخرى حتى تنقضى ساعات الليل، و قد وكل بها من يريد شأنها فيعيد الأبواب و سرج الصنج إلى موضعها<sup>٦</sup> و هي لميقاته - انتهى . و لما هدم الوليد بن عبد الملك كنيسة جيرون كتب إليه ملك الروم في ذلك الوقت يقول: هدمت الكنيسة التي رأى أبوك تركها، فإن كان<sup>١٥</sup> حقا فقد أخطأ أبوك، و إن كان باطلا فقد خالفته . فكتب الوليد يجاوبه:

” و داود و سليمان اذ يحكمُن في الحرث اذ نقشت فيه غم القوم و كنا

(١) في الأصل و بن : قائمتين .

(٢) في الأصل و بن : البازيين .

(٣-٣) في الأصل و بن : اثني عشر .

(٤) في الأصل و بن : موضعه .

لحكهم شهدين فقهمنها سليمان وكلا اتينا حكما وعلما“ فلما قرأه<sup>١</sup>  
 ملك الروم أفحم من هذا الجواب المسكت . وسأذكر هنا ما قال<sup>٢</sup> المفسرون  
 في الحكومة التي حكم بها داود و سليمان عليها السلام إن شاء الله تعالى ،  
 و ذلك أن قوما تقدموا إلى داود ليقضى بينهم ، فقالوا: يا نبي الله! إنا قوم  
 قد حرثنا أرضا و زرعناها ، سقيناها حتى بلغت الحصاد فجاءوا هؤلاء بالليل .<sup>٥</sup>  
 أرسلوا فيها الغنم فرعوها و ما بقي لنا من الزرع شيء<sup>٤</sup> ، فقال داود  
 لأصحاب الزرع: كم كان قيمته؟ فقالوا كذا و كذا ، فقال داود: هذا  
 قريب من قريب، ثم قال لأرباب الغنم: و أغنامكم ترضى هؤلاء أو تردن<sup>٥</sup>  
 من مالكم عوضه ، فقال سليمان لأبيه داود: يا نبي الله! إن أذنت لي تكلمت ،  
 فقال: تكلم يا بني بما عندك ، فقال سليمان لأرباب الغنم: ادفنوا أغنامكم<sup>١٠</sup>  
 هؤلاء و خذوا أتم أرض هؤلاء فاحرثوها و ازرعوها حتى يقوم الزرع  
 على ساقه ثم سلّموا الأرض إليهم و خذوا منهم أغنامكم؛ فرضى القوم  
 بذلك و اتفقوا الفريقان عليه ، فذلك قوله تعالى ” فقهمنها سليمان  
 و كلا اتينا حكما و علما“ فكل منها أصاب بما حكم به . و المنقول

(١) قرآن كريم ٢١ : ٧٨ - ٧٩ .

(٢) في بن: قرأها .

(٣) وقع في الأصل و بن: قالت - كذا .

(٤) وقع في الأصل و بن: شيئا - كذا .

(٥) في بن: تردون .

(٦) من بن ، و في الأصل: و اتفقوا .

عن العلماء إذا تعارض تقديم العام و الخاص كان الخاص أولى ، و مثله الشيخ عز الدين بن عبد السلام بقوله تعالى ” و داود و سليمان اذ يحكمُن في الحرث “ و ان التقدير في تضمين الحرث لا في أمر الحرث لأنه أعم - انتهى .

٥ نعود إلى ذكر ما كان بدمشق من الكنائس حين فتحها المسلمون إن شاء الله تعالى ، كان بدمشق قبل ظهور الإسلام و حين فتح المسلمين لها ما يزيد على عشر كنائس ، [ ٦١ : الف ] منها كنيسة جيرون ، كنيسة يحنأ ، كنيسة مريم ، كنيسة القسلاط ، كنيسة سوق الليل و غيرها من الكنائس ؛ و كان بهذه الكنائس الأساقفة - و هم قضاة النصارى ، أحدهم ١٠ أسقف - و القمامسة - أحدهم قمص و هم نواب الأساقفة - و القسيسون - أحدهم قسيس و هم علماء النصارى و خطبائهم - و الشماسة - أحدهم شماس و هم قراء النصارى الذين يقرأون الزبور و الإنجيل و مزامير داود و يضربون النواقيس في أوقات صلواتهم و يحملون المباخر و يدورون بلقم القربان و الخمر في الكنائس على النصارى يطعمونهم لبركة ما قرئ عليها - و الرهبان - أحدهم راهب و هم عباد النصارى المقطعون في القلالي و الصوامع و الأديرة - فالقلاية ما حصن بها راهب نفسه بمفرده في البرية ، و الصومعة عالية البناء يقيم بها راهب بمفرده أيضا ، و الدير ما حوى

(١) في الأصل و بن : عشرة .

(٢) في بن : يوحنا .

(٣) في الأصل و بن : قسيسين .

جماعة رهبان، وجوسق الدير بيت حاصل الرهبان وهو بصحن الدير منفرد بنفسه عالٍ لا يوصل إليه إلا بسقالة محكمة تمتد من بابه العالى جدا إلى حائط ' آخر مقابل ' للباب ترفع وتخط تلك الإسقالة المحكمة العمل يرخيها المقيم به بسرياق<sup>١</sup> فى بكرة إلى الحائط المقابل للباب فى النهار وفى الليل يرفعها إليه خشية السراق لما فى الجوسق من الذورات و الأموال ٥ التى تجبى من الوقوفات التى حبستها النصارى على ذلك الدير وغيرها من المأكول و ثياب الصوف التى تلبسها الرهبان وغيرها ، وبكل دير طاحون وفرن ، و كل راهب له صناعة يعملها من طحن وخبز و نسج للصوف و زراع للزرع التى بأرضه الموقوفة عليه و غير ذلك ، و بكل دير كنيسة تجتمع بها الرهبان عند ضرب الناقوس<sup>٢</sup> وقت صلواتهم ، ١٠ فاذا انقضت صلواتهم مضى كل منهم إلى عمله المختص به ، و خازن جوسق الدير يسمى رُئِيَّةً؛ و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب ما قيل فى الرهبان و أديرتهم<sup>٣</sup> من مقاطيع الشعر إن شاء الله تعالى . و البطارقة<sup>٤</sup> مقدمو<sup>٥</sup> جيوش النصارى و اكابر أجنادهم ، و البطررك هو صاحب

(١ - ١) فى الأصل و بن : اخرى مقابلة .

(٢) انظر أيضا ١٨٧ : ألف : سرياقات .

(٣) فى بن : النواقيس .

(٤) فى بن : دياراتهم .

(٥) فى الهامش : الطريق .

(٦) فى الأصل و بن : مقدسى - كذا .

حلّ النصارى و عقدهم ، و يسمى أباء الآباء ، و يقال له أيضا الباب بتفخيم الباء الأولى ، و إذا حرم البطرك على أحد من ملوك النصارى اختلفت عليه جيوشه و لم يطعه أحد [ ٦١ : ب ] منهم و لا من أكابر حاشيته و لا من دونهم حتى عوام النصارى و بنيه و زوجته إلى أن يرفع البطرك عنه تحريره . و في النصارى من يقال له الدمستق و الجائليق ، أما الدمستق فهو المتولى على حواصل الكنائس ، و أما الجائليق فهو البطرك بلغة المشاركة .

قال بعض البغاددة بارك الله للخليفة في العيد و الجائليق في الميلاد فالعيد للخليفة كالميلاد للجائليق . فهذه مراتب النصارى في دينهم و دنياهم ، و سيأتي فيما يرد من هذا الكتاب ذكر فساد مذاهبهم و تبديلهم دين المسيح عليه السلام و كفرهم و ضلالاتهم و الرد عليهم في عقائدهم الفاسدة - إن شاء الله تعالى .

(١) في الأصل و بن : ابو - كذا .

(٢) انظر ٩٧ : ألف حاشية رقم ١ .

(٣) من بن ، و في الأصل : احدا - كذا .

(٤) في بن : بنوه .

(٥) انظر أيضا [ ٩ : ألف ، ٢٥ : ب ، ٩٤ الف - ب ] حيث يشير الكاتب إلى

أنه سيتكلم عن هذا الموضوع دون ان يفعل .

(٦) زيد هنا في بن [ ٤٣ : ب ، ٤٤ : الف ] ما يلي : قال الواقدي : و لما اجتمع عمرو

ابن العاص . . . بقسطنطين بن الملك هرقل على قيسارية بسبب فتحها قال له

قسطنطين ما اسمك يا اخا العرب . . . عمرو و انا من العرب الكرام ارباب =

= الحرمين العظيمين ، قال قسطنطين انك لفتى كريم من . . . . كنت من العرب  
فنحن من الروم بيننا قرابة و رحم متصلة ونحن و انتم في . . . . ما لهم بسفك  
دماء بعضهم بعضا ، قال عمرو ان انسابنا . . . . دين الإسلام و أما اذا كان  
الأخ مع أخيه و اختلفا في دين كان قطع النسب بيننا ، و قد ذكرت ان نسبك  
و نسبنا واحد ونحن من قريش . . . . أبونا آدم ثم نوح ثم إبراهيم أبو العيص  
ابن إسحاق أخو إسماعيل . . . . يبقى على أخيه ولا يجوز عليه قسمته التي قسمها آبائهم  
. . . . في قولك الذي قلته نحن بنو أب واحد أبونا نوح عليه السلام . . . .  
انه قسم لهم شططا حين غضب على ولده حام و اعلم أن ولد نوح لم يرضوا بها  
فاقتلوا عليها زمانا و غلب بعضهم بعضا ، و هذه الأرض انتم بها ليست هي لكم  
هي أرض العاقلة من قبلكم لأن نوحا قسم الأرض بين اولاده الثلاثة سام  
وحام و يافث ؛ فأعطى ولده سام الشام و ما حوله إلى اليمن إلى عمان إلى  
الجزيرة إلى البحرين و العرب كلهم من ولد سام و هم قحطان و طسم  
( زهم ! ) و جديس و عملاق وهو أبو العاقلة حيث كانوا من البلاد  
وهم الجابرة الذين كانوا بالشام فهم العرب الغابرة ، و أقطع حام أرض المغرب  
و السواحل ، و نزل يافث فيما بين المشرق و المغرب . . . . و ان الأرض لله  
يورتها من يشاء من عباده و العاقبة للمتقين . . . . و تريد أن ترد القسمة . . . .  
قسمة معتدلة فناخذ ما في أيديكم و تأخذوا ما في أيدينا من الشوك و الحجارة  
و البلدان . . . . بدلا من الأنهار و العبارة . فلما سمع قسطنطين كلام عمرو  
علم أنه رجل مكين فقال له صدقت ( في ) قولك إلا أن القسمة قد جرت  
و لم ترضوا ( و في بن : لم ترضون - كذا ) بها لكتتم باعين علينا و نعلم ان ما حملكم  
على ذلك و أخرجكم من بلادكم إلا بالجهد العظيم . فقال له عمرو أيها الملك أما  
مازعمت من أن الجهد أخرجنا من بلادنا فنعم و كنا نأكل خبز الشعير و الدررة  
فلما رأينا طعامكم و أكلناه استحسننا ذلك و لن . . . . حكم حتى تأخذ البلاد من  
أيديكم و نصيركم انا عبيدا و نستظل تحت اصول هذه الشجرة العائية و الفروع =

= المورقة و الأغصان الطيبة الثمار، قال منعمونا عما ذقناه في بلادكم من لذيذ العيش فما نلقاكم إلا برجال اشوق إلى حرمكم من حبكم للحياة انهم يحبون القتال كما تحبون انتم الحياة . فأقبح قسطنطين عن جوابه و رفع رأسه إلى قومه و قال إن هذا العربي صادق في قوله و حق الكنائس و القربان . . . ما لنا معهم ثبات . قال عمرو فوجدت الى و عظيم السيل ( كدا ) فقلت اعلموا يا معاشر الروم إن الله . . . قد قرب عليكم ما تطلبون إن كنتم تريدون بلدكم فادخلوا في ديننا و صدقوا قول نبينا فان الدين عند الله الإسلام، قولوا لا اله الا الله محمد رسول الله . قال قسطنطين انا لا مفارق ديننا . . . و أجدادنا . قال عمرو فان كرهت الإسلام فأعطنا الجزية منك و من قومك و انتم . . . ما اجيب إلى ذلك لأن الروم ما تطاوعني على أداء الجزية و لقد قال لهم أبي هرقل . . . عمرو فهذا ما عندي من الاعذار و الإنداز و قد حذرتكم ما استطعت إلا . . . إلى أمر فيه النجاة كما عم أبوكم عيصو في رحم أمه فخرج قبل أبيه يعقوب ( !! ) . . . في النسب و أنا ابرأ إلى الله عز و حل منكم و من قرابتكم إذ انتم تكفرون . . . إسحاق و نحن من ولد إسماعيل بن إبراهيم الخليل و إن الله عز و جل اختار لنبينا . . . خرج من صلب أبيه عبد الله بن عبد المطلب بفعل خير الناس ولد إسماعيل . . . إسحاق على لسان أبيه فولد إسماعيل العرب بفعلت خيرة العرب كنانة ثم جعل خير كنانته قريش ثم جعل خيرة قريش بني هاشم ثم جعل خيرة بني هاشم عبد المطلب جد نبينا صلى الله عليه وسلم فبعث الله محمدا رسولا واتخذة نبيا و هبط عليه جبريل بالوحي . قال فحضعت حوارح قسطنطين و قوله حين ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . رجفت قلوبهم و داخلهم الهيبة و وقع الحرب بينهم إلى ان انتصر ( في بن : انتصرت ) المسلمون عليهم و اخذوا قيسارية - و لما فتح عمرو بن العاص قيسارية سار حتى نزل على عزة فبعث إليه عاجها ان ارسل الى رجلا . . . بك اكلمه ففكر عمرو و قال ما هذا العليج احد غيري ، قال فخرج حتى دخل على العليج فكلمه فسمع منه . . . لم يسمع قط مثله ، و قال له العليج هل =

ولما كان في خلافة أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه كتب ملك الروم كتابا أرسله إليه يقول فيه: سلام عليك فأنتي بأكرم عباد الله إليه و أكرم إمامه، وعن أربعة أشياء فيهن الروح لم تركض في رحم، و عن قبر يسير بصاحبه، و مكان في الأرض لم تصبه الشمس إلا مرة واحدة - و غير ذلك من المسائل، فلما قرأ معاوية كتابه ه قال: اللهم عنه! ما هذا؟ فأرسل معاوية إلى ابن عباس بمكة يسأله عن ذلك، فأجاب يكتب له: أكرم عباد الله عند الله آدم، خلقه بيده و أسجد له ملائكته و علمه الأسماء كلها، و أكرم إمامه عليه مريم التي أحصنت فرجها، و الأربعة التي فيهن الروح و لم تركض في رحم فآدم و حواء و عصا موسى و الكباش الذي أخرج من الجنة فداء لإسماعيل ١٠

= في أصحابك أحد مثلك، قال لا تسأل عن هو انى عليهم إدا بعتونى... عرضوا لما عرضونى له و لا يدرون ما تصنع بى، قال فأمر له بجائزة و كسوة و بعث إلى البواب إذا مر بك الأعرابي صاحب عمرو و أمر القوم فاضرب عنقه و خذ ما معه، فخرج من عنده فمر برجل من النصارى من عرب غسان فعرفه . فقال يا عمرو لقد احسنت الدخول فأحسن الخروج . ففطن عمرو لما أراد فرجع ، فقال له العليج ما ردك الينا ايها الأعرابي ، قال نظرت فيما اعطيتنى فلم اجد ذلك يسع نبي عمى فأردت ان آتيك بعشرة منهم تعطيهم هذه العطية التي اعطيتنى فيكون معروفك عند عشرة خير (كذا) من ان يكون عند واحد ، فقال صدقت اعجل بهم ، و قال العليج في نفسه قتل احد عشر من العرب احسن من قتل واحد ، و بعث الى البواب ان خل سبيله فخرج عمرو و هو يلتفت حتى امن قول لا عدت لمتلها ابدا فلما صالحه عمرو دخل . . . . فقال لعمر و انت هو امير العرب ، قال نعم : على ما كان من غدرك فعض العليج يده ندم و عرف نه هو .

عليه السلام ، و المكان الذي لم تصبه الشمس إلا مرة واحدة فالبحر حين  
انفلق لموسى و بنى إسرائيل ، و القبر الذي سار بصاحبه بطن الحوت  
الذي كان فيه يونس عليه السلام . فلما وقف ملك الروم على هذه المسائل  
و غيرها من المسائل أرسل الجواب إلى معاوية يقول : إن هذا الجواب  
الذي جاوبتني به ليس هو من كلامك إنما هو من بيت نبوتكم ، فعجب  
معاوية من فهم ملك الروم و قال : الحمد لله الذي رزق هذه الأمة العلم  
و جعل فيهم العلماء الذين قال النبي صلى الله عليه و سلم فيهم : علماء أمتي  
كأنبياء بنى إسرائيل .

أخبرني بعض الفقهاء بالإسكندرية قال : وقفت على المسائل المذكورة  
١٠ و هي نحو سبعين مسألة في كتاب لبعضهم و ذلك فيما مضى من الزمان ،  
فالعلاء ورثة [ ٦٢ : ألف ] الأنبياء و الحق سبحانه و تعالى علم آدم الأسماء  
كلها ، عليه كل شيء حتى القصعة و القصيعة و هذا فرس و هذا حمار  
و أسماء ما كان و ما يكون و كل نسمة يخلقها إلى يوم القيامة ، و قال  
أبو الحسن الأشعري : علمه صنعة كل شيء و لما ذا يصلح و فيما يتصرف<sup>٢</sup> ،  
١٥ قال : لأن الأسماء بلا معانٍ لا فائدة فيها ، و كيف ما كان الأمر فهو  
مرتبط بأحكام المخلوقات ، ثم شرف العالم بها حتى سجدت له الملائكة  
الكرام ، و في معنى سجود الملائكة لآدم عليه السلام قولان : أحدهما  
أنهم سجدوا له تعظيماً كما يسجد بعض الناس للسلطين و قد كان هذا

(١) في الأصل و بن : الذي (٢) في بن : من .

(٣) في بن : يصرف .

في بعض الملل، قال الله تعالى " و رفع أبويه على العرش و خروا له  
سُجداً " و الثاني بأنهم أمرُوا أن يجعلوه قبلتهم فيسجدوا نحوه كما يسجد  
لناحية الكعبة، و قيل إنهم أمرُوا أن يسجدوا سجود آدم يقتدوا به  
و يجعلونه إمامهم . و ينبغي لطالب العلم أن يقرأ على شيخ مرشد أمين  
ناصح و لا يستبد بنفسه اتكالا على ذهنه فالعلم في الصدور لا في  
السطور . و سيأتي فيما يرد من هذا الكتاب عدد العلوم و ما قيل فيها  
إن شاء الله تعالى . و قيل : إن سبب طلب معاوية الخِلافة دعاء النبي صلى الله عليه  
وسلم له بالتمكين في البلاد فقال الخِلافة . و قال معاوية : و الله! ما حملني على  
طلب الخِلافة إلا قول النبي صلى الله عليه وسلم : يا معاوية ! إن وليت فاعدل ،  
و اعتقاد أهل السنة تزكية جميع الصحابة و الثناء عليهم كما أثنى الله  
سبحانه و تعالى و رسوله صلى الله عليه وسلم ، فمن قدح في واحد من  
الصحابة فهو مبتدع ، و البدعة ما عمل على غير مثال سبق ، قال الله تعالى  
" وَالسُّبْقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ وَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ " و ما جرى بين معاوية و علي كان مبنيا  
على الاجتهاد لا منازعة من معاوية لعل في الإمامة . إذ ظن علي أن تسليم  
قتله عثمان مع كثرة عشائره و اختلاطهم بالعسكر يؤدي إلى اضطراب  
أمر الإمامة في بدايتها فرأى التأخير ، و ظن معاوية أن تأخير أمره

(١) قرآن كريم ١٢ : ١٠٠ .

(٢) في بن : علة .

(٣) قرآن كريم ٩ : ١٠٠ .

مع جنابهم يؤدى إلى الإغراء بالأئمة . ولم يذهب إلى تخطئة علي ذى  
تحصيل أصلا . وقد ثبت بالتواتر أنّ عليّا ما حارب أبا بكر فى طلب  
الخلافة ، و لو لم تكن إمامة [ ٦٢ : ب ] أبى بكر حقا لحاربه كما حارب  
معاوية حين طلب الخلافة ، فلو كانت الخلافة حقا لعلى ثم انه ما حارب  
الظالم على ظلمه لكان عاصيا و الإمامة لا تليق بالعاصى ، فصح إمامة أبى بكر  
رضى الله عنه ، و من أحسن مقامات الملك الناصر داود بن المعظم لما حضر  
الدرس بالمدرسة المستنصرية ببغداد والخليفة حاضر قال<sup>٢</sup> الفقيه وجيه الدين  
القيروانى : أمتدح الخليفة بقصيدة - قال فيها :

لو كنت فى يوم السقيفة حاضرا كنت المقدم و الإمام الأورعا  
١٠ يعنى سقيفة بنى ساعدة بمدينة يثرب و ذلك بعد وفاة النبي صلى الله عليه  
و سلم ، فقال الملك الناصر داود للوجيه المادح و أشار إلى الخليفة : كان  
جدّ أمير المؤمنين هذا العباس بن عبد المطلب حاضرا يوم السقيفة و إنما  
كان المقدم الأورع أبو بكر ، فقال الخليفة : نعم ، صدقت ! و خلع  
على الملك الناصر و نفى الوجيه القيروانى من بغداد إلى مصر . و لما قدم  
١٥ معاوية مدينة رسول الله صلى الله عليه و سلم فى خلافته دخل دار عثمان  
ابن عفان رضى الله عنه فقالت عائشة بنت عثمان : و أبتاه ! تريد أنه  
يأخذ بثأر أبيها ممن قتله بداره ، فقال معاوية : يا ابنة أخى ! إن الناس

(١) فى الأصل و بن : ذو .

(٢) فى بن : قام .

أعطونا طاعة و أعطيناهم 'أمانا و أظهرنا لهم حلما تحت غضب، و أظهروا لنا طاعة تحت حقد، و مع كل إنسان سيفه و هو يرى مكان أنصاره، فان نكثنا بهم نكثوا بنا، و لا ندرى علينا أم لنا، لأن تكونى بنت عم أمير المؤمنين - يعنى نفسه - خير من أن تكونى من عرض الناس . و ولى معاوية الشام لعمر بن الخطاب و عثمان بن عفان رضى الله عنها . عشرين سنة ، و أقام فى الخلافة عشرين سنة، و كانت هند أم معاوية ابن أبى سفيان عند الفاكه بن المغيرة المخزومى قبل أبى سفيان، و كان له بيت للآضياف يعشاه الناس فيه بغير إذنه، فتقيل<sup>١</sup> أحد الأيام فى ذلك البيت و معه زوجته هند ثم خرج عنها و تركها نائمة فجاءها بعض من كان يغشى البيت فرأى هند نائمة فولى خارجا . فاستقبله ١٠ زوجها الفاكه، فدخل عليها فنبهها و قال لها: من هذا الذى خرج من عندك؟ فقالت له: ما انتبهت حتى نبهتى، فقال لها: الحق بأهلك، فخاض الناس فى أمرهم [ ٦٣: الف ] حتى قال لها أبوها عتبة بن ربيعة: ابشئى شأنك، فان كان صادقا دسست إليه من يقتله، و إن كان كاذبا حاكمته إلى بعض كهان العرب، قالت: و الله يا أبت ١٥ إنه لكاذب! فخرج عتبة إلى الفاكه فقال: إنك رميت ابنتى بأمر كبير فأما يئنت و إما حاكمتى إلى بعض كهان العرب، قال له الفاكه: لك

(١) فى بن: اعطونا .

(٢) فى الأصل و بن: تقيل .

(٣) زيد فى بن: له .

ذلك، فخرجوا إلى الكاهن مع كل واحد منها جماعة من قومه رجال  
 ونساء، فلما شرفوا بلاد الكاهن تغير وجه هند، فقال لها أبوها: ألا  
 كان هذا قبل خروجنا في الناس؟ قالت: والله ما ذلك لمكروه قبلي!  
 ولكننا أتى بشرا يخطئ ويصيب ولعله يسمي بميسم يبقى على الشبه  
 للناس، قال لها: صدقت وسأستخبره، فصفر لفرسه، فأدلى، فعمد إلى  
 حبة بُرّ أي قمحة فأدخلها في إحليل الفرس ثم أوكأ عليها، فلما نزلوا  
 على الكاهن قال له عتبة: إنا أتيناك في أمر وقد خبات لك شيئا  
 أختبرك به فما هو؟ قال: ثمرة في كمره، قال: أين من هذا، قال: حبة  
 بُرّ في إحليل مهر، قال: صدقت فانظر في أمر هؤلاء النسوة، فجعل  
 يمسح على رأس كل واحدة منهن ويقول: قومي لشأنك - حتى بلغ هنداً  
 فقال: قومي غير رضاء ولا زانية، وستلدين ملكاً اسمه معاوية، فلما  
 خرجت أخذ الفاكه يدها، فأزالت يدها من يده وقالت: والله لأحرصن  
 أن يكون هذا الولد من غيرك. فتزوجها أبوسفیان صخر بن حرب  
 فولدت له معاوية، وهو الذي لا يجاريه أحد في سعة حليه. يقال إنه  
 لما أفضى الأمر إليه أمر رجلاً من قريش أن يسير إلى صاحب القسطنطينية  
 في أمر، فلما وصل إلى صاحب القسطنطينية كلمه ملك الروم فجأوبه  
 الرجل بجواب لم يوافق، فقام إليه رجل من بطارقه فوكزه، فقال  
 القرشي: وا معاوية! لقد أغفلت أمورنا وأضعتنا، فوصل الخبر إلى معاوية

(١) من بن، وفي الأصل: يسميني.

(٢) في بن: هذه.

(٣) وقع في الأصل وبن: رسيخا - كذا.

فطوى عليه حتى احتال في فداء الرجل القرشي ، فلما وصل إليه سأله عن أمره مع صاحب القسطنطينية و عن أمر البطريق الذي وكزه في مجلس صاحب القسطنطينية ، فلما عرفه أرسل إلى رجل من قواد بلد صور الذين كانوا قواد البحر و كان معروفا بالنجدة و غزو الروم في البحر و قال له : أنشئ مركبا يكون له مجاذف في جوفه و استعمل السفر ٥ [ ٦٣ : ب ] إلى بلاد الروم و أظهر أنك إنما تسافر إلى بلادهم على وجه السر و الاستتار منّا ، فاذا وصلت إلى صاحب القسطنطينية مكّنه من المال و احمل الهدايا إلى جميع وزراء صاحب القسطنطينية و لا تعرض لفلان - يعنى الذى وكز الرجل القرشى - و اعمل كأنك لا تعرفه . فاذا كلمك و قال لك : لآى معنى تهادى أصحابى و تركنى ، اعتذر إليه و قل له : ١٠ أنا رجل أدخل هذه المواضع مستترا و لا أعرف إلا من عرفتُ به ، و لو علمت أنك من وزراء الملك لهاديتك كما أهادى أصحابك ، و لكنى إذا انصرفت إليكم مرة أخرى سأعرف حقك . فلما انصرف لهم ثانية هاداه و أطفه و أربى في هديته على أصحابه و جعل يؤهله حتى اطمأن إليه العليج ، فلما كان في آخر المزار قال له ذلك البطريق : كنت أحب أن ١٥ تجي<sup>٢</sup> لى من بلاد المسلمين بساط ديباج يكون على ألوان الزهر ،

(١) راجع في خبر رسول معاوية إلى صاحب القسطنطينية « مروج الذهب »

للسعودى ، طبعة باريس ، ج ٨ ص ٧٥ - ٨٧ .

(٢) فى الأصل و بن : الذى .

(٣) فى الأصل : تجب - كذا .

قال له : نعم ، فلما انصرف وصل الى معاوية فأخبره بما طلب ، فأمر أن يشتري له بساط على ما وصف ، وقال له معاوية : إذا دخلت خليج القسطنطينية ابسط البساط على ظهر المركب وتربص حتى يصل الخبر إلى ذلك العليج و ابعث له في السر حتى يأتي إلى ضيعته التي على خليج القسطنطينية ، وقد علم معاوية أن لذلك العليج ضيعة على ضفة الخليج ، فإذا وصلت إلى حذاء<sup>١</sup> ضيعة العليج أرس بها لعلّه يحمله الشّره على الدخول عندك في المركب ، فإذا تحصل عندك ثبت رجالك بالذي بينك وبينهم من أمانة ليخرجوا المجاذيف التي<sup>٢</sup> في جوف مركبك للجذف و تمر به من ذلك الموضع راجعا إلى بلاد الإسلام ، ففعل ما أمره به ، فلما بسط ذلك البساط على ظهر مركبه عند الضيعة فأشرف العليج على المركب من طاق غرفته ورأى ذلك البساط حمله الحرص والنشاط على أن نزل و صعد على المركب ، فحينئذ جذفت النواتية<sup>٣</sup> جذفا قويا خارجين به من الخليج إلى البحر الواسع و جدّوا في السفر حتى وصل به إلى معاوية ، فأحضر معاوية ذلك الرجل القرشي و قال له : هذا صاحبك الذي وكزك؟ قال : نعم ، قال له : قم فاصنع به ما صنع بك و لا تزد ، فقام القرشي ، وكزه كما كان فعل به العليج ، و قال معاوية للعليج : ارجع إلى ملكك و قل له : تركت ملك الإسلام يقتص لأصحابه من أصحاب بساطك !

(١) في الأصل و بن : حدا .

(٢) في الأصل و بن : الذي .

(٣) كذا في الأصل و بن ، والظاهر : النواتي .

وقال للقائد [ ٦٤ : الف ] الذي أتى به : انصرف به إلى أول أرض الروم وأخرجه فيه و أترك له البساط ، فانصرف به إلى قم خليج القسطنطينية فوجد ملك القسطنطينية قد صنع سلسلة على قدر قم الخليج و وكل بها الرجال فلا يدخل الخليج إلا باذنهم ، فأخرج القائد، رمى به على البر و كر راجعا ، فلما وصل العليج الى الملك و وصف له ما صنع به ، ه قال : هذا ملك كبير الحيلة ! فعظم معاوية<sup>١</sup> في أعينهم و كبر في نفوسهم فوق ما كان . و كان معاوية طويلا مسمنا كبير العجيزة قصد الهامة جهم الوجه جاحظ العينين عظيم الصدر وافر اللحية يخضب لحيته بالحناء و الكتم ، و كان داهية ذا رأى و حزم في أمر دنياه ، إذا رأى الفرصة لم يتوقف ، و إذا خاف داراً عليه و إذا خاصم في مقال قطع الكلام على ١٠ مناظره ، و كان ذا سخاء و جود و حلم .

و كان من حلمه أن رجلا قال له يوما : يا معاوية ! زوجني أمك هند بنت عتبة ، فقال : و ما الذي أعجبك منها ؟ قال : حسن عينيها ، و جمال أنفها ، و ملاحظة فمها ، و ظرافة لفظها ، و حلاوة وجهها ، و رشاقة قدمها ، و حالك شعرها ، و دعج طرفها ، و حمرة خدها ، ١٥ ورقة شفيتها ، و لؤلؤية ثغرها ، و صقالة لونها<sup>٢</sup> . و غلظ كفلها . و كبر هناها ، فلما فرغ من وصف ما ذكر قال له معاوية : اذهب إلى أخي فاته

(١) في الهامش : معاوية .

(٢) زيد في بن : و سعة صدرها .

أحكم عليها منى ، فذهب ' إلى أخيه ' فوصف له ذلك ، فغضب سيفه  
و ضرب عنقه ، فنودي عليه : الصلاة على قتيل حلم معاوية .

و الحلم<sup>١</sup> هو تأخير العقوبة بعد الاستحقاق مع القدرة على إيقاعها ،

و مما حكى عن معاوية في الحلم أنه سعد يوماً المنبر فضربه رجل على كفله

و قال : ما أشبهه بكفل هند - يعنى أم معاوية ! فقال له معاوية : ذلك ما كان

يحب منها أبو سفيان - يعنى به أباه<sup>٢</sup> صخر بن حرب بن أمية من عبد شمس .

و من محاسن ما وصف به معاوية أنه صحابي ابن صحابي و صحابي<sup>٣</sup> ، أخو

صحابي ، و أخته<sup>٤</sup> صحابية<sup>٥</sup> هي أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبي سفيان ، و ابن

جدهم ، و أنه كان عظيم الحلم و كاتب الوحي مع غيره من كتاب الوحي ،

١٠ و مغفور له حيث شهد له عمر بن عبد العزيز<sup>٦</sup> في الرؤيا المنامية حيث

قال : غفر لي و رب الكعبة - إلى غير ذلك من مناقبه الجميلة التي من جملتها

أنه صهر النبي صلى الله عليه و سلم ، و ما ذكر [ ب : ٦٤ ] المنام الذي

رآه عمر بن عبد العزيز إن شاء الله تعالى ، و هو أنه رأى في منامه كأن

(١-١) في الأصل و بن : لأخيه .

(٢) في الهامش : الحلم .

(٣) من بن ، و في الأصل : ابوه .

(٤) زيد في بن : امه .

(٥-٥) في الأصل و بن : ابن اخت .

(٦) زيد في بن : و .

(٧) زيد في بن : بالجنة .

القيامة قد قامت ، و أنه رأى قبة مضروبة و ا نودى بأبي بكر ثم بعمر  
ثم بعثمان ثم بعليّ ثم بمعاوية فدخلوا القبة ، ثم خرج عليّ و هو يقول :  
قضى لي و رب الكعبة ! و خرج معاوية و هو يقول : غفر لي و رب الكعبة !  
فشهد عمر بن عبد العزيز من ذلك و من حوليها بأن الحق كان مع عليّ ،  
و لذلك قال : قضى لي ، لأن الله سبحانه تعالى لا يقضى إلا بالحق ، و قول  
معاوية : غفر لي ، دليل على إقراره بأن الحق كان مع عليّ ، و ذلك فيما كان  
شجر بينه و بين معاوية في حياتها ، على أن لكل واحد منها أجرا ، و زاد  
عليّ بأجر آخر بسبب الإصابة . و حج معاوية في خلافته فلما صار  
بالأبواء بين المدينة و مكة اطلع في بئر و هو محرم ، فلقي فأسرع حتى  
دخل مكة ، فاجتمع الناس إليه ، فدعا بعمامة فلفّ بها رأسه و شق ١٠  
وجهه ، ثم جلس و أذن للناس ، فلما استقر حمد الله و أتى عليه و صلى على  
محمد صلى الله عليه و سلم ثم قال : لئن ابتليت لقد ابتلى الصالحون قبلي ،  
و أرجو أن أكون منهم ، و لئن عوفيت لقد عوفى الخاطئون قبلي ،  
و ما آمن أن أكون منهم ، و لئن مرض مني عضو لقد صحب مني ،  
و ما لي على ربي أكثر مما صنع بي ، بل قد زادني على قدرى و جاوزني ١٥  
استحقاقى إنعاما و تفضلا ، و قد بلغت السبعين و نلت الإمارة و الخلافة ،  
و لئن نقم عليّ بعضكم لقد رضيني آخرون ، و لئن نقصت عندكم عن

(١) زيد في بن : قد .

(٢) كذا في الأصل ، و العبارة بها نقص و بياض في « بن » [ ٤٦ : الف ] ،

و بالمعنى غموض قد يتضح باستبدال كلمة « صحب » بكلمة « صح » .

قلى لأزىدقن لكى على من بعدى ، و إذا اأبترتم عرقم ؛ فرأى الله امرءا دعا لى بالعافىة ! فارتبجت الأصوات بالدعاء و البكاء ، فقال له مروان ابن الحكم : ما بىكى أمير المؤمنىن و إنه لو وثىق العمود ، صلب العود ، قال : كبر سنى ، فرق قلبى ، و أسرع دمعى ، و ما ذاك شىء فى عملى ، ثم نهض و أنشد :

و ما هى إلا علة بعد علة إلى العلة الكبرى و تلك هى التى و بما قىل فى معناه :

أذ بما أهواه و الموت دونه كشارب سمّ فى إناء مفضض

فىوشك أمراضى تحلّ بمرضة تفرق ما بىنى و بىن ممرضى

١٠ قال المسعودى فى كتاب التىبه على تواریخ الأمم : كان على بن أبى طالب

رضى الله عنه شدىد الأدمة ، عظیم البطن ، أیض الرأس [ ٦٥ : الف ]

و اللحىة ، تملأ لآىته صدره ، لا یغىر شىبه ، عظیم البطن ، عظیم

العینىن ، أفطس الأنف إلى القصر ، دقیق الذراعین ، لم یصارع قط أحدا

إلا صرعه . و كانت خلافته خمس سنین إلا ثلاثة أشهر . و الخلفاء

١٥ خمسة لا سادس لهم : <sup>٢</sup> أبو بكر الصدیق . ثم عمر بن الخطاب ، ثم عثمان

ابن عفان ، ثم على بن أبى طالب ، ثم الحسن بن على ؛ فهؤلاء الخمسة

هم الخلفاء ، و البقىة ملوك ، كما روى عن النبى صلى الله علیه و سلم أنه

(١) كذا ، و فى بن : زاد .

(٢) فى الهامش : الإمام على .

(-) زىد فى بن : وهم .

قال: الخِلافة بعدى ثلاثون سنة وبعدها ملك<sup>١</sup> . و لما جرى الصلح بين الحسن بن علي و بين معاوية بن أبي سفيان علي رأس الثلاثين سنة قال له معاوية: قم فاخطب الناس و اذكر ما أنت فيه، فقام و خطب الناس و قال: «أيها الناس! إن الله هداكم بأولنا، و حقن دماءكم بأخرنا، و قد كانت<sup>٢</sup> لي في رقابكم يعة، تحاربون من حاربت، و تسالمون من سالمت،<sup>٥</sup> و قد سالمت معاوية، و أشار بيده إلى معاوية و قرأ «و إن أدري لعلَّه فتنه لكم و متاع إلى حين<sup>٣</sup>» . و من نظم علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين تأذى من بعضهم فقال:

لنحن على الحوض ذواده<sup>٤</sup> نذود و يسعد و راده<sup>٥</sup>  
 و ما فاز من فاز إلا بنا و ما خاب من حجبنا راده<sup>١٠</sup>  
 و من سرنا نال منا المنى و من ساءنا ساء ميلاده  
 و من كان غاصبنا حقنا فيوم القيامة ميعاده

روى أن أمير المؤمنين معاوية كان جالسا في يوم شديد الحر لا نسيم له إذ نظر أمامه و إذا هو برجل يحجل في مشيته من شدة حر الأرض فقال لمن حوله: هل خلق الله أشقى من هذا الرجل الذي احتاج إلى<sup>١٥</sup>

(١) في بن: ملوك .

(٢) في بن: كان .

(٣) قرآن كريم ٢١ : ١١١ .

(٤) من بن: و في الأصل: و راده .

(٥) في بن: رواده .

(٦) في بن: يحبنا .

الحركة في مثل هذا الوقت؟ فقال له بعض جلسائه: لعنه يقصد أمير المؤمنين، فقال: والله إن قصدني لأعطينه ولئن استجار بي لأجيرته، يا غلام! قف بالباب إن طلب الدخول لا تمنعه، فوقف الغلام بالباب، فما وصل إليه حتى قال له الغلام: من أنت؟ قال: من بني عذرة، قال: قد أذن لك أمير المؤمنين في الدخول، فدخل والنار تتوقد من فيه، فوقف بين يديه منشدا:

معاوى يا ذا الفضل والحلم والعقل      ويا ذا الندى والجود والعلم والفضل  
[٦٥:ب] ففرّج كلاك الله عني فاني      لقيت الذي لم يلقه أحد قبلي  
و كنت أرجى عدله إذ أتته      فأكثر تردادي مع الحبس والكبل  
فطلقتها من جهد ما قد أصابني      فهذا أمير المؤمنين من العدل

١٠ فجد لي بانصاف من الجائر الذي      بلاني بشيء كان أسره قتلي  
فقال له معاوية: مهلا على قصك يا أخا العرب! أوضح عن أمرك، و افصح عن قصتك، فقال: أطال الله بقاء أمير المؤمنين! كانت لي ابنة عم جميلة و أنا مشغوف بها و اسمها سعاد، و كانت لي صرمة من الإبل و شويها<sup>٢</sup> فاتفقت ذلك عليها، فلما أصابني نائبة الزمان و حادثات ١٥ الدهر رغب عني أبوها، و كانت جارية منها الحياء و الكرم فكرهت مخالفة أبيها، فأتيت عاملك مروان فشكوت<sup>٣</sup> إليه، فأمر بإحضاره<sup>٤</sup>

(١) في الأصل وبن: كلال .

(٢) في بن: لم يلق .

(٣) من بن، وفي الأصل: شويهايات .

(٤) في بن: شكاني .

(٥) في بن: بإحضاري .

و إحصارها، فلما رآني و رأها صار لي خصما و عليّ منكرا، فقال<sup>١</sup> :  
 طلقها، فقلت: لا، فأمر جماعة من غلمانه أن يعذبوني بأنواع العذاب،  
 فلم أجد من ذلك بدا أن طلقتها، فأسجنتي<sup>٢</sup> حتى انقضت عدتها<sup>٣</sup> فزوج بها<sup>٤</sup>،  
 و قد جئتك مستصرخا مستغيثا، فإن أنت أنصفتني منه و إلا شكوتك  
 و إتيته إلى الله تعالى الذي لا تضيع ظلامي لديه، ثم بكى و قال ه  
 في بكائه:

في القلب مني نار و النار فيها شنار<sup>٥</sup>  
 و في فتوادي جمر و الجمر فيه شرار<sup>٥</sup>  
 و الجسم مني نحيل و اللون فيه اصفرار  
 و العين تبكي بشجو قدمها مدرار  
 و الحب داء عسير فيه الطيب يحار  
 حملت منه عظيما فما عليه اصطبار  
 فليس ليلى ليل و لا نهاري نهار

١ فرق له معاوية و قال: مهلا يا أخا العرب على نفسك! و قال: عليّ

(١) زيد في بن: لي .

(٢) في بن: و احتبسني .

(٣-٢) في بن: فزوجها .

(٤) في بن: شرار .

(٥) في بن: استعار .

(٦) زيد في بن: قال سيويه في الليل و النهار اما النهار ففي قيد و سلسة و الليل  
 في بطن منحوت من السياح فلما سمع معاوية من الأعرابي ذلك .

بدواة و قرطاس ، فجئء بذلك ، فكتب « بسم الله الرحمن الرحيم ، من  
 معاوية بن أبي سفيان إلى مروان بن الحكم ؛ أما بعد فقد تعديت الدين ،  
 و هتكت حرم المسلمين ، و تخيرت من المعاصي أعظمها ، و من الجرائم  
 أكبرها ، و ينبغي لمن يكون واليا مثلك أن يَغض بصره عن شهواته ،  
 ٥ و يجمع [ ٦٦ : الف ] نفسه عن لذاته ، فقد أتاني الأعرابي مستصرخا ،  
 فان رددت ظلامته و إلا أعطى الله يمينا لا أكفرها : لأجعلنك لحما  
 بين عقبان ، و شلوا بين غربان ، و كتب في آخره آياتا من الشعر ' و هي :  
 ركبت أمرا عظيما لست أعرفه أستغفر الله من جور امرئ زاني  
 قد كنت تشبه صوفيا له كتب من الفرائض أو آيات فرقان  
 ١٠ حتى أتاني الفتي العذري متجبا يشكو إلى بحق غير بهتان  
 أعطى الإله عهدا لا أخيس بها ولا تبريت من دين و إيمان  
 إن أنت راجعتني فيما كتبت به لأجعلنك لحما بين عقبان  
 طلق سعاد ' و فارقها بمجتمع و اشهد على ذاك نصرا و ابن ظيان  
 فما سمعت كما بلغت من عجب و لا فعالك حقا فعل إنسان  
 ١٥ فلما ورد كتاب معاوية على مروان تنفس الصعداء و قال : وددت أن  
 أمير المؤمنين خلى بيني و بينها سنة ثم عرضني على السيف ، و جعل يؤامر

(١) على هامش الورقة ملاحظة بخط آخر « في نسبة هذه الأبيات إلى معاوية »

ونصها الكامل غير واضح ، و خلاصتها قد تكون أن « الأبيات مصنوعة » .

(٢) في بن : سعادا .

(٣) في الأصل و بن : ذلك .

نفسه في طلاقها و لا يقدر، فلما أزعجه الوفد طلقها، ثم قال: يا سعاد! اخرجي، فخرجت شكاة غنجة ذات هئية و جمال، فلما رآها الوفد قالوا: ما تصلح هذه إلا لأمير المؤمنين لا لأعرابي . و كتب مروان جواب كتابه يقول « بسم الله الرحمن الرحيم، من مروان بن الحكم عد مولاي أمير المؤمنين لجليل حضرته :

لا تعجلنَّ أمير المؤمنين فقد أوفى بندرك في روق و إحسان  
 و ما أتيت حراما حين أزعجني فكيف ادعى بفعل الخائن الزاني  
 فسوف تأتيك شمس ليس يدركها عند الخليقة من إنس و لا جان  
 حوراء يقصر عنها الوصف إن وصفت أقول ذلك في سرّ و إعلان  
 ثم جهزها و أرسلها إلى معاوية، فلما رآها أعجبه منها ما أعجب غيره .  
 فقال: إن كانت أعطيت حسن النعمة مع هذه الصفة فهي أكمل البرية .  
 فاستطقتها فاذا هي أحسن الناس كلاما و أكملهم شكلا و دلا . فقال:  
 يا أعرابي! هل من سلوة عنها؟ قال: نعم إذا فرقت بين رأسي و جسدي .  
 ثم أنشأ يقول:

لا تجعلني و الأمثال تضرب بي كالمستجير من الرمضاء بالنار ١٥  
 اردد سعاد على حيران مكتئب يمسى و يصبح في همّ و تذكّار  
 [٦٦: ب] قد شفه قلق ما مثله قلق وأسعر القلب مسى<sup>٢</sup> أى إسعاد  
 و الله و الله لا انسى محبتّها حتى أغيب في رسم و أحجار

(١) في الأصل وبن: ذا .

(٢) في بن: منه .

كيف السلو و قد هام الفؤاد بها و أصبح القلب عنها غير صبار  
قال : فعضب معاوية غضبا شديدا ، فقال الأعرابي : استغثت على جور  
أيها يعدل مروان فجار ، فاستغثت على جور مروان بعدلك ، فان جرت  
ليس لي من أستغيث به عليك إلا الله تعالى ، فقال معاوية : يا أعرابي !  
أعطيك عوضها ثلاث بنات نهد أبكار كالأقمار و أطلق لك و لهنّ من  
بيت المال ما يقوم بك و بهن و بكسوتك و كسوتهنّ ، فقال : و الله  
لو أعطيتني ما حوته الخلافة ما تسلّيت عنها ! فقال : يا أعرابي ! ما الأمر لك ،  
أنت مقر بأنك طلقته و مروان مقرّ بأنه طلقها ، ونحن نخيرها  
إن اختارت غيرك - و عني بذلك نفسه - رددناها إليه ، و إن اختارتك  
١٠ عقدنا لك عليها بعد وفاء عدتها من مروان ، ثم قال لها : أيما أحبّ  
إليك أمير المؤمنين و عزّه و شرفه و ملكه و ما تصيرين إليه عنده  
أو مروان و فسقه و ظلمه و ما تصيرين إليه عنده أم هذا الأعرابي و جوعه  
و فقره و برده و ما تصيرين إليه عنده ؟ فأطرقت ساعة و قالت :  
هذا و إن كان ذا قلّ و إفقار أعزّ عندي من أهلي و من جاري  
١٥ و صاحب التاج أو مروان عامله و كل ذي درهم عندي و دينار  
ثم قالت : أما شرف أمير المؤمنين فلا نزاع فيه غير أنّه لا يحصل لي  
وحدى ، و أمّا مروان و إن كان ظلما جائرا فذلك متعلق بذمة  
أمير المؤمنين فالواجب عليه عزله ، و أمّا هذا الأعرابي فانه ابن عمي  
و عضو مفصلي ، و لي معه صحبة لا تبلى ، و حبة لا تنسى ، و لم أصحبه  
(١) من بن ، و في الأصل : اما .

إلا لعذرات الزمان و نكبات الأيام، و قد تمتعت معه في السراء، فأنا  
أحق من صبر معه في الضراء . فاستحسن معاوية منها ذلك، و رسم لها  
وله بعشرة آلاف درهم و ناقة او وطاء<sup>١</sup>، فأدخلت القصر، أقامت به حتى  
انقضت عدتها من مروان، ثم أمر<sup>٢</sup> بدفعها إلى الأعرابي بعد أن عقد له  
عليها<sup>٣</sup>. فانظر يا هذا إلى كرم معاوية و جوده و حله في طلبه من الأعرابي  
السلو<sup>٤</sup> عنها فلم يرض، و طلب من المرأة أن تختاره فامتعت<sup>٥</sup>، و مع ذلك  
أحسن إليهما، و بالغ [ ٦٧ : الف ] في إكرامهما، ثم انظر إلى مروءة  
هذه المرأة و وفائها لزوجها، و رضاها به مع فقره، و تركها ما عرض  
عليها من العز و الشرف و هي تأتي إلا الوفاء لزوجها، و هذا غاية  
الوفاء و الكرم<sup>٦</sup>.

١٠

و سأذكر حكاية أوفى و أبلغ من حكاية الأعرابية لأن هذه الأعرابية  
وفت لبعها في حال حياته و هو يشاهدها و يراها و هي أيضا تشاهده  
و تراه، فحسى أن يكون استحييت منه و اختارته على غيره بسبب ذلك.

(١-١) في بن: و رقاء .

(٢) زيد في بن: و أمر بها .

(٣) زيد في بن: عند الجوارى .

(٤-٤) في بن: تزويجها للأعرابي فتزوجها و انصرف بها .

(٥) في بن: طلبها .

(٦) في بن: و سلوه .

(٧) في بن: و رضيت بفقر الأعرابي .

(٨-٨) في بن: المروءة و الوفاء .

و في الحكاية التي أذكرها الآن وفاء أعرابية لزوجها بعد وفاته ولبثه  
 بقبره سنين، و ذلك ما حكاه الأصمعي قال: سمعت رجلا من بني تميم  
 يقول: ضلت إبل لي فركبت قعوداً وخرجت في طلبهن فأتعبنى ذلك،  
 فصرت إلى بلاد عذرة فاذا بيت متبذ عن الاخوية ليس بقربه أنيس  
 ٥ وإذا على باب جويرية كاشفة برقعها كأن وجهها سيف صقيل اغشى نوره  
 بصرى، فوقفت بها فقالت: ما حاجتك؟ قلت: إبل لي أضلتها فهل عندك  
 شيء من عليها؟ قالت: أفلا أدلك على من عنده علمهن؟ قلت: بلى، قالت:  
 الذي أعطاكهن هو الذي أخذهن فاطلبهن من طريق اليقين لا من طريق  
 الاختبار، ثم انها لما رأتني متأملا لها أرخت البرقع وقالت: يا عم! انزل  
 ١٠ على بركة الله وإن أحببت قرى كان لبنا أو ماء، قال: فأنخت و نزلت،  
 قالت: ما تشاء؟ قلت: لبنا، فولت كأنها قضيب ينثى فأخرجت قعا مملوءا  
 لبنا، فشرمت حتى رويت ثم استلقيت على ظهري من التعب فقلت: يا حبيبتى!  
 ما اسمك؟ قالت: علوة، فقلت لها: يا علوة! هل لك من بعل؟ قالت:  
 قد كان فدعى إلى ما منه خلق - ثم أنشدت تقول:

١٥ إذا دجا الليل أحبي لي تذكره      و الصبح يبعث أشجانا على شجنى  
 و كيف ترقد عين صار مؤنسها      بين التراب و بين القطن و الكفن  
 أبلى الثرى و تراب الأرض جثته      كأن صورته الحسناء لم تكن  
 أبكى عليه حيننا حين أذكره      حين والهة حسنت إلى وطن  
 أبكى على من حنت ظهري مصيبته      و طير النوم عن عيني و أرقى

(١) من بن، و في الأصل: ابلا.

تالله لم أنس<sup>١</sup> حبي<sup>٢</sup> الدهر ما شجعت حمامة أوبكى طير على قن  
 فقلت عند ما رأيت من جمالها وحسن وجهها وفصاحتها وشدة جزعها  
 [٦٧: ب]: هل لك في بعل لا تُدَمَّ خلائقه ويأمن ألفه بوائقه؟ فاستعبرت  
 باكية ثم قالت:

كنا كغصنين في عود غذاؤهما ماء الجداول في روضات جنات ه  
 فاجتث خيرهما من جنب صاحبه دهر يكرّ بسفزعات وترحات  
 و كان عاهدني إن خاني زمن أن لا يضاجع أنثى بعد مشوات  
 و كنت عاهدته أيضا فعاجله ريب المتون قديما مذسنيات  
 فاصرف عنانك عمن ليس بصرفها عن الوفاء خلاف في التحيات  
 قال: ثم جهدها على أن تريني الطريق أو تكلمني<sup>٣</sup>، فأبت عليّ بذلك ١٠  
 فانصرفت وفي قلبي كجمر الغضا من محبتها، ثم أنشأ يقول:

خلياني من الملام كفاني أنا صبّ بحب علوة فاني  
 زمزموا لي بذكرها فهي روي وحياتي نعم و كل الأمانى  
 إن تفانيت فهي عين وجودى هكذا الحب لا عدمتُ التفانى  
 أو تزرى فيا فوادى تهنا لا أبالي بكل من قد جفانى ١٥

ولبعضهم في معنى أبيات علوة المذكورة:

اثنان كنا لهذا الحب مذُخلقا دُمننا ودام نعيم الوصل متفقا

(١) في الأصل: لم أنسى، وفي بن: ما أنسى.

(٢) في الأصل و بن: حبيبي.

(٣) من بن، وفي الأصل: تكلمت.

كنا كغصنين في فرع نخانها ريب المتون<sup>١</sup> الذي قد جار فاقترقا  
 فاصفر عودهما من بعد حضرته وأسقط البين من أغصانه الورقا  
 يمر هذا على ذا لا يكلمه وقلب هذا على هذا قد احترقا  
 ليت الغراب الذي نادى بفرقتنا هبت عليه رياح النار فاحترقا

و لبعضهم في معناه :

أطيب ما كنا تفرقتنا يارب جمعنا كما كنا  
 كنا كغصني بانه في الثرى أو خيزران قد تعاقنا  
 غصنين ملتقين هذا بذا فمن رأنا ظننا غصنا  
 صاح الغراب بنا فأزعجنا فبعد جمع و وصل قد تفرقتنا

١٠ قال المقدسي في معنى نعيق الغراب<sup>٢</sup> إن نعيقه منذر بفرقة الأحباب،  
 ولقد سمعت صوت غراب قد تجلبب من الحديد بجلباب، ورضي  
 بين العباد بتسويد الثياب، فناديته: أيها النادب! لقد كدّرت [ ٦٨ : الف ]  
 ما كان صافيا، و مررت ما كان حلوا شافيا، فما بالك لم تزل<sup>٣</sup> في البكور  
 ساعيا، و على الربوع ناعيا، و في البين داعيا؟ إن رأيت شملا مجتمعا  
 ١٥ أنذرت بشتاته، و إن شاهدت ربعا مربعا بشرت<sup>٤</sup> بدروس عرصاته،  
 فأنت لدى الخليط المعاصر أشأم من قاشر . فناداني بلسان زجره الفصيح،

(١) في بن : الزمان .

(٢) في الهامش : نعيق الغراب .

(٣) في بن : لم تكن .

(٤) في بن : صحت .

و أشار بعنوان حاله الصحيح، و قال: أنت لا تفرّق بين الحسن و القبيح، و تساوى لديك العدو و النصح، لا تفهم بالكناية و لا بالصرح، فكان المواقظ في أذنيك ربح، أما تذكر ارتحالك من هذا الفسيح، إلى ضيق الضريح؟ أما بَلَّغَكَ ما جرى على أيك آدم و هو ينادى على نفسه و يصيح؟ أما يكفيك ما تمّ على داود و هو يبكي بحضنه القريح؟<sup>٥</sup> أما تعتبر بنواح نوح على دار ليس فيها مستريح؟ ألا ترى إلى إبراهيم و هو في النار طرح؟ أما تقتدى بصبر الذبيح؟ أيّ جمع لم يفرّق؟ و أيّ شمل لم يتمزّق؟ فكيف تلومني على نواحي؟ و لو علمت ما في صلاحك و صلاحى لا تشحت بوشاحى، و وافقتنى فى سواد جناحى.

١٠ و قد تغلغل بنا الكلام و تشعب و تسلسل إلى أن خرجنا عمّا كُتِبَ فيه من الملحمة فلنرجع إليها، قال الباجريقى<sup>١</sup> فيها:

يا مسلمين اغنموا المال فاض و كنز بالفرات و عند الرستن الشتن  
حوافر الخيل أبدت ذاك طالعة بشاهق كعسيب أو كما الغصن

قوله: هذا يدلّ على أن المسلمين تنتصر على القوم الكافرين بعد إقامة الروم بالشام كما قال الباجريقى<sup>٢</sup>:

١٥

(١) راجع في موضوع نعيق الغراب:

Garcin de Tassy: Alle'gories, re'cits poe'tiques et chants populaires  
2nd. ed., Paris 1876, pp. 48-51; Alle'gorie 28, Le corbeau, par  
Izz-al-Din al-Muqaddasi.

و انظر أيضا فيما بعد من هذا النص ١٢٣: الف «مقامة الغراب» .  
(٢) فى الأصل: البجربقى، و قد احتفظنا بوضع الكلمة فيما سبق بالورقات  
٥٧: الف، ٥٨: ب .

قد طهرت من جميع الروم أرضكم لم يبق إلا أمير القوم مرتهن  
يعنى أن المسلمين يقتلونهم و يخرجونهم من الشام و يغنمون أموالهم ،  
و يظهر كنز بالفرات ثيره حوافر الخيل ، و يستغنى المسلمون غناه  
كثيرا . عن عبد الله بن عمر<sup>٢</sup> قال : خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم  
يوم الخندق و هم يحفرون حول المدينة ، فتناول رسول الله صلى الله عليه  
و سلم الفأس فضرب به ضربة فقال : هذه الضربة يفتح الله بها كنوز  
الروم<sup>٤</sup> ، ثم ضرب الثانية فقال : هذه الضربة يفتح الله بها كنوز  
فارس . و كلام الباجري [ ٦٨ : ب ] يشير إلى أنه سيظهر كنز  
بالفرات كما ستظهر كنوز فرعون بأرض مصر .

١٠ حكى أنه كان على عهد فرعون يوضع الربع من خراج بلاد مصر  
فى كل سنة فيدفن لئانة تنزل أو جائحة ، فهى كنوز فرعون التى  
تحدث الناس بها أنها ستظهر فيطلبها الذين يطلبون الكنوز و المطالبة .  
عن أبى قبيلى قال : خرج وردان من عند الأمير مسلمة فمرّ على  
عبد الله بن عمر مستعجلا فناداه : أين تريد يا وردان ؟ قال : أرسلنى  
الأمير مسلمة أن آتى مصر القديمة فأحضر له عن كنوز فرعون ، قال :

(١) فى الأصل و بن : يغنموا .

(٢) فى الأصل : تستغنى ، و فى بن : يستغنى .

(٣) من بن ، و فى الأصل : عمرو .

(٤) انظر أيضا ١١٧ : الف .

(٥) فى الأصل و بن : على .

(٦) فى بن : أخرجنى .

فارجع إليه و أقرئه عنى السلام و قل له إن كنوز فرعون ليست لك  
ولا لأصحابك ، إنما هى للحبشة<sup>١</sup> ، إنهم يأتون فى سفنهم يريدون مصر ،  
فيسيرون حتى ينزلوا<sup>٢</sup> مصر فتظهر لهم كنوز فرعون ، فأخذون منها  
ما يشاءون فيقولون : ما نبغى غنيمة أفضل من هذه ، فيرجعون و يخرج<sup>٣</sup>  
المسلمون فى آثارهم فيدركونهم فيقتلون ، فتتهدم الحبشة ، فيقتلهم<sup>٤</sup>  
المسلمون و يأسرونهم حتى أن الحبشى ليبيع بالكساء .

عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : يوشك  
الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب ، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً .  
و فى رواية : عن جبل من ذهب ، فقيل إنه إذا أخذه أحدكم ثم لم يجد من  
يخرج حق الله لم يوثق بالبركة من الله فيه ، فكان عدم الأخذ منه أولى . ١٠  
و قيل إنه ظهر بأرض الفرات كنز كبير ، كما حكى أن بعض الصيادلة كان  
يطوف القرى يبيع على أهلها ما معه من اللبان و الناطف و الإبر و الخيوط

(١) راجع فى هذا الموضوع « حسن المحاضرة » للسيوطى ج ١ ص ٧٢ حيث ورد  
فى الفصل الذى عنوانه « ذكر ما يقع بمصر قرب الساعة » ما يأتى : « يأتى العام  
الثانى رجل من الحبشة يقال له أسيس و قد جمع جمعا عظيما فيهرب المسلمون  
منهم من أسوان حتى لا يبقى فيها و لا فيما دونها احد من المسلمين إلا دخل  
الفسطاط ، فينزل أسيس بجيشه متفيا فيخرج إليهم راية المسلمين على الجيش  
فينصرهم الله عليهم فيقتلونهم و يأسرونهم حتى يباع الأسود بعباءة » .

(٢) فى الأصل و بن : حتى ينزلون - كذا .

(٣) فى الأصل : تخرج .

(٤) فى الأصل : فتقتلهم .

و غيرها ، فأخرجت امرأة من بيتها شخصا<sup>١</sup> من النحاس على صفة قرد صغير عليه نقش ، فلما رآه الصيدلاني استحسنت شكله فقال لها : ما تريدين بهذا ؟ قالت : أعطني<sup>٢</sup> به مما معك ؛ فدفع لها من كل شيء معه قليلا و مضى به إلى منزله ، و كان يسكن ببلد على شاطئ الفرات ، فقال لزوجته : انظري إلى صفة هذا الشخص النحاسي<sup>٣</sup> الذي هو على صفة قرد و ما أحسن صناعته ! فأخذته المرأة و نظرتة فأعجبها حسن صناعته و لطيف هيئته ، ثم إنها وضعتة على الأرض فما استقر عليها إلا و قد صار يرقص رقصا كثيرا<sup>٤</sup> ، فانداهلت المرأة و زوجها من رقصه<sup>٥</sup> و عما عاينا<sup>٦</sup> من فعله ، فرفعا<sup>٧</sup> و وضعاه في مكان آخر من الدار [ ٦٩ : الف ] فبطل رقصه<sup>٨</sup> ، فرجعا به إلى المكان الأول فرقص<sup>٩</sup> ، فقالا : ما رقص هذا الشخص في هذا المكان دون غيره<sup>٩</sup> إلا وفيه<sup>٩</sup> سر من الأسرار ، فأخذ الرجل المسحاة

(١) في الأصل : شخص - كذا .

(٢) في الأصل : اعطيني - كذا .

(٣) في الأصل و بن : النحاس .

(٤) في بن : و يقفز قفزا .

(٥) زيد في بن : و قفزه .

(٦) في بن : عاينت

(٧) زيد في بن : من ذلك المكان .

(٨) في بن : فعاد إلى الرقص و القفز .

(٩) زيد في بن : من الدار .

(١٠) في بن : في الأرض .

و حضر ذلك المكان ، فظهر له طابق فرغه ، فوجد سردابا فتزله ، فوجد قاعة ترهج بالذهب و الجواهر ، فاستدعى الرجل زوجته ، فرأت ما حير عقلها ، فأخذا منه ما اختارا من غير مانع منعهما ، ثم إنهما رزقا ولدا (١) زيد في بن : لها باب مقفل و مفتاحه في قفله و دخن القاعة فرآها .

(٢) زيد هنا في بن [ ٤٩ : ب ] ما يلي : فقال الرجل لزوجته : هذا مال حصل لنا من عند الله تعالى ، فان أظهرناه فسد و أخذ منا و يقول الناس : هذا لم نعرفه الا صيدلانيا فمن اين له هذا المال ؟ قالت له زوجته : احتل حيلة ، فكتب كتابا يقول فيه : من عند اخيه فلان الى عند الأخ العزيز سهل ، انى بأرض الهند و قد حصل لى مال جزيل و خفت الموت فتحضر تأخذه فانت اولى به من الغير ، و طوى الكتاب و ختمه و كتب عنوانه يصل الى البلد الفلانى بأرض الفرات يسأل عن سهل بن عبد الله يدفع له ، و خرج من داره ينظر شخصا غريبا هنديا يدفعه إليه ليجعله كأنه اتاه به من أخيه من الهند ، فوجد رجلا هنديا فدفع له الكتاب و قال له تقص (في بن : تقصى) من الناس عن دارى و أتى بالكتاب و اك هذا الديتار ، فتقصى الهندي عن داره ، فأرشده الناس الى دار الرجل فدفع له الكتاب بحضرة الجيران ، ففتحه و قرأه بينهم ، فشاع الخبر و فشا في الناس ، فتجهز للسفر و ملأ خرجا بالذهب و خاطه كأنه هدية لأخيه و ودع الناس و سافر ، فتاب نحو السنة و يضع به من الذهب الذى استصحبه معه بهارا كثيرا و امتعة و أقمشة هندية و أتى إلى بلده بها ففسد به على تلك الوراثة التى أتى بها يزعمون أنها وراثة حقيقة ، و تقعت تلك الحيلة التى دبرها و صار تاجرا . . . . . لبعض رزقك الله ما رزق سهل الصيدلانى ، ثم رزق من . . . . . فى النعمة الغزيرة و المال الجزيل الى كبير و نجب و رأس و دعى . . . . . أمير المؤمنين المأمون تزوج بابنته بوران بنت الحسن بن سهل . . . . . صفة ترويح أمير المؤمنين لها و ما فعله الحسن بن سهل للمأمون . . . . . فلترجع الى ما قاله الباجريقى فى ملاحمته « . =

سمياه الحسن ، و كان أبوه اسمه سهلا ، فرّياه إلى أن كبر ، فنجب  
و رأس إلى أن صار وزيراً للأُمون ، فتزوج المأمون ابنته بوران  
بنت الحسن بن سهل لكثرة ما عنده من الأموال ، و كان أصل ذلك  
المال من ذلك الكنز .

٥ و سأذكر فيما يرد من هذا الكتاب<sup>١</sup> ما عمله الحسن بن سهل  
للأُمون ليلة زفافه على ابنته بوران - إن شاء الله تعالى ، فلنرجع إلى  
ما قاله الباجري<sup>٢</sup> في ملحمة :

و ما لهم عودة إلا إذا ظهرت يارق النصر للإسلام باليمن  
شين له أثر من تحت سرتته له القضاء قضى سيف بن ذى يزن

١٠ اختلف<sup>٣</sup> الناس لم تُسمى اليمن يمنا ، فمنهم من زعم انما سُمي يمنا  
لأنه عن يمين الكعبة إذا استقبلت الشمس من مطلعها ، كما سُمي الشام<sup>٤</sup> شاما  
إذ كان عن شمال الكعبة ، و سُمي الحجاز حجازا إذ كان حازرا  
بين اليمن و الشام ، و من الناس من يزعم انما سُمي يمنا لأن الناس حين  
تفرقت يابل تيامن بعضهم يمين الشمس و بعضهم شمالها ، فسميت بهذا

= و عبارة « بن » فيها بعض الخليل الواضح ، ولكن مضمونها يكمل ما ورد  
في نص « بر » .

(١) لا يوجد خبر عن ذلك فيما يلي من نص هذا الكتاب .

(٢) في الأصل : البجري ، و صحته وردت فيما سبق من النص و الحواشي .

(٣) في الطامش : لم سُمي اليمن يمنا ، لم سُمي حجازا ، لم سُمي شاما .

(٤) انظر الورقة ٥٧ : الف .

## الإسم يمنا و شاما .

(١) زيد هتافي « بن » [ ه : الف ] ما يلي : وقال الكلبي : سمى اليمن يمنا لأن يقطن بن غابر بن شابخ بن أرتخشد بن سام بن نوح عليه السلام أقبل بعد خروج ثلاثة عشر من ولد أبيه فزل موضع اليمن ، فقالت العرب : تيمن بنو يقطن فسميت باليمن ، ولما جاء أهل اليمن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد جاءكم أهل اليمن أرق قلوبا منكم ، وقال : الإيمان يمان والحكمة يمانية والإسلام يمان ، وقال : أهل اليمن زين الحاج ، وقد قال مجاهد في قوله تعالى « فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه » هم أهل اليمن . و قدم رجل على نعيان بن المنذر . . . . . العرب ، فقال : أخبرني عن أهل اليمن ، فقال : أكثر الناس مستندا وأكثرهم جمعا ، قال : أخبرني عن نبي عامر . . . . . أعجاز النساء ، وأعناق الأطباء . و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا تعذر أحدكم الملتمس فعليه بهذا الوجه . . . . . إلى اليمن . و قوله تعالى « وان تولوا يستبدل قوا غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » [ قرآن كريم ٤٧ : ٣٨ ] . قال : أهل اليمن ، وفي اليمن ثلاثة وثمانون ( وفي بن : ثمانين ) منبرا وأرجون ( في بن : اربعين ) محدثة ، و سميت صنعاء بصنعاء بن ارك ابن يقطن و هو الذي بناها ، و قوله تعالى « بلدة طيبة و رب غفور » [ قرآن كريم ٣٤ : ١٥ ] قيل صنعاء ، و قوله تعالى « غدوها شهر و رواحها شهر » [ قرآن كريم ٣٤ : ١٢ ] قال : كان سليمان بن داود عليه السلام يغدو من اصطخر و يروح بصنعاء و يستعرض الشياطين بالرى . قال و صنعاء اطيب البلدان و هي طيبة الهواء ، كثيرة الماء ، يشتون مرتين ، و يصيفون مرتين ، و باليمن من انواع الخصب و غرائب الثمر و ظرائف الشجر ما يستصغر ما ينبت في بلاد الأكاد الأكاسرة و القياصرة ، و قد تفاخرت الروم و فارس بالبنيان و تنافست فيه فحجزوا عن مثل قصر غمدان و مارد و مزواج و بينون و سلجان و هند و هنيذة . . . . . قال الشاعر :

أبعد ( في بن : بعمد ) بينون لا عين ولا أثر و بعد سلجين يبنى الناس بنياقا =

قال جريقي ' يشير إلى أن الكفار يعودون إلى الشام بسبب الحرب بعد كسرتهم ، و يأتي قوم من اليمن لنصرة المسلمين يقدمهم من في اسمه حرف الشين ، يقضى كقضاء سيف بن ذي يزن .

و سيف هذا هو أبو معدى كرب الحميري الذي استنصر بكسرى أحد ملوك الفرس على الحبشة الذين ملكوا اليمن من حمير ، فنصره عليهم بسريّة أرسلها معه في البحر و هم ألفان يقدمهم وهرز الفارسي ، فقال سيف لوهرز: ما تنفع ألفان في خمسين ألفا ، فقال له وهرز: إن الحطب الكثير تحرقه الشعلة من النار ، و برزت الألفان ° لسلطان الحبشة

= و لأهل اليمن الخط . . . . . و عقد الجمل والحساب والخط الحميري . و يعمل العقيق من مخاليف صنعاء ، عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال لي جبريل: يا محمد! أتدرى ما العقيق؟ فقلت . . . . . بالوحدانية ولي بالرسالة و لك بالنبوة و لعل بالوصاية و ذريته . . . . . و اليمن معدن الجزع و هو أنواع و جميع هذه الأنواع من معدن العقيق . و قال الأصمعي . . . . . و هي لا تكون الا باليمن الورد و الكندر و الخضر و العصب ، و لأهل اليمن الحلال . . . و الشب الياباني و هو ما ينبع من قنة جبل فيسيل على حانبه . . . . . الياباني الأبيض و لهم الورد و هو شيء يسقط على الشجر كالترنجيبين - انتهى .

(١) في الأصل: البجربقي ، و صحته وردت فيما سبق من النص و الحواشي .

(٢) زيد في بن: الملح .

(٣) في الأصل: ألفين ، و في بن: الدين .

(٤) في الأصل: الفين .

(٥) في الأصل و بن: الألفين - كدا .

و لجنوده ، فرماه وهرز بنشابة فلقنت ياقوته كانت معلقة بمعلق من الذهب قبالة وجهه ، فتغلغلت في دماغه ، نخر مسروق ملك الحبشة ميتا ، وحملت الألفان<sup>١</sup> على [ ٦٩ : ب ] جنوده فهزموهم ، و ملك سيف ابن ذى يزن اليمن ، فكان مدة ملك الأحبوش لليمن اثنتين<sup>٢</sup> و سبعين سنة ، و فى نصر فارس لليمن<sup>٣</sup> يقول بعض أولاد فارس :

نحن خضنا البحار حتى فككنا حميرا من بليّة السودان  
 قتلنا مسروق إذ تاه لما ان تداعت قبائل الحبشان<sup>٤</sup>  
 و فلقنا ياقوتة بين عينيه بنشابة الفتى الساسان  
 و كان سيف بن ذى يزن من ذرية حمير بن سبا ، و كان حمير أشجع الناس  
 فى وقته و أفرسهم و أكثرهم جمالا ، و ملك اليمن خمسين سنة ، و كان  
 أول من وضع التاج على رأسه من ملوك اليمن ، و إنما سُمى حمير  
 لكثرة لباسه الثياب الحمر ، و كان من ملوك اليمن ملك يقال له أبرهة  
 ذو الأذعار ، و سُمى بذلك لأنه كان فيما يذكر أهل الأخبار أنه غزا  
 بلاد النساس ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، و رجع باليمن من سيدهم  
 بقوم وجوههم فى صدورهم ، فسمى بنى الأذعار . و كان من ملوك  
 اليمن ناشر بن عمرو و يعرف بناشر النعم لإنعامه على الناس ، و كان  
 شديد السلطان و خرج غازيا نحو المغرب حتى أتى وادى لرملة الجارى ،

(١) فى الأصل و بن : الألفين - كذا .

(٢) فى الأصل و بن : اتنين .

(٣) فى بن : سيفا على الحبشة . (٤) فى الأصل : الجيشان ، و فى بن مضموس .

فوتجه جيشا في الرمل فهلكوا ولم يعد أحد منهم ، فأمر بصنم نحاس  
فصنع و كتب في صدره بالقلم المسند و هو القلم القديم « ليس [ من - ]  
ورأى مذهب ،<sup>١</sup> ورجع . قال المؤلف غفر الله له : و سأذكر في  
ترجمة الدواوين الأعلام القديمة و أسمائها إن شاء الله تعالى - انتهى .

٥ نعود ، و ذكروا أنه لما غلب سيف بن ذى يزن على اليمن و ملكها  
أته و فود العرب و أشرافها و شعراؤها لتهنيه و تمدحه و تذكر ما كان  
من بلائه و طلبه بثأر قومه ، فأتاه وفد قريش و فيه عبد المطلب بن هاشم  
و أمية بن عبد شمس و خويلد بن عبد العزى فى ناس من وجوه قريش ،  
فأتوه بمدينة صنعاء و هو فى قصر غمدان ، و هذا القصر على البناء على  
١٠ تل مرتفع إذا وقيد على أعلاه فانوس<sup>٢</sup> يرى فى الليل من مسيرة ثلاثة  
أيام ، و قيل إن مقاصيره من خشب العود القاقلى و الصندل المقاصيرى ،  
فاذا كان وقت الهجرة فاحت منها روائح عبقة ، و هو الآن خراب  
يصيح فيه البوم و العراب ، و هو الذى قال فيه الشاعر بعد خرابه :

[ ٧٠ : الف ] ألا يا قصر غمدان قد أهلك الجديدان

١٥ و قد خرب منك الدهر ما شئده الباني  
ويا منزل إخوان ويا مرتع غزلان

(١) من بن .

(٢) زيد فى بن : و وضعه .

(٣) فى الأصل و بن : فانوسا .

وهي أبيات ، و سيف بن ذي يزن هو الذي يقول فيه أبو الصلت الثقفي :  
لا يطلب الوتر إلا كابن ذي يزن<sup>١</sup> في البحر خيم<sup>١</sup> للأعداء أحوالا  
أنى هرقل<sup>٢</sup> وقد شالت نعامة فلم يجد عنده النصر الذي سالا  
يعنى أنه لما استنجد بهرقل ملك الروم قال له : إنا نصارى والحبشة أيضا  
نصارى وما فى الديانة أنا نتجداك على أهل ملتنا و شريعتنا ، فلما انقطع<sup>٣</sup> ه  
منه سار إلى كسرى ملك الفرس ، كما قال أبو الصلت :  
ثم اتحنى نحو كسرى بعد عشرة من السنين يهين النفس و المالا  
فلما وفد على كسرى و سأله النصره قال له : أرضك بعيدة فلانرى  
عسكرا يضيع فى البرارى و القفار و يهلك ، فأمر له بعشرة آلاف دينار ،  
فلما خرج من عند الملك نثرها على من كان واقفا على باب الملك من الجند ١٠  
فانتهبوها ، فبلغ ذلك كسرى ، فقال له : ما بالك فعلت ما فعلت ؟ فقال :  
أيها الملك ! إن أرضى تنبت الذهب فما أصنع بعشرة آلاف دينار ،  
فقال : تنظر فى أمرك ، فأنجده بأصحاب السجون ، و قال : اتركوهم يسيروا  
معه ، فان فتحوا اليمن فكان الفتح لنا ، و إن قتلوا فما علينا من قتل  
أرباب الجرائم ، فسار بهم سيف بن ذي يزن فاتصر بهم ، كما قال أبو الصلت : ١٥  
حتى أتى بينى الأحرار يقدمهم تراهم فوق متن الأرض أجبالا

(١-١) فى الأصل و بن : خيم فى البحر ، و التصحيح من ديوانه المطبوع فى فحول

الشعراء (بيروت ١٩٣٤) ص ٥١ .

(٢) من بن ، و فى الأصل : هرقل .

(٣) زيد فى بن : أيامه .

(٤) فى بن : تخالمهم .

بيض مرازية غلب أساورة<sup>١</sup> أسد تربب في الغيصات أشبالا  
 لله درهم من قتيبة صبر<sup>٢</sup> ما ان ترى لهم في الناس أمثالا  
 لا يضجرون و إن حرّت<sup>٣</sup> مغافرم ولا ترى منهم في الطعن ميالا  
 أرسلت أسدا على سود الكلاب فقد أضحى شريدهم في الناس فلألا  
 فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا في رأس غمدان دارا منك محلالا  
 ثم اطل<sup>٤</sup> المسك إن شالت نعمتهم واسبل اليوم في برديك إسبالا  
 تلك المكارم لا قبان<sup>٥</sup> من ابن شيا بماء فعادا بعد أبوالا

قوله: فاشرب هنيئا، وقوله: ثم اطل<sup>٤</sup> المسك، وذلك أنه حلف أنه لا يشرب  
 الخمر ولا يتطيب حتى يأخذ بالثأر، فأقام على ذلك عشر سنين حتى  
 ١٠ ظفر [ ٧٠: ب ] بقطع الحبشة من اليمن . ولما قدم وفد قريش على  
 الملك سيف بن ذي يزن استأذنوا فأذن لهم، فاذا الملك مضمخ بالعنبر  
 ينظف رأسه ويرق وييص الطيب في مفرقه، وبين يديه وعن  
 يمينه وعن يساره الملوك و أبناء الملوك والمقاول<sup>٦</sup>، فدعا عبد المطلب

(١) في ديوانه: غر جحاجة بيض مرازية .

(٢) في ديوانه: عصابة خرجوا .

(٣) من ديوانه ص ٥٢، وفي الأصل وبن: خرت .

(٤) في الأصل وبن: اطل .

(٥) في الأصل وبن: قعيان .

(٦) سقط من بن [ ٥١: ب ] .

ابن هاشم فاستأذن في الكلام ، فقال سيف: إن كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فقد أذنا لك ، فقال عبد المطلب: إن الله أحقك أيها الملك محلا رفيعا صعبا شامخا باذخا ، وأنتك منبتا طابت أرومته ، وعزت جرثومته ، وثبت أصله ، وبسق فرعه ، في أكرم معدن ، وأطيب موطن ، فأنت أيها الملك ربيع العرب الذي تخصب به ، ورأسها الذي تنقاد به ، وعمودها الذي عليه العباد ، ومعقلها الذي يلجأ إليه العباد ، سلفك خير سلف ، وأنت ثنا منهم خير خلف ، فلن يخمل ذكر من كنت سلفه ، ولن يهلك من أنت خلفه ، أيها الملك! نحن أهل حرم الله وسدة بيته ، أشخصنا إليك الذي أبهجنا لكشفك الكرب الذي فدحنا فنحن وقد التهنته لا وقد المرزئة . فقال الملك سيف: وأيهم أنت أيها المتكلم؟ قال: أنا عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف . قال: نعم . ابن أختنا ، فأدناه وأقبل عليه وعلى القوم فقال: مرحبا وأهلا ، وناقه ورحلا ، ومستناخا سهلا ، وملكنا رجلا ، يعطى عطاء جزلا؛ قد سمع الملك مقاتلكم ، وعرف مقامكم وقرابتكم ، وقبل وسيلتكم ، فلكم الكرامة ما أقمتم ، والحباء إذا ظعنتم ، ثم إنه أكرمهم وأحسن إليهم وانصرفوا إلى مكة مكرمين . ثم إن الملك سيف بن ذي يزن لما غلب على اليمن وملكها عدا على الحبشة الذين مقيمين بها ، فقتل الرجال ونفى النساء حتى أفناهم ، إلا بقايا منهم أهل ذلة وقلة فاتخذ منهم خولا ، واتخذ

(١) من بن ، وفي الأصل: التي .

(٢) في الأصل وبن: التي .

منهم أصحاب حراب يحملون حرايبهم بين يديه ، فركب يوما و أولئك  
الحبشة معهم حرايبهم و يسعون بها بين يديه ، حتى إذا كان وسطا منهم  
مالوا عليه بحرايبهم قتلوه ، فبلغ ذلك كسرى فأمر أن لا يقولوا ' على  
أحد من الحبشة باليمن ، فقتل بقية الحبشة الذين باليمن . و قال بعض  
المؤرخين : كان من حديث سيف بن ذى يزن أن الحبشة لما غلبوا على اليمن  
فطالب ملكهم خرج سيف و هو من أهل بيت مملكة حمير إلى الروم  
[٧١ : ألف] يستنصر عليهم بقيصر ، فشاور وزراءه ، فقيل : أيها الملك !  
إن الحبشة فى دينك ، و دين هذا العربى مخالف لدينك ، فاطله و كره  
أن يخفّره ما وعده ، فلما طال على سيف مماطلته له رجع إلى الحيرة  
١٠ بعد سبع سنين من مقامه بالروم ، فصار إلى ملك فارس أحسبه هرمز  
ابن قباد فاستنصره و قال : أيها الملك ! إني أمت لك بقراية ، فقال : و ما  
القراية التى بينى و بينك ؟ قال : الجلدة البيضاء على الجلدة السوداء ،  
أو قد غلبتنا الأعرية على بلدنا ، فقال : أى الأعرية ؟ قال : الحبشة أم الهند ؟  
فقال : الحبشة ؛ فجتك لتصرنى عليهم فأكون فى طاعتك فأنت أحب  
١٥ إلينا أن تملكنا ، فقال : بعدت دارك من أرضنا و هى أرض قليلة  
الخير ، إنما بها الشاء و البعير و هذا ما لا حاجة لنا فيه ، و أمر له بعشرة  
آلاف دينار ، فلما خرج بئرها على باب الملك فنهبت ، فأخبر الملك  
بذلك ، فأمر الملك برده ، و قال : عمدت إلى حياء الملك و كرامته  
فأنهبت العبيد و الإماء ، فقال : و ما أصنع بالمال و جبال أرضى ذهباً  
(١) فى الأصل و بن : ان لا يقولون - كذا .

و فضة ليرغب الملك فيها ، فأمره بالمقام و وعده النصره ، ثم شاور وزراءه ، فقالوا : أيها الملك ! تُتَوَّه جندا من چند فارس في مفاوز العرب ؟ إنما يشرب فيها في مثل عيون الديكة ، وإن أعوزت عليهم ماتوا عطشا ، فقال : بما كنت لأخفرك فيما وعدته به ، قالوا : إن ههنا رأيا ، قال : وما هو ؟ قالوا : تبعث إلى سجونك فإن فيها أقواما قد استوجبوا القتل ، وإنما حبستهم منا عليهم بأرواحهم ، فتقدم عليهم رجلا حازما ، فإن ملكوا فهو ملك زده ، وإن أصيبوا فهو الذي أردت بهم من القتل و تسلم من دمائهم ؛ فبعث إلى السجون فجمع من فيها من يستحق القتل ، فكانوا ألفي نفر ، فقدم عليهم وهرز و كان من الأساورة المتقدمين و قد أتت عليه مائة و عشرون سنة و سقط حاجباه على عينيه ، فحملهم في عشرة مراكب و سار بهم في البحر ، فقال بعضهم لبعض : علام نقرر بأنفسنا مع ابن الفاعلة ! فحملوا أنفسهم على الجسر - و الجسر حجارة محددة تكون في البحر - فانكسرت من السفن ثلاث ، و سلمت سبع إلى ساحل عدن ، و تسامعت الحبيشة بهم فاجتمعوا إلى

(١) زيد في بن : الماء .

(٢) في بن : ظفروا .

(٣) في الأصل : ملكا ، و صحته في بن [ ٥٢ : الف ] : ملك ، و بالعبارة قص

في مجموعها .

(٤) من بن ، و في الأصل : الفا - كذا .

(٥) في الأصل و بن : عشر .

(٦) في الأصل و بن : سبعة .

ملكهم مسروق بن أبرهة و التقوا ، و انضم إلى سيف بن ذى يزن جمع كثير من أهل اليمن ، و اقتتلوا مليا ، ثم قال لهم وهرز : على أى الدواب ملكهم ؟ قالوا : على الفيل ، فقاتلهم [ ٧١ : ب ] ساعة ثم قالوا : قد تحول على الفرس ، فقاتلهم ساعة ، و قالوا : قد تحول على البغل ، فقال : ابن الحمار ذل و نخل ملكه ، استموا لى سمته ، فلما استتر<sup>١</sup> بصره عليه من شعر حاجبيه ربط حاجبيه بعصابة حرير ، فأخذ قوسه و كان لا يوترها غيره ، ثم نزع فيها سهمه ، و على مسروق ملك الحبشة تاج و بين عينيه ياقوتة حمراء معلقة بكلاب من الذهب فى التاج ، فرماه بذلك السهم ففلق الياقوتة ، و تغلغل السهم فى رأسه ، و خر لوجهه من عُلَى بخله ، و انهزمت الحبشة ، فجعل الرجل منهم يأخذ البقلة<sup>٢</sup> و العود يضعه فى [ فيه - ٢ ] يستأمن به و يدخل النفر منهم الدار فيقتلهم الصبيان و النساء حتى أتى على آخرهم ، و كان كسرى هرمز عهد<sup>٣</sup> إلى وهرز و قال : إذا صرت إلى اليمن و ظفرت بالقوم فاجمع أهلها و اسألهم عن سيف ابن ذى يزن . فان كان من أبناء ملوكها كما ذكر و زعم فتوجه بهذا

١٥ التاج - و كان أعطاء تاجا و سوارين و ملكه على قومه - واجب أنت الخراج ، و إن كان كاذبا فاقتله و اكتب إلى لأكتب إليك برأى ، فلما تمسك وهرز فى البلد جمع أبناء الملوك فقال لهم : كيف سيف فيكم ؟

(١) فى بن : استقر . (٢) كذا .

(٣) من بن ، و قد سقط من الأصل .

(٤) من بن ، و فى الأصل : عمد - كذا .

قالوا: ملكنا و ابن ملكنا و أملا كنا أدرك بئارنا، فتوجه وهرز و ألبسه السوارين و ملكه و كتب إلى كسرى بذلك ، فأقره باليمن ، فأخذ سيف بئاره من الأحبوش كما قال ابن دريد في مقصورته التي مدح بها بنى ميكال :

و سيف استعلت به همته حتى رمى أبعد شأو المرتضى ه  
فجرع الأحبوش سماً ناقعا و احتل من غمدان محراب الدمى  
قد تقدم أن غمدان قصر<sup>١</sup> [بصنعاء-<sup>٢</sup>] كما قال الشاعر:  
ألا يا قصر غمدان قد أبلاك الجديدان

و قيل إنه حصن بصنعاء لم يدرك مثله ، هدمه عثمان بن عفان رضي الله عنه في الإسلام ، و له رسومه باقية إلى اليوم ، و قوله: محراب الدمى، المحراب ١٠  
الغرفة بلغة حمير ، قال الأصمعي :

رُبّة محراب إذا جئتها لم أدن حتى أرتقى سلماً  
و قيل: المحراب المجلس من البيت و هو أكرم موضع فيه ، و من هذا  
قيل: محراب المسجد ، و سيأتي فيما برد من هذا الكتاب ذكر محراب  
داود عليه السلام ، و قيل: المحراب الرجل الصالح المجاهد في سبيل الله ١٥  
تعالى ، [ ٧٢ : الف ] قال الشاعر:  
ما [ أحسن-<sup>٣</sup> ] المحراب في المحراب

(١) في بن: الحبوش .

(٢) من بن ، و في الأصل: قصر ا .

(٣) زيد من بن ، و قد سقط من الأصل .

(٤) زيد من بن : .

والدمى جمع دمية، ويقال للنساء: دُمى - شبههن بالصور، قال الشاعر:

ما دمية في مرمر صُورت أو ظبيبة في خمر عاطف  
أحسن منها يوم قالت لنا و الدمع من مقلتها واكف  
لأنت أحلى من لذيد الكرى ومن أمان ناله خائف

٥ و ممن أخذ بثأره عمرو بن ربيعة بن نصر ابن أخت جذيمة الوضاح،  
و كان يقال لجذيمة ذلك لبرص به، و يقال له أيضا: الأبرش، و كان  
ينزل الأنمار، و كان لا ينادم أحدا من الناس ذهابا بنفسه عنهم،  
و كان ينادم الفرقدين، فاذا شرب قدحا صب للفرقد الواحد قدحا  
و للثاني قدحا، و يقال إنه أول من عمل المنجنيق<sup>١</sup> و أول من رفع  
١٠ بين يديه الشمع، و قد أخذ عمرو بثأر خاله جذيمة من الملكة الزبباء<sup>٢</sup>  
كما قال ابن دريد:

فقد سما عمرو إلى أوتاره فاحتط منها كلّ على المستمى  
فاستنزل الزببا قصيرا وهي من عقاب لوح الجو أعلى منتمى

و كان من حديثه أن الزبباء لما قتلت جذيمة نجما قصير بن سعد، صار إلى  
١٥ عمرو و قال له: ألا تطلب بثأر خالك؟ فقال: و كيف أقدر على الزبباء  
و هي أمتع من عقاب الجوّ، فقال: اجدع أنفي و أذني و اضرب  
ظهري حتى تؤثر فيه، و دعني و إياها، ففعل به عمرو ذلك، فلحق قصير  
بالزبباء فشكا لها ما ناله من عمرو و قال: لقيت هذا من أجلك، قالت:

(١) زيد في بن: جذيمة .

(٢) في الهامش: أول من عمل المنجنيق .

(٣) زيد في بن: لما قتلته .

و كيف؟ قال: إن عمرا زعم أني أشرت علي<sup>١</sup> خاله<sup>٢</sup> بالخروج إليك حتى فعلت به ما فعلت، وكان جذيمة<sup>٣</sup> خطب الزبّاء فأرسلت تقول له: رضيتك زوجا ولكن اتنى، فقيل لجذيمة: نخشى عليك منها، فأبى إلا المضي إليها، فسار إليها في قومه، فقال له قصير بن سعد: إذا رأيت عند قربك من مدينتها ما تكره فانح بنفسك على العصا، وكان لجذيمة فرس من جملة<sup>٥</sup> خيله سابقا تسمى العصا، فلما قرب جذيمة من مدينتها وجدها قد صفت له جنودها صفين وقد لبسوا الأسلحة وتهيؤوا للحرب، فتلقوا جذيمة<sup>٤</sup> وأحاطوا به<sup>٤</sup>، فبادر قصير بن سعد ونزل عن فرسه وركب العصا ونجا بنفسه فنظر<sup>٥</sup> إليه جذيمة فرآه راكبا عليها تجرى به<sup>٦</sup>، فقال: يا وريح من تجرى به العصا! فلما دخل جذيمة على الزبّاء [٧٢: ب] قالت: قد وُصف<sup>١٠</sup> لي دم الأبرش أنه ينفع من الخبل، وكان جذيمة أبرصا فكنى بالأبرش، ثم إنها أمرت باحضار طست فقصدته فيه، وقيل لها إنه إن وقع من دمه شيء على الأرض طولب بثأره، فسقطت قطرة من دمه على الأرض، فقال جذيمة: واضيعة دم أضاعه أهله! ولم تزل الزبّاء تستنزف دمه

(١) من بن، وفي الأصل: الى .

(٢) زيد في بن: جذيمة .

(٣) زيد في بن: ارسل .

(٤-٤) من بن، وفي الأصل: حتى بينهم .

(٥) في بن: فالتفت .

(٦) زيد في بن: جريا .

حتى هلك ، فلما تحيل قصير بن سعد على الزبّاء بحيلته المتقدم ذكرها  
 أحسن خدمتها و أظهر لها النصيحة حتى حسنت منزلته عندها ، و زين لها  
 التجارة فبعثت معه بقافلة إلى العراق ، و كان سرير ملكها بمشارك الشام ،  
 فسار قصير إلى عمرو مستخفيا ، فأخذ منه مالا و زاده على ثمن مال  
 ٥ القافلة ، و اشترى لها طرفا من طرف العراق و رجع إليها ، فأراها تلك  
 الأرباح فشرّت به ، ثم كرّ كرتة أخرى فأضعف لها المال ، فلما كان في  
 الكرة الثالثة اتخذ جوالق<sup>١</sup> من المسوح و جعل ربطها من أسافلها إلى داخلها  
 و أدخل في كل جوق رجلا معه سيفه ، و أخذ غير الطريق النهج ،  
 فكان يسير الليل و يكمن النهار ، و أخذ عمرا معه ، و كانت الزبّاء  
 ١٠ قد صوّر لها عمرو أيضا قائما و قاعدا و راكبا في حائطها ، و كانت  
 قد اتخذت نفقا أي سريا أجرت عليه نهر الفرات من قصرها إلى قصر  
 أختها زنبية ، فلما قرب قصير بن سعد من بلدها تقدم بالقافلة و قد  
 أبطأ عنها فسألت عنه ، فقيل لها : أخذ طريق الغوير ، فقالت : عسى الغوير  
 أبوسا ، فأرسلتها مثلا ، و دخل قصير إلى الزبّاء فقال لها : قني فانظري  
 ١٥ إلى أموالك ، فرقيت<sup>٢</sup> سطح قصرها فجعلت تنظر إلى القافلة مقبلة مشيها  
 قليلا قليلا ، و كان فيها ألف جمل عليها ألفا<sup>٣</sup> رجل معدة بأسلحتها<sup>٤</sup>

(١) في الأصل و بن : جوالقا - كذا .

(٢) زيد في بن : صفة .

(٣) زيد في بن : فوق .

(٤) في الأصل و بن : النى .

(٥) زيد في بن : داخل الجوالق .

كأنما تنزع أرجلها من أوحال<sup>١</sup> لثقل ما عليها ، فقالت :

ما للجمال مشيها زويدا أجدلا يحملن أم حديدا

أم الرجال جثما قعودا

و وصف قصير بن سعد لعمر بن ربيعة ابن أخت جذيمة باب السرب الذي تهرب الزبّاء منه ، فلما دخلت القافلة المدينة و على الباب بوابون ه من النبط و فيهم واحد معه منغاز<sup>٢</sup> فطعن جولقا من تلك الجوالق ، فأصاب المنغاز رجلا فصرط ، فقال البوّاب : السرّ في الجوالق ، و حلّت الرجال تلك الجوالق و خرجوا منها بأسلحتها ، و وقف عمرو [ ٧٣ : الف ] على باب السرب مصلتا سيفه ، و أقبلت الزبّاء تبادر السرب لتهرب منه ، فلما رأت عمرا عرفته بالصفة التي صوّرها ، فصّت فصّ خاتمها ١٠ و كان مسموما ، و قالت : يدي لا يد عمرو ، و يقال : إن عمرا حللها<sup>٣</sup> بالسيف و استباح بلدها<sup>٤</sup> .

(١) في الأصل و بن : و حال (٢) في الأصل و بن : منغازا - كذا .

(٣) من بن [ ٥٣ : ب ] ، و في الأصل : جللها .

(٤) زيد هنا في بن [ ٥٣ : ب - ٥٤ : الف ] ما يلي في موضوع البرص : قال المؤلف رحمه الله و قد ذكر الأبرص فأذكر ما قيل فيه ان شاء الله تعالى ، البرص يسمى الوضح لوضح و بياضه و هو عسر البرء و سببه ضعف القوة الهاضمة ، و هو يتقسم قسمين : اما أن يكون . . . من بلغم معد خالص ، و إما ان يكون من قبل دم غليظ محترق ، و كلا القسمين ينتسم الى ما يبرأ و ما لا يبرأ ، يكون على ثلاثة أضرب : اما ان يكون ارتا عن الآباء و الأجداد ، و اما ان يكون من قبل وطيه امرأة . . . يوم الرابع من حيضها و يسمى برص الخلقة ، و إما ان يكون =

== قد تقادم حتى رسخ بالعضو ولصق بالعظم ، فهذه الثلاثة اصناف قد صارت بمنزلة الشيء الطبيعي الذي ليس فيه علامة . و علامة البرص الحادث من قبل البلغم المفرد الخالص ، و ما يفرق بينه وبين البرص الذي يبرأ و الذي لا يبرأ أن يعتمد الى ابرة يغرزها في موضع البرص ثم يخرجها ، فان خرج منها دم جوهرى نقى الحمرة فهو الذي يربى له البرء و عولج ، و اما اذا خرج دم ( و فى بن : دما ) لامعا فى أبيض رقيق و لم يخرج منه أحمر فاعلم أن العلة قد لصقت بالعظم و رسخت فيه فلا تبرا ، و أيضا فان ذلك موضع البرص دل كما شديدا بخرقة خشنة فان احمر سريعاً لعله حدث فعلاجها هين ، و إن لم يحمر الموضع فان البرص متقادم جدا و لا يقبل العلاج ، و أيضا فان موضع البرص لا يحس الغرز بالابرة فيه كما يحس سائر الجسد . و علامة البرص الحادث من قبل البلغم الخليط المحترق ان يسأل العليل ان كان حدث به فى موضع البرص او لا قوباء او خشونة تشبه القوباء او اكال شديد ينقشر منه الجلد او يهق اسود ثم استحال بعد مدة من الزمان الى ان صار .. اخبرك بذلك و اردت الزيادة فى الدلالة فخذ ابرة فاغرزها فى الموضع فان خرج منه دم ... السوداءى المحترق ، و ان خرج الدم احمر فهو من قبل القوباء من قبل المرة الحمرة ( كذا ) ... باخراج الدم فان خرج الدم ابيض سببه ( كذا ) بالماء فهو كما قلنا من قبل البلغم ... الفصد البتة علامته علامة البرص الحادث من وطىء امرأة و هى حائض ... ما حدث من ذلك و اخبر به العليل و علاج البرص المتولد من البلغم الخالص ... البرء و ان يستفرغ البلغم او لا من المعدة بالقىء بالعسل و الفجل ... من سائر الجسد بمثل الاصططما خيقونات ( كذا ) الكبار و البادر يغوس ( كذا ) ... و تقيع الصبر و ايارج جالينوس و سائر الايارجات و الأدوية تستعمل فى خلال اخذ المسهلات من الجوارشات الحارة بجوارش ... الزنجبيل و نحوها . و مما ينفع البرص السكنجيين المتخذ بنخل العنصر ( كذا و لعله : العنصل ) الاصططباع ( كذا ) ... يحتمى من كل غذاء مولد للبلغم كالبقول و السمك و الفواكه كلها ، و لا يفصد له عرق و لا يتعرض له ==

و من طلب بثأره 'فلم يدركه بل مات قبل إدراكه له' امرؤ القيس بن حُجر الكندي كما قال ابن دريد :

ان امرأ القيس جرى إلى مدى فاعتاقه حمامة عن المدى  
المدى الغاية، وقولهم: امرؤ القيس، بمعنى فتى قيس، وكان من خبره أن  
أباه حجر طرده لما قال الشعر، فكان ينتقل في أحياء العرب، واستتبعه  
صعاليك لصوصا فكان يغير بهم، وكان أبوه ملك بني أسد فعسفهم  
عسفا شديدا، قتالوا عليه فقتلوه، فلما بلغ امرأ القيس قتل أبيه وهو  
يشرب قال: ضيغني صغيرا وحملني ثقل الثأر كبيرا، اليوم خمر  
وغدا أمر، اليوم قحاف وغدا ثقاف، ثم جمع جمعا من بني بكر

= بشيء من اخراج الدم البتة - انتهى .

(١-١) في بن: مات قبل ان يدركه فهو .

(٢) في الأصل دائما: امرء - بحذف الواو والمضمومة، وصحته في بن [ه: الف].

(٣) زيد هنا في بن [ه: الف]: «وقيل انما طرده لأن ام الحويرث زوجة  
أبيه حجر كانت تتهم به، ولذلك كان أبوه يطرده وهم أبوه بقتله بسببها،  
ومن قول امرئ القيس فيها:

وقد رابني قولها ياهنا . ويحك ألحقت شرا بشر

يقال راب إذا وقع الرية بلا شك، و راب لم يصرح بالرية، والرية في  
البيت ثابت، وقولها: ياهنا، فإن المراد به يا انسان، فانها أخبرتته خوف الاقتضاح،  
وقولها: ألحقت شرا بشر، تهمة بتهمة يريد أنها كانت تتهم به فلما أتى موضعها  
حققت التهمة، وقصده ام الحويرث وهي التي تشبب بها وكانت زوجة أبيه  
حجر و لذلك كان يطرده فكان ينتقل - الخ » .

(٤) زيد في بن: حجر .

ابن وائل و غيرهم من صحالك العرب، نخرج يريد بنى أسد، فخرهم  
 كأنهم و هو سويد بن أبى ربيعة بخروجه إليهم، فارتحلوا، و بيتهم امرؤ  
 القيس فأوقع بنى كنانة قتلهم قتلا ذريعا، و أقبل أصحابه يقولون:  
 يا ثارات الهمام! فقالت له عجوز منهم: و اللات أيها الملك! ما نحن  
 ٥ ثارك، وإنما ثارك بنو أسد و قد ارتحلوا، فرفع عنهم القتل، ثم إن  
 أصحاب امرئ القيس اختلفوا عليه و قالوا: أوقعت بقوم برآء فظلمتهم  
 و قتلتهم! فخاف على نفسه منهم فخرج إلى قصر ملك الروم، فرآ في  
 طريقه يكر بن وائل فضرب قبا به فيهم و قال: يا معشر بكر! أما  
 فيكم شاعر؟ قالوا: بلى، شيخ من بنى قيس بن ثعلبة يسمى عمرا، فسألهم  
 ١٠ أن يأتوه به ينشده، ففعلوا فاستنشده فأنشده فأعجبه شعره، و قال له:  
 اصحبني في طريقى إلى قصر، فصحبه، فلما صعدا درب الروم و أوغلا  
 في بلاد الروم بكى عمرو الشاعر، فقال امرؤ القيس:

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه و أيقن أنا لاحقان بقيصرا  
 فقلت له لا تُبِك عينيك إنما نحاول ملكا أو نموت فنعدرا  
 ١٥ ثم إن عمرا هلك، فلما سمعت العرب بهلاكه سمته «الضائع»، ثم إن  
 امرء القيس دخل على قصر فاستعان به على بنى أسد فأجابته [٧٣: ب]  
 و واعدته<sup>٢</sup> أن يرفده بجيش، و كانت لقيصر ابنة جميلة فأشرفت يوما  
 من القصر فرأت امرأ القيس و كان جميلا، و رآها الآخر فهويته

(١) في بن: دمك

(٢) في بن: اوعدده.

و هويها ، فراسلته فأجابها إلى ما سألت و سار<sup>١</sup> إليها ، فذلك حيث يقول :  
 قتلت يمين الله أبرح قاعدا و لو قطعوا رأسي لديك و أوصالي  
 فلم يخبره قيصر فقصد قتله ، فشاور بعض أهل مملكته ، فأشاروا  
 عليه أن لا يقتله في بلاده لئلا تسمع العرب بأنه يقتل الملوك إذا  
 وفدوا عليه ، فدعا<sup>٢</sup> به و قال : ما بغيتك ؟ قال : أريد رجلا أستعين  
 بهم على أعدائي بني أسد و يكون البلد لك ، قال : لك ذلك ، فضم إليه  
 رجلا بقدر حاجته و قال له : إذا شئت فاخرج ، فخرج فوجه معه  
 جيشا ، ثم اتبعه بعد خروجه بأيام رجلا و معه حلة منسوجة بالذهب  
 مسمومة و قال له : اقرأ عليه السلام مني و قل<sup>٣</sup> : إن الملك قد بعث إليك  
 بحلة قد لبسها ليكرمك بها و يقربك من قلبه ، فأدخله الحمام ، فاذا خرج  
 فألبسه إياها ، فلما لبسها امرؤ القيس تنفط بدنه ، ثم نزل إلى جنب  
 جبل يسمى عسيبا و إلى جنبه قبر لابنة بعض الروم ، فسأل عن القبر ،  
 فقيل له خبره ، و كان قبرا مشرفا عاليا ، فقيل له إنها ترهبت في  
 دير لها ثم ماتت فدفنت ههنا :

١٥

أجارتنا إن الخطوب تنوب و إني مقيم ما أقام عسيب  
 أجارتنا إنا غريان ههنا و كل غريب للغريب نسيب  
 و مات بالموضع و هناك قبره . و ممن أخذ بثأره زيد بن عدى و ذلك

(١) في بن : صار .

(٢) في الأصل و بن : فادعى .

(٣) زيد في بن : له .

أن عدى بن زيد كان ترجمانا لكسرى أبرويز و كاتبه بالخط العربي ،  
و كان أبرويز ولي النعمان بن المنذر الملك على العرب فكان نائباً  
لكسرى عليهم ، ثم إن النعمان اتهم عدى بن زيد في سعى عليه ،  
فاحتال حتى صار عدى في يديه فحبسه و قتله ، فلم يزل زيد بن عدى  
٥ ابن زيد يتوصل بما يقدر عليه من الحيل حتى حصل في منزلة أبيه عدى  
ابن زيد عند كسرى أبرويز ، فذكر زيد لكسرى نساء آل المنذر  
و وصفهن له بالجمال الفائق و الحسن البديع ، فشق أبرويز للتزويج  
بواحدة منهن ، فكتب أبرويز يخطب إلى النعمان أخته ، و كان الواصل  
إليه بالكتاب زيد بن عدى ، فلما قرأ النعمان الكتاب قال : و ما يصنع  
١٠ كسرى بنسائنا و أين هو عن [ ٧٤ : الف ] مها السواد - يعني بذلك  
نساء سواد العراق أي بقر السواد لأن المها البقر ، و سميت المرأة «مهاة»  
لأنهن في مشيهن يتهادين كشي البقر ، فقال زيد بن عدى للنعمان : إنما  
أراد الملك كسرى تشريفك بمصاهرته ، و لو علم أنك ما تريد ذلك  
لم يتعرض لذلك و لكى سأعذر عنك له ، فقال النعمان : فافعل فانك  
١٥ تعلم ما على العرب في زواج العجم من الغضاضة ، فلما رجع زيد إلى الملك  
كسرى حرّف له كلام النعمان و تكلم عنه أقبح كلام ، فقال كسرى :  
رب عد قد صار في الطغيان إلى أكثر من هذا ، فطلب النعمان ، فأقبل  
النعمان حتى أتى المدائن فصف كسرى ثمانية آلاف جارية عليهن الحل

(١-١) من بن ، و في الأصل : زيد .

و الحلل ، فلما صار النعمان بينهما قال له : أما فينا غنى عن بقر السواد ؟  
فعلم النعمان أنه غير ناج منه ، و لقيه زيد بن عدى ، فقال له النعمان :  
أنت فعلت هذا بي ! لأن تخلصت لأسقيتك بكأس أيبك ، فقال له زيد :  
امض نعيم ! فقد آخيت لك أخية لا يقطعها المهر إذا ، فأمر كسرى  
بالنعمان فحبس بساباط المدائن ، ثم أمر به فرمى تحت أرجل الفيلة ٥  
فركلته بأرجلها حتى مات . فينبغي للملك أن لا يعتر بعدوه و شيعة و إن  
كانوا قليلا أو ضعافا ، و لا يستخف بهم كاستخفاف مسروق بابن<sup>٢</sup> أبرهة  
ملك الحبشة باليمن حتى نزل عن الفيل و الفرس و ركب البغل احتقارا  
للفرس أصحاب السجون ، و أن لا يقاتلهم إلا على أخس الدواب احتقارا  
لهم كما تقدم ذكره ، و ما علم أن شرارة أحرقت بلدا ، و فطقت حجرا ١٠  
جلدا ، و بعوضة أهلكت فيلا ، و برغوثة أسهر ملكا جليلا ، و كذلك  
قصير بن سعد و حيلته على الملكة الزباء حتى هلكت من حيث أمنت ،  
و كيد قيصر لامرئى القيس من حيث علم و يقن أنه منصور ، فاذا  
هو الى جنب راهبة مقبوراً ؛ فليحذرهم غاية الحذر فان الأعداء لا تؤمن  
غوائلهم ، و إن أبدوا المسألة .

١٥

و سأذكر حكاية تدل على التجنب و الاحتراز من العدو الضعيف

(١) في الأصل و بن : قطن .

(٢) في بن : فركبته .

(٣) من بن ، و في الأصل : بن .

(٤) في بن : غاياتهم .

فانه محلّ الكيد ، كالشرك للصيد ، فكيف بالعدوّ القويّ ! ذكروا أنّه لما وجّه أمير المؤمنين مروان بن محمد رجلا من أصحابه يقال له ابن هبار يغزو السند ، فلما دخلها بجيشه قال رجل من السند لملك السند : إني قد كبر سني و اقرب أجلي ، فدعني حتى آتي القوم لعليّ أكيدهم بمكيدة إن أمكن ذلك ، وإن عرفوا موضع مكيدتي قتلوني ، فما أقل بقاء في الدنيا و أقربني إلى الموت ! فأذن له ملك السند [ ٧٤ : ب ] ، فمضى حتى دخل عسكر ابن هبار قائد جيش مروان و هو يريد أن يقطع بجيشه مفازة يلقينهم فيها لتسلم أهل السند منهم ، فالتمس ابن هبار الأدلاء ، فاتاه الشيخ السندي فقال : أنا أدلك و أسير بك في طريق مختصر قريب حتى أهجم بك عليهم و هم غافلون ، فركن إلى قوله ابن هبار بجهله و مضى معه في أربعة آلاف فارس ، فدخل بهم الشيخ المفازة فضلّه و سلك به غير الطريق حتى فقد ماؤهم ، فلما يتسوا من الحياة قدّمه ابن هبار فضرب عنقه ، و ماتوا جميعا عطشا فلم ينج منهم إلا رجل ، ذكروا أنه امتص روث فرسه حتى ورد الماء ، فكان هو الذي أخبر بخبرهم .

و سأذكر فيما يرد من هذا الكتاب خبر الأقطع الذي مكر بفيروز

(١) في بن : مواضع .

(٢) في بن : قتلوا .

(٣) في بن : لتسليم .

(٤ - ٤) في بن : فضلهم و سلك بهم .

ملك فارس حتى هلكت جنوده بمكره و كيده إن شاء الله تعالى .  
فالحازم يحذر عدوه و إن أبدى له المودة و المسألة . قالت الحكماء<sup>١</sup> :  
احذر الموتور و لا تطمئن إليه و كن أشد ما تكون حذرا منه  
ألطف ما يكون مداخلة لك ، فأنما السلامة مع العدو تباعدك عنه .

قال الشاعر :

٥

من لم يكن للغريم خصما أتلفه ذلك الغريم

و قالوا : لا تطمئن إلى العدو و إن أبدى لك المقاربة ، و إن بسط لك  
وجهه و خفض لك جناحه ، فإنه يتربص لك الدوائر ، و يضمرك  
العوائل ، و لا يرتجى لنفسه صلاحا إلا في فسادك ، و لا رفة إلا بسقوط  
جاهك . و أوصى بعض الحكماء ما كما فقال : لا يكون العدو الذي ١٠  
كشف لك عن عداوته بأخوف<sup>٢</sup> عندك من الصديق الذي يستر لك  
بمخاتلته ، فإنه ربما تخوف الرجل السم الذي هو أقتل الأشياء ، و قتله  
الماء الذي هو محي الأشياء ، و ربما تخوف أن يقتله الملك الذي يملكه  
ثم يقتله العبيد<sup>٣</sup> الذين يملكهم<sup>٣</sup> . و في كتاب الهند : إذا أحدث لك العدو  
صداقة لعله ألبأته إليك حاجة ، فمع ذلك رجوع العداوة كالماء تسخنه ١٥  
فاذا أمسكت عنه عاد إلى أصله باردا ، و الشجرة المرة لو طليتها  
بالعسل لم تثمر إلا مرا .

(١) في الهامش : التجنب من العدو .

(٢) في بن : بالخوف .

(٣-٣) في الأصل و بن : الذي يملكها .

قال الشاعر :

لا يرجع المدبر عن طبعه حتى يعود الدرّ في ضرعه

من كان من حنظلة أصله لا ينبت التفاح في فرعه<sup>١</sup>

ولا يغرك<sup>٢</sup> قول الشاعر :

و كم من عدوّ عاد بعد عداوة صديقا مجلّا في النفوس معظما

فلا غروفا لعنقود في ظلّ كرمه يرى عبا من بعد ما كان حصرما<sup>٣</sup>

\*\*\*\*\*

(١) زيدت هنا في بن [ ه ه : ب ] الأبيات التالية :

من لم يكن عنصره طيبا لم يخرج الطيب من فيه

أصل الفتى ينحى ولكنّه في فعله يظهر خافيه

..... امرأ يشبه فعله ويرشح الكوز بما فيه

٥٩٣٦٤

(٢) في بن : لا يغرنك .

(٣) زيد هنا في بن ما يلي : « إذ قد ذكر العنب والحصرم فلنذكر ما قالت

الأطباء فيه : العنب هو أفضل وأغذى من سائر ..... وخاصة الناضج الحلو ،

إلا أنه يولد في الكبد والعروق خلطا غليظا كثير الريح من أكله ولم ينهضم

في المعدة ، وأكثر ما يكون مضرته بالكبد ، وما كان منه أشد حلاوة فهو

مسخن ..... نافع لأصحاب البلغم ، مسهل للبطن وقد يسمن كثيرا ، لكنّه

سمن مترهل يتحلل سريعا ..... واحمد ما يؤكل لحمه ويمص ماؤه ويرى

بقشره ، فاذا اكل كذلك كان سريع الاستحالة ..... بالدم يغذو غذاء كثيرا

مجمودا . واما الذي لم ينضج اعنى الحامض المسمى بالحصرم فخاصة خيارته إذا

خلطت مع العسل نفع من اورام اللوزتين واللهاة ويشد اللثة الرخوة ويمنع ...

الرطوبة السائلة إليها ، وإذا قطر منها في الأذن قطع القيح السائل منها ، وإذا

شرب عصارة ..... الكرم سهلت السوداء بقوة . .

## خاتمة الطبع

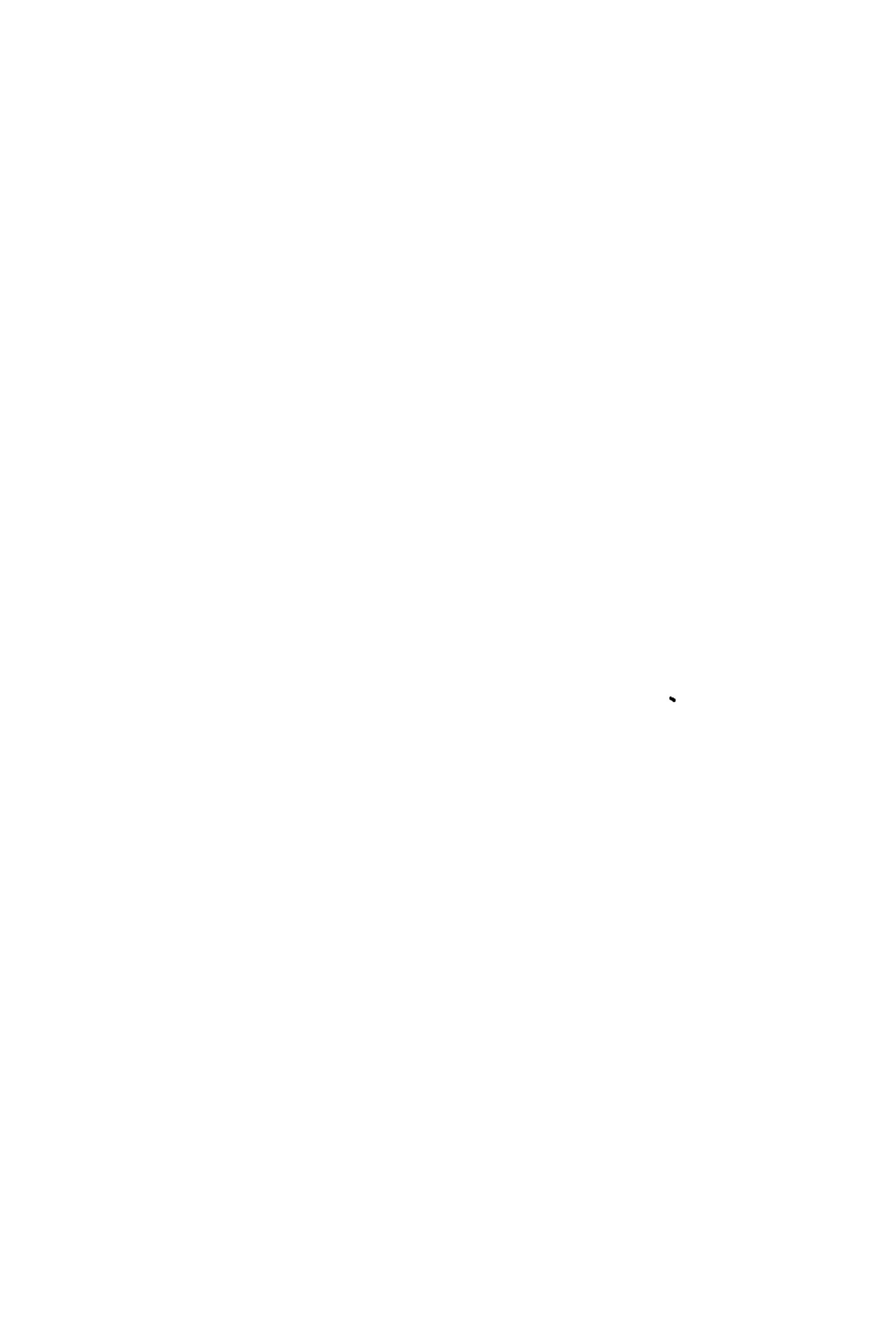
تم بمنه تعالى وحسن توفيقه طبع الجزء الأول من كتاب الإمام  
 للعلامة محمد بن قاسم بن محمد النويري رحمه الله يوم الخميس الحادي عشر  
 من شهر ربيع الأول سنة ١٣٨٨ هـ = ٨ / يونيو سنة ١٩٦٨ م . اعنى  
 بتصحيحه والتعليق عليه الأستاذ المستشرق الدكتور عزيز سوريال عطيه .  
 و غنى بتنقيحه راقم هذه الخاتمة تحت إشراف الأستاذ الفاضل الدكتور  
 محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف ورئيس قسم آداب اللغة العربية  
 بالجامعة العثمانية أبقاه الله لخدمة العلم و الدين - و يليه الجزء الثاني .  
 و في الختام ندعو الله سبحانه و تعالى أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه  
 و يرضاه ، و صلى الله على خير خلقه سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه  
 أجمعين . و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الفقير إلى رحمة الله الغني الحميد

السيد محمد حبيب الله الرشيد القادري

( كامل الجامعة النظامية )

صدر المصححين بدائرة المعارف العثمانية



# جدول الخطأ و الصواب

للجزء الأول من كتاب الإمام

| الصواب   | الخطأ                    | الصفحة | الحاشية | السطر |
|--|--------------------------|--------|---------|-------|
| نَبَذَ تَهَمَّ   | نَبَذْتَهُمْ             | ١٤     |         | ٥     |
| بنفسه المؤلف   | بنفسه                    | ٥      |         | ٥     |
| التوبيخ لمن  | التوبيخ في               | ٨      |         | ٥     |
| ١٢٦٥   | ١٢٦٥                     | ١      | ١       | ٢     |
| وكرستينسن  | وكرستين                  | ٦      | حاشية   | ٦     |
| Einleitung   | Enleitung                | ٧      | »       | »     |
| Tzakon   | Tzxkon                   | ١      | ٨       | ٧     |
| ( كذا، و الصواب: كشف )   | اكشف                     | ٣      | ١       | ١١    |
| للاذفوى  | للاذفوى                  | ١      | ٢       | ١٣    |
| فلذاك  | فلذاك                    | ١٠     |         | ١٥    |
| كذا، ولا يستقيم به الوزن في الأصل : فلذلك ،<br>ولا يستقيم به الوزن | كذا، ولا يستقيم به الوزن | ١      | ٤       | »     |
| 238-65   | 238-6ē                   | ٤      | ١       | ٥٣    |
| الشام  | الشام                    | ٨      |         | ٥٩    |
| و رجال العرب ؟   | و رجال ؟ العرب           | ١٢     |         | ٧٤    |
| لأن  | لإن                      | ١٧     |         | »     |
| الطيبيت  | الطيبيت                  | ١٣     |         | ٨٠    |
| ١٥١٧   | ١٧١٥                     | ٢      | ٢       | ١١٠   |
| رحلته  | رحلة                     | ٧      | حاشية   | ١١١   |
| im   | in                       | ٣      | ٤       | ١١٢   |
| ١٣ : الف   | ١١٣ الف                  | ١      | ٧       | ١١٥   |
| wiet   | wier                     | ٢      | ٥       | ١٢٩   |

جدول الخطأ و الصواب للجزء الأول من كتاب الإمام

| الصفحة | الحاشية | السطر | الخطأ              | الصواب                              |
|--------|---------|-------|--------------------|-------------------------------------|
| ١٤٣    | حاشية   | ١٤    | به                 | بها                                 |
| ١٤٤    | »       | ٦     | الثالث             | الرابع                              |
| ١٤٥    | ١       | ٩     | زيادات             | [و] زيادات                          |
| »      | »       | ١٠    | كتاب الإمام        | للحاكم الإمام                       |
| »      | »       | ١١    | العتبي             | الضبي                               |
| ١٥٨    |         | ٨     | و خلايراني         | و لإخواني                           |
| ١٨٧    |         | ٥     | بجدها              | نجدها                               |
| ١٩٢    |         | ٢     | عرة                | غزة                                 |
| »      |         | ٦     | البه               | البهم                               |
| ١٩٩    |         | »     | قد ب               | قد بل                               |
| »      |         | ١٣    | جنتنا              | جنتنا                               |
| ٢٢١    |         | ٦     | و للبغادرة         | و للبغادة                           |
| ٢٣٤    |         | ٥     | تأخذه              | تأخذها                              |
| ٢٤٦    |         | ١٣    | خطوة               | خطوة ( كذا ) و صحته<br>بالجمع : خطي |
| »      | حاشية   | ٢     | Dussand            | Dussaud                             |
| »      | »       | ٤     | iii                | Vol. III                            |
| ٢٥١    |         | ٥     | وزرعناها ... فجأوا | فزرعناها ... فجاء                   |
| ٢٥٢    |         | ٨     | القسنلاط           | القستلاط ( كذا )                    |
| ٢٥٦    | حاشية   | ٨     | مفارق              | نفارق                               |
| ٢٧٣    |         | ٢     | هئية               | هية                                 |
| ٢٨٦    | حاشية   | ٤     | و ذريته            | و لذريته                            |
| ٢٩٦    |         | ١٠    | الزبَاء            | الزَبَاء                            |
| ٣٠٠    | حاشية   | ٦     | لأمعا              | مائع ( و في بن : لمعا )             |
| »      | »       | ١٥    | سيه                | شيهيا ( و في بن : شيه )             |

- (3) The complete Bankipore MS., XV, 1066, though full of blank spaces and numerous obscurities, is invaluable in many respects and reference is made to it under the letters “بن”.

“Kitāb al-Ilmām” was cited by older writers and modern ones. Amongst those who made a special notice on it are the famous fifteenth century historians ibn Hajar (d.852 A.H./1449 A.D.) and al-Sakhāwi (d. 902 A.H./1496 A.D.). The bibliophiles Hajji Khalifah and ‘Umar Riḍā Kaḥḥālah both include it in their definitive listing of authors from the Islamic age.<sup>6</sup>

It is hardly possible to conclude this preface without commemorating my friend the late E’t. Combe whose prominent role in dealing with both the text and the French translation thereof is noteworthy. Personally, I am aware that he devoted numerous decades of his rich scholarly life to those tasks, and it is only hoped that a French Orientalist may come forward to undertake the editing of the complete or partial translation of this important work.

Finally it is my duty to put on record my personal appreciation of both the Deccan government and the organization of Dairatul Ma‘aref al-Osmaniyah for making the edition of this work a reality.

Salt Lake City, Utah, U.S.A.  
February 1967

A.S. ATIYA

---

(6) See notes and excerpts in the Arabic Introduction.

While considering the complete edition of the text, it has been found expedient to retain as a base the Berlin and Cairo MSS. which were prepared by the same scribe, not only on account of their age, but also because they were authentic copies of the author's autographed manuscript as is evident from the Cairo colophon. Moreover, the Berlin-Cairo MS. is on the whole accurate in style and suffers much less than the Bankipore from blank spaces. However, the Bankipore comprises passages fallen out of the Berlin-Cairo, and the two together give us an almost complete version. While keeping the Berlin-Cairo intact in the text, addenda from Bankipore are presented in parallel footnotes. Collation of important variants is adopted, though we have decided to overlook the innumerable verbal variants which have no bearing on the essence of the MS. and which would have rendered the edition unwieldy with meaningless and endless details.

The strange phenomenon is that neither the Berlin nor the Cairo MSS. bear the name of the author on the title page which led both Ahlwardt and Brockelmann to describe it in their early works as anonymous. On the other hand, the Bankipore MS., and for that matter a small tract of the same work in the British Museum, appear under the false authorship of the geographer al-Wāqidi. The correct name of the author has been denoted in the critical notes of the text.

In fine, the MSS. used in the collation of this text are three :

- (1) The Berlin MS. consisting of two parts in one volume appears under no. We 359, 360 (See Ahlwardt, vol. VII, p. 79, no 7865). Reference to it is made under the letters “ب”.
- (2) The Cairo MS., which is a continuation of the Berlin one by the same scribe, is preserved in “Dār al-kutub” under no. 1449 Hist. and reference is made to it under the letter “ق”.

excerpts prepared in collaboration with M. Combe became inevitable, and I accepted the new challenge owing to the following reasons:

First, the method of editing the ancient Arabic texts in full is sound in principle and its merits outweigh its demerits.

Secondly, the decision to overlook the translation of the excerpts relieves the editor from excluding the peripheral citations of the text which may be of import to the Arab reader rather than the Orientalist.

Thirdly, the sections omitted for irrelevance to the original theme of the crusade of Alexandria in the fourteenth century comprise numerous passages of folklore literature and mediæval Islamic fiction together with a multitude of minor poets and poetry unknown in literary studies—a realm indeed of unusual value to literary scholars.

Fourthly, it is possible to concentrate the critical footnotes on the historic sections only, and this is a task which M. Combe and I have already accomplished in the original plan. Regarding the literary, poetic, juristic and epic material which I am restoring to the text alone, these are inserted with addenda from the Bankipore MS. and the identification is made of Qur'ānic verses.

Fifthly, in spite of its peripheral citations, the book comprises a considerable mass of data of archæological importance to the Islamic story of the city together with important source material on subjects such as the seafaring craft in the Mediterranean of which the author was apparently a daily observer.<sup>5</sup>

It is hoped therefore that the afore-mentioned reasons justify the renewed effort to refill the gaps already left in the text according to the older plan, however toilsome and time consuming this task may be in the service of literary scholarship.

\* \* \*

---

(5) See note on the works of Gildmeister and Kindermann on this interesting topic.

But this joint project came to a standstill with the decease of my distinguished colleague on 9 July 1962 at the age of eighty-one in Cairo. His death was an irreparable loss to the history of Alexandria of whose archaeology and Islamic sources he was the most competent authority. At that moment, I had already completed my own share in the process of editing those excerpts as planned while I was in the throes of preparing to return to my academic duties in the United States of America and the notes of the work were consequently left in the hands of my colleague to complete the final touches and seek a publisher. Divine will decreed otherwise and his lamentable death occurred before the completion of this last phase, and the notes remained with his private collection in the Swiss Archaeological Institute of which he was Director. Consequently I wrote to my friend and colleague Prof. Dr. Robert Rahn, Cultural Attache' at the Swiss Embassy in Cairo, to mediate officially with the approval of Madame Combe for salvaging the book material from his estate and for preserving it until I was able to recover it for revision and editing. Dr. Rahn, who was a friend of both parties, acted promptly and I was ultimately able to receive the book materials in the summer of 1964 and bring them with me to the New World.

While I was contemplating a publisher, Dr. Mu'id Khan, Director of Dā'iratu'l Ma'ārif il-Osmania at the Osmaniya University in Hyderabad, sent me a generous offer to undertake the publication of the Arabic text in his series,<sup>4</sup> more especially as the Government of Deccan had appropriated sufficient funds for that purpose since the Bankipore Library in India was the depository of the only complete manuscript of the work. A condition of acceptance, however, was made to the effect that the edition must comprise the complete Arabic text. Thus reconsideration of the position of the

(4) Brockelmann, *Gesch. Arab. Litt.*, Suppl. II, p. 34, was aware of the Hyderabad intent to publish the MS. as early as 1938.

Nevertheless, al-Nuwairi's book may indubitably be considered as a primary work of reference on that crusade from the Oriental or Egyptian side in much the same way as Guillaume de Machaut's<sup>2</sup> work is to be regarded as its primary source in Old French. The two writers were eye-witnesses of those events from two different angles. Nevertheless Machaut's work enjoyed more attention from scholars and was published in the last century. However, this did not hinder some historians from profiting by its contents as, for example, Herzsohn, Capitanovici, Paul Kahle, the late E'tienne Combe, and the writer of these lines.<sup>3</sup> The unwillingness of Orientalists to edit that text till now may be ascribed to the nature of the book in which the author digressed into aberrations of style outside his prescribed subject to a multitude of peripheral and complex items calling for prolonged study and research to which they were averse.

However, my own project of editing the manuscript of "Kitāb al-Ilmām" was conceived well-nigh thirty years ago during my study of the crusades of Peter I Lusignan. Thus I started by reading the Berlin MS. in 1936. Afterwards, I learned that the late Professor E't. Combe the well-known Swiss Orientalist, then Director of the Alexandria Municipal Library, was diligently preparing an edition of the same text. So we exchanged notes on the subject for a time, and in the end agreed on co-operation in the publication of the purely historical excerpts, especially those relating to the city, to be accompanied by a French translation which could not englobe al-Nuwairi's lengthy citations in side tracks of no import to the western readers saving a few Orientalists whose limited numbers could hardly justify a gigantic task.

\* \* \*

---

(2) La prise d'Alexandrie. Ed. Mas Latrie. Geneva 1877. See relevant note in the Arabic text for a fuller statement of the western sources of the Crusade.

(3) See relevant notes on these works in the Arabic Introduction.

## PREFACE<sup>1</sup>

**T**HE present work is here published for the first time in the "Dā'iratu'l Ma'ārif il-Osmaniya" Series. Hitherto a rare manuscript, it was composed by Muhammad b. Qāsim b. Muḥammad al-Nuwairi al-Māliki al-Iskandarāni who died after the year 775 A.H./1372 A.D. It was written under the title of "Kitāb al-Ilmām bil-I'lām fī mā Jarat bihi al-Aḥkām wal-'Umur al-Maqḍiyah fī waq'at al-Iskandariya wa 'Aduha ila Hālatiha al-Marḍiyah." This was done after the catastrophe which befell the city in the crusade of the Cypriots and their allies from Europe in the year 767 A.H./1365 A.D. They destroyed what they could destroy, looted what they were able to carry away from its treasures, then departed after a few days during which the city witnessed a calamity greater than any other in its long history.

The original aim of the author from writing this book was to put on record his memoirs and observations and whatever he could compile in the way of data on that ill-advised and merciless crusade. But he was carried away by the citation of diverse materials in long statements of belles-lettres, history, jurisprudence, theology, tradition, fiction and other subjects with no bearing on the original theme of the book to the extent that it became more in the nature of a literary compendium than a special historical register.

---

(1) This Preface is a summary of the salient of the fuller Arabic Introduction, avoiding reiteration of the Arabic excerpts from the sources for space economy. However, the method of approach to the text and the handling of the manuscripts has not been curtailed. In the matter of notes, the reader is constantly referred to the fuller versions accompanying the Arabic text.



DA'IRATU'L-MA'ARIF'IL-OSMANIA PUBLICATIONS  
NEW SERIES, NO. IX/xiii/i



# KITABU'L ILMĀM

BY

Muḥammad B. Qāsim al-Nuwairy

(D. after the year 775 A.H./1372 A.D.)

## Vol. I

*Edited*

FORMERLY BY :

LATE PROFESSOR EUGENIE COMBE

(d. 1962)

from MSS. of Berlin & Cairo

LATER BY :

DR. AZIZ SURIAL ATIYYA

from MSS. Berlin, Cairo

and Bankipure

Printed

Under the Auspices of the Government of India

&

Under the Supervision of

Dr. M. 'Abdu'l Mu'īd Khan

Director, Da'iratu'l-Ma'arif'il-Osmania



Published by

THE DA'IRATU'L MA'ARIFI'L-OSMANIA  
(OSMANIA ORIENTAL PUBLICATIONS BUREAU-  
OSMANIA UNIVERSITY, HYDERABAD-7  
INDIA  
1968 A.D. 1388 A.H.



DA'IRATU'L-MA'ARIF'IL-OSMANIA PUBLICATIONS  
NEW SERIES, NO. IX/xiii/i



# KITABU'L ILMĀM

BY

Muhammad B. Qāsim al-Nuwairy  
(D. after the year 775 A.H./1372 A.D.)

## Vol. I

*Edited*

FORMERLY BY :

LATE PROFESSOR E TIENNE COMBE  
(d. 1962)  
from MSS. of Berlin & Cairo

LATER BY :

DR. AZIZ SURIAL ATIYYA  
from MSS. Berlin, Cairo  
and Bankipure

Printed

Under the Auspices of the Government of India  
&

Under the Supervision of  
Dr. M. 'Abdu'l Mu'id Khan  
Director, Da'iratu'l-Ma'arif'il-Osmania



Published by

THE DA'IRATU'L MA'ARIF'IL-OSMANIA  
(OSMANIA ORIENTAL PUBLICATIONS BUREAU)  
OSMANIA UNIVERSITY, HYDERABAD—7  
INDIA  
1968 A.D./1388 A.H.













